المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

قسم الكتاب والسنة

التناسق الموضوعي في سورة المجادلة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير

إعداد الطالبـــــة / ناهد عمر سعيد سريجي

الرقم الجامعي:

٤٣٠٨٨٢٣٦

إشراف فضيلة الدكتور/ عبد الكريم مستور القرني

العام الجامعي (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فقد اشتملت رسالة التناسق الموضوعي في سورة المجادلة على الآتي:

مقدمات تتعلق بالسورة وهي كالآتي:

- اسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ النزول.
- مكي السورة ومدنيتها ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ووجه اختصاصها بما اختصت به.
- أسباب النزول للسورة ومقاصدها وأهدافها.
- ما احتوت عليه السورة في داخلها مثل:
- مناسبات السورة لموضوعها.
- ومناسبة فاتحتها لموضوعها.
- موضوعات السورة وتناسقها.
- تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي.

ثم خلصت إلى نتائج من دراستي الكلية للسورة.

والله الموفق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المشرف: الباحثة:

د\عبد الكريم القرني ناهد عمر سريجي

Abstract

Praise be to God, prayer and peace be upon from Al Nabi

And after:

The message included a subjective consistency in Surah Al Mojadelah on two things:

1- Introductions related to Al Surah as follows:

- Surah name and number of verses and the date of descent.
- Makki Surah and Mdnitha and suitability to the face before and

  what is unique to its jurisdiction.
- The reasons for the descent of Surah and its purposes.

2- What it contained within it: -

- Surah appropriate of its subject
- appropriate for the subject matter for its opening
- Surah topics and consistency
- Interpretation of the verses of Surah in the light of the consistency of the objective

Then I concluded the results of my total study

May Allah bless our Prophet Muhammad and his family.

Supervisor **Graduator**

Dr. Abdul Karim Al-Qarni **Nahead Omar Sereaji**

مقدمة البحث

بســــــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذو العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء والرفعة والعلاء والمجد والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء سبحانه.

وأشهد أن لا آله إلا هو، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين.

بين للمستهدين معالم مراده ونصب لجحافل المستفتحين أعلام امداده، فأنزل القرآن قانونا عاما معصوما، وأعجز بعجائبه فظهرت يوما بعد يوم، وما فرط فيه من شيء يعظ مسيئا ويعد محسنا، حتى عرفه المصنفون من مؤمن وجاحد، وشهد له الراغب والحاسد، فكان الحال بتصديقه أنطق من اللسان، وبرهان العقل فيه أبصر من شاهد العيان، وأبرز آياته في الآفاق فتبين للمؤمنين أنه الحق وأصدق البيان.

وأشهد أن محمدا بن عبد الله عبده ورسوله، وصفيه المبشر في نون بأجر غير ممنون.

فصلاة الله وسلامه على نبيه وحبيبه وصفيه، وخيرته من خلقه، وخاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، عدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعــد:

فالحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وبشيرا للمؤمنين، ونذيرا للمخالفين أكمل به دين النبوة، وختم به ديوان الرسالة.

فبه أتم مكارم الأخلاق ومحاسن ا لأفعال، أنزل عليه بفضله نورا، وهدى به من الضلالة وأنقذ به من الجهالة، حكم بالفلاح لمن تبعه، وبالخسران لمن أعرض عنه بعدما سمعه، وأعجز الخليقة عن معارضته، وعن الإتيان بسورة من مثله في مقابلته،

ثم سهل على الخلق مع إعجاز تلاوته، ويسر على الألسن قراءته، أمر فيه وزجر وبشر وأنذر وذكر المواعظ ليتذكر، وقص عن أحوال الماضين ليعتبر، وضرب فيه الأمثال ليتدبر، ودل على آيات التوحيد ليتفكر، ولا حصول لهذه المقاصد إلا بدارية تفسيره وإعلامه، ومعرفة أسباب نزوله وأحكامه والوقوف على ناسخه ومنسوخة، ومعرفة خاصة وعامة، ثم هو كلام معجز وبحر عميق لا نهاية لأسرار علومه، ولا إدراك لحقائق معانيه. [1]

قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: "فقد جاء القرآن لا بالمنطق ولا باللغة ولا بالفصاحة ولا بالبيان فحسب، بل الأمر الشامل لكل العقول وهو كتاب الكون ووقائعه وأحداثه تشترك فيه كل الناس" [2].

فإن رسالة نبينا محمد ﷺ بنيت على معجزة القرآن وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات وأحوال ومع ناس خاصة، أما القرآن فهو معجزة عامة ولزوم الحجة به باقي من أول وروده إلى يوم القيامة ومن أسمى المقاصد التي جاء القرآن لتبيانها: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجز بعد التحدي، والقرآن جمع بين كونه معجزة بلفظه ومتحدى لأجله بمعناه.

(فالله عز وجل أودع فيه البركة لمن يتلوه حق تلاوته ولمن يحفظه ولمن يفسره، وأعظم من ذلك من يتدبره ويتأمله ويعمل النظر في دلالة آياته وألفاظه واستخلاص المعاني والفقه منها.

و من أعظم المعاني والحكم التي أنزل القرآن من أجلها تدبر معانيه والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها ثم التذكر والاتعاظ ثم الإتباع والسلوك والعمل فكما

---

[1] تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى سنة (٥١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت –لبنان. ج١، صـ٣.

[2] تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه: د. أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم- قطاع الثقافة – القاهرة.

أننا نتعبد الله بقراءة ألفاظ القرآن صحيحة، فإننا كذلك نتعبد الله بفهم معانيه صحيحة كما أراد الله عز وجل.

إن من يبدأ تلاوة القرآن الكريم بتدبر تثيره أشياء كثيرة وتلفت نظره وتستجيش مشاعره، وهي آثار حسنة للتلاوة المتدبرة، ولكنها في الغالب فهوم آنية، ومشاعر وقتية ربما تنتهي بالفراغ من التلاوة.

أما إذا بدأ تالي القرآن _الباحث عن أسراره_ تلاوته بعد تحديد هدف معين يسعى للوصول إليه من خلال تلاوة السورة إلى مقاطع، وسياق الآيات التي تتحدث عنه، بل وسيلحظ تلك الروابط من خلال الكلمات المختارة بعناية فائقة لإبراز المعاني التي تحملها العبارات التي تنساب إلى العقل والقلب، وسيشعر أن روحا معينة تسري في كيانه، وأن أنوار القرآن تشع في جنباته لتنقله من حالة إلى ما له فيها أن يستلهم فيها المعاني من المفردات والألفاظ التي ينطق بها إلى إدراك الروح التي تنساب من خلال الآيات الكريمة.

وبمقدار ما يكون الهدف الذي حدده الباحث للسورة أو الآيات التي يتدبرها في القرآن جليا، يكون مقدار ما يجد من الترابط بين الأجزاء والآيات، وبمقدار ما يلاحظ أن كل المعاني تتوجه إلى إبراز هذا الهدف أو تعميقه في النفس والمشاعر، أو لإلقاء الأضواء عليه بيانا وكشفا وتوضيحا.

فمعاني القرآن لا تنقطع وتأويلاته لا تنتهي على مر الأزمان والدهور، متجددة في كل عصر، وقد تضمن القرآن أنواعا من العلوم والمعارف لا يأتي الحصر عليها.

فمن اشتغل بتلاوة القرآن وحفظه وتأمله وتدبره ومحاولة استنباط المعاني والأحكام يعطيه الله فضلا كبيرا)..[1]

[1] أبحاث مقترحة لطلاب وطالبات مقررات تفسير القرآن لجميع المستويات، مائة وخمسة عشر بحثا مقترحا شاملة لأبحاث طلبة الدكتوراه والماجستير وطلبة التخرج،

(فالقرآن كتاب علم ودعوة وتربية وجهاد بآن واحد، فهو كتاب تبصير للمسلم في هذه الدوائر كلها.

وأفضل الناس وخيرهم من دار في هذه الدوائر واشتغل بها، فكان شغله الشاغل كتاب الله تعالى وكشف معانيه وأسراره العظام.

إذ أن تأمل القرآن وتدبره، هو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، فالحياة في ظلال القرآن وكنفه نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة تبارك العمر وتزكيه. فمن يرد به خيرا يعيش في هذه الظلال يتفيأها ولا يغادرها إلا على ظلال جنة النعيم[1].

أخرج البخاري في صحيحه حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[2]).

وقد كان القرآن الكريم موضع العناية الأول عند العلماء والأدباء والفلاسفة والفقهاء، والمستشرقين، فقد توالت أنواع المؤلفات في أحكامه وتفسيره، وفي بلاغته، وفي لغته، وفي إعرابه حتى ازدهرت في الثقافة الإسلامية ضروب شتى من العلوم والفنون حول القرآن وتحت رايته.

ولذلك مال و اتجه بعض المفسرين إلى هذا الموضوع، فإن أحدا منهم لم يستوعب القرآن كله بذكر الربط والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة، وبين سور القرآن بعضها مع بعض في ضوء نظرية شاملة.

القرآن الكريم كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس أعدها لطلابه د.أحمد بن أحمد شرشال الأستاذ المشارك بقسم أصول الدين معهد السلطان الحاج عمر علي سيف الدين جامعة برناوي –دار السلام دار الحرمين بالقاهرة. صـ١١

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة والثلاثون ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، دار الشروق، القاهرة – مصر. ج١،صـ١١.

[2] صحيح البخاري كتاب العلم، باب ١٣\الحديث ٧١

ولقد كان تركيز علمائنا السابقين على منهج التفسير التحليلي، وظهرت الكثير من التفاسير التحليلية للقرآن، قدم فيها أصحابها معاني القرآن وأحكامه التشريعية والفقهية وعلومه وحقائقه. وفي العصر الحديث حاول العلماء الاستفادة بقدر المستطاع من مزية العصر الكبرى: التخصص وما ترتب عليه من علوم وحقائق ودقائق في كل جانب من جوانب الحياة، إذ توافرت لهم معان وتيسرت لهم علوم وأصبح بإمكانهم من خ لالها أن يلحظوا كثيرا من المعجزات القرآنية والكثير من أسرار القرآن اللامتناهية. فكان أن بزغ من هذا الباب في علم التفسير التناسق بين آيات السورة الواحدة وبين السور بعضها مع بعض.

إذ أن من أوجه الإعجاز في القرآن التدبر الشمولي للسورة.

قال ولي الدين الملوي: "و قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة، وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصاله بما قبلها وما سيقت له ". ا.هـ.

إذن فمن خلال معرفة وجه اتصال السورتين قبلها وما سيقت له ندرك أن علمائنا قد ركزو على ضرورة البحث عن الصلة والمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة. بل كان البقاعي يلوم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشأن. كما نراهم كذلك قد ركزوا على المناسبة بين سور القرآن عامة. وهذه قضايا بمجموعها نادرا ما تجد تفسيرا قد خلا عن طرف منها، ونادرا ما تجد مفسرا إلا وقد عرج عليها ما بين مكثر ومقل [1]. ونقل عن أبي بكر بن العربي أنه قال في كتابه "سراج المريدين":

[1] الأساس في التفسير لسعيد حوى رحمه الله، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع ،الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ-١٩٩٣م ، ج١ص٢٣-٢٤ .

" ارتباط آي القرآن بعضها مع بعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم ".

ونقل الزركشي عن عز الدين بن عبد السلام:" المناسبة علم حسن ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، والقرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه بعض [1]. فعجائب الصلة بين الآيات والسور ما لا يمكن أن يخطر ببال بشر، بحيث يجد أنواعا من الوحدة الشاملة التي تضم معاني القرآن وآياته وسوره بما يحير الألباب ويدهش الأبصار والبصائر".

فإن التناسق الموضوعي أو ما يسميه البعض بـ (الوحدة الموضوعية) لا يعد تفسيرا، وإنما هو مقصد وغاية يسعى الباحث إلى تحقيقه، والكشف عن جماله، وسحر بيانه، وذلك بإحاطة السورة بنظرة شمولية[2].

ولكن الوحدة الموضوعية غير التناسق الموضوعي وهو ما أوضحه وفصله الدكتور بازمول في كتابه التناسق الموضوعي في السور القرآنية[3].

كما يمكننا الوقوف على أسراره من خلال التغلغل في السورة الواحدة لمعرفة المحور الذي تدور حوله، والخيوط الخفية التي تجعل أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، أو بتعبير آخر، تكوين صورة شاملة لملامح السورة كلها[4].

---

[1] تفسير التحرير و التنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ،تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ،الطبعة الأولى طبعة جديدة و منقحة و مصححة ،مؤسسة التاريخ بيروت –لبنان ، ج١\صـ١١٤ .

[2] التفسير الموضوعي و منهجية البحث فيه للدكتور زياد خليل الدغامين صـ٢٢ .

[3] يرجع إلى كتاب التناسق الموضوعي في السور القرآنية إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول. فقد بسط الفرق بين التناسق الموضوعي و الوحدة الموضوعية بشمول و توسع كبيرين .

[4] تراثنا الفكري في ميزان الشرع و العقل لمحمد الغزالي صـ١٢٨ .

وكان من جامعتنا الموقرة أن قامت بعمل هذا المشروع الضخم من أجل هذا الغرض العظيم الشريف لخدمة كتاب الله الكريم وتفسيره، فكان أن قررت مشروع (التناسق الموضوعي في سور القرآن الكريم).

وقد من الكريم جل شأنه على أمته الفقيرة بأن اختارني ويسر لي أن أكون تحت راية كتابه الكريم، بأن يسر لي أخذ منهل من علم التفسير المبارك، ودراسته في هذا المجمع المبارك، وكان لي نصيبا عظيما وافرا إذ كنت ممن وقع عليهم الاختيار في هذا المشروع العظيم " الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم ". وكان من نصيبي الوافر أن حصلت على (سورة المجادلة) هذه السورة المباركة العظيمة من الجزء الثامن والعشرون، فكان موضوع بحثي المختار { التناسق الموضوعي لسورة المجادلة }.

فعشت مع كتاب الله في كل حرف كتبته وصغته في هذا البحث الذي أرجو وأتوسل إلى إلهي ومولاي عز وجل أن يلهمني فيه الصواب، فإن كان قد حصل ذلك فهو بفضل الله تعالى وبتوفيقه، وإن كان هناك خطأ أو زلل فهو من نفسي والشيطان، واستغفر الله العظيم منه.

اللهم اجعلني من أهل القرآن وخاصته وأصحاب شفاعته، اللهم إن أحسنت فبفضلك وكرمك ومنك علي، وإن كانت الأخرى فاغفر لي مولاي وتجاوز عني. اللهم أرجوك حسن العاقبة وأن ألقاك وأنت راض عني، فاجعل اللهم هذا العمل خالصا لوجهك وابتغاء مرضاتك ولا تجعل للعباد والشيطان فيه نصيبا، واجعله اللهم ذخرا لي إلى يوم ألقاك. يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المشرف بالشفاعة ببقاء شريعته إلى قيام الساعة، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار صلاة باقية ما تعاقب الليل والنهار.

استعنت بالله وأبدأ:

أهمية الموضوع:

١- إن الوحي الإلهي في صيغته الصحيحة الوحيدة حاليا، يتمثل بالدليل والبرهان بما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ من قرآن وحكمة، هذا القرآن الذي كانت مهمة محمد ﷺ فيه البلاغ والبيان وهو حجة الله على أن محمدا عبده ورسوله. هذا القرآن الذي لابد لنا من إبراز كمال الحجية فيه، و الإجابة على شبهات الخلق في شأنه. ومن هذه الشبه وأعجبها ما تثيره أكثر دوائر الكفر بشكل مهذب أو وقح حول الوحدة القرآنية والصلة بين سور القرآن بعضها ببعض، مع أن هذا الموضوع وحده هو من أعظم مظاهر الإعجاز في القرآن، ولكن الأمر يحتاج إلى بيان، ومع هذا البيان لمثل هذا الشأن وغيره مما تندفع به الشبه وتقوم به الحجة في الرد عنه فيما افتراه أهل الشبه وزعموه بأن هذا القرآن لا يجمع آياته في السورة الواحدة جامع ولا يربط بين سوره رابط، وذلك لا يليق في كلام البشر، فكيف بكلام رب العالمين. إنها لشبهة فظيعة جدا أن يحاول محاول إشعار المسلمين بأن كتاب الله ينزل عن كتب البشر في هذا الشأن. ولو كان هذا الأمر من تأليف البشر لما خلا من تناقض واضطراب وعيب ومؤاخذة لكنه " تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "[فصلت:٤٢]

٢- إن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره، فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله، يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة، وعقد فريد يأخذ بالأبصار، نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله

وآياته وجاء آخره مصداقا لأوله وبدأ أوله لآخره. قال تعالى: " وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا " [النساء:٨٢].

٣- إكساب الباحث الذي يتعلم التفسير والتفقه في القران اتزانا واعتدالا وتكاملا فلا ينحاز ولا يميل لأن المصدر الذي يتلقى من علومه واحدا فلا يطغى عليه جانب دون جانب. وتنمية ملكة التفكير السليم والنظر السديد والتصور الصحيح فينعكس ذلك على سلوكه.

٤- إن المفسر في هذا العصر لابد له من المرور بجميع عصور التفسير وعلمائه وبذلك يكون المفسر قد ألم بجميع عصور التفسير ومراحله، واستفاد من سابق تجاربهم، ويكون بذلك حدد لنفسه منهجا وطريقا خاصا به، يميزه، ويميز عصره، ويخدم حاجاته ومناسباته.

٥- الحاجة إلى تفسير القران حاجة مستمرة وممتدة، ففي عهد نزول القران فسر الرسول ﷺ للناس بعض الآيات بحسب حاجاتهم، وكذلك في عصر الصحابة، ومن ثم عصر التابعين، وهكذا إلى عصرنا الحالي، فكان يفسر القران في كل عصر برؤية أهل ذلك العصر ومن ذلك تجدد حاجات المجتمعات وبروز أفكار جديدة على الحياة الإنسانية وانفتاح الميادين للنظريات العلمية الحديثة التي لا يمكن تغطيتها.

٦- من جهة الجانب العلمي فأن المفسر الذي يتفقه في تفسير القران الكريم يمر على الآيات القرآنية فيتكامل الموضوع لديه لأن موضوع الآيات القرآنية ومقاصدها مسوقة في موضع واحد وليست في سياق واحد. وبذلك يكون الكشف عن إعجاز القران الكريم في السورة الواحدة منه والكشف عن وجوه إعجازه وعجائبه التي لا تنتهي.

٧- تأصيل الدراسات القرآنية وتكميل مسارها، فأن كثيرا من العلوم غير واضحة الصلة بالهدايات القرآنية ولا نجد نصوصا محددة من القران الكريم أو السنة النبوية تتناولها وإنما نستشف أصولها من خلال التمعن بالنصوص.

٨- البحث والكشف ثم استنتاج الهدف الأساسي لكل سورة على حده إذ أن لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية وكذلك طريقة عرضها وصلتها بالسور الأخرى.

٩- من خلال التناسق الموضوعي لكل سورة على حده يستطيع الباحث والمفسر أن يبرز جوانب جديدة وعديدة من وجوه الإعجاز القرآني الذي لا تنتهي معجزاته وعجائبه.

١٠- إن فهم آيات السورة في ضوء الترابط والتناسق الموضوعي فيها يعطي شمولية في الفكر والنظر، حيث تظهر دلالة هذا الفهم عند إرادة التطبيق الواقعي لمنهج القرآن الكريم في حياة الناس، وعند تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تعارفوا عليها وتشبثوا بها دون الاهتداء بنصوص الوحي.

أسباب اختياري لهذا الموضوع:

١- قناعتي بأهمية الموضوع كما سبق.

٢- القرآن كله بركة، وهو الخير الكثير، لأنه إما راشدا إلى خير، وإما صارفا عن شر وفساد كما قال تعالى: " كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ " [ص:٢٩][1].

٣- هذه السورة تحمل ثروة علمية تتعلق بالأحكام الشرعية، والآداب الرفيعة وغيرها من الأحكام التي تعالج أمراض المجتمع، والمسلم بحاجة لمثل هذه الأمور والعلاجات.

٤- جدة الموضوع وقلة المؤلفات في التناسق الموضوعي رغم أهمية هذا الموضوع ومكانته ولذلك أحببت الكتابة فيه والوقوف على مقاصد الكتاب العزيز.

٥- حب العيش مع كتاب الله وتدبره، فإن الاشتغال بذلك فيه منفعة عظيمة لا تخفى على المؤمنين.

٦- أن التفسير وعلومه هو الوعاء والحاضن الطبيعي لنمو الشخصية وتربيتها، فهو يسهم مساهمة فعالة في بناء الذات الإنسانية المؤمنة في جميع الجوانب.

٧- ما اشتملت عليه سورة المجادلة من مميزات تتمثل فيما يلي:

- أنها السورة التي فصلت قضية الظهار وبينت حكمه وكفارته.
- أن كل آية في السورة ورد بها لفظ الجلالة إذ لم تخلو آية من ذكره مرة أو أكثر.
- ذكرت أحكام النجوى العامة والخاصة.

[1] أبحاث مقترحة لطلاب وطالبات مقررات تفسير القرآن للدكتور أحمد شرشال صـ٩.

- ذكرت عقيدة الولاء والبراء.

ومن هذا المنطلق وبعد أن استخرت الله كان أول سبب لاختياري البحث في هذا المشروع هو محبتي الشديدة للقران الكريم، وتفسيره، والتبحر في كلام الله، ورغبتي أن أظل دائما وأبدا مع كلام الباري لعلي أحظى بأن أكون من أهل القرآن، فلم ولن أحظى ما حييت بأكبر وأكثر من ذلك الخير والفضل العظيم الذي اسأل الله أن يبقى لي ولذريتي في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهداف البحث في الموضوع:

قبل أي سبب كان العامل الرئيس خدمة الدين الحنيف و العمل على طلب العلم الشريف المبارك و التبحر فيه .

ومن ثم تأتي الأهداف التالية:

١- إظهار التناسق الموضوعي لسورة المجادلة.
٢- إبراز بعض الفوائد والفرائد التي لم تظهر من خلال بعض البحوث والدراسات التي أعدت في السورة.
٣- إيضاح بعض أسرار الإعجاز القرآني في سورة المجادلة.

الدراسات السابقة:

انقسمت الدراسات السابقة في هذا المجال لقسمين فهناك كتب مؤلفة و هناك رسائل علمية :

أولا: الكتب المؤلفة :

١- كتاب ظلال القران لسيد قطب: فقد كان رحمه الله مولعا بعرض أهداف وأساسيات كل سورة قبل البدء في تفسيرها وبيان شخصيتها. فذكر عند

تفسيره لسورة المجادلة التفسير الموضوعي للسورة بصورة مختصرة وبنوع من الإيجاز.

٢- التفسير الموضوعي لسور القران الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القران بإشراف أ. د مصطفى مسلم كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة.

وقد تم تفسير سور القران في هذا التفسير ومنها سورة المجادلة وذلك في المجلد الثامن من الصفحة ٢٩ إلى الصفحة ٥٣. وتعرض للوحدة بصورة مختصرة فيما لم تتجاوز ٢٣ صفحة وهي دراسة مختصرة وموجزة، لم يكن بها تفصيل وإيضاح.

ثانيا : الرسائل العلمية :

١- سورة المجادلة دراسة تحليلية. دراسة ماجستير للباحث راجح عبد السلام راجح من جامعة الإيمان، اليمن.

ابتدأ الباحث بتمهيد ذكر فيه بتعريف للسورة، ثم ذكر التحليل اللغوي والتحليل الإيماني والعقدي، ثم ذكر التحليل الفقهي والأصولي. ثم التحليل السلوكي والتربوي، وهو بعيد كل البعد عن التناسق الموضوعي للسورة.

٢- المناسبة بين الفاصلة القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية على سورة المجادلة. للدكتور زهدي محمد أبو نعمة، قسم التفسير كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية غزة فلسطين.

وقد هدف البحث لتبيين جانب من جوانب الإعجاز البياني للقرآن متمثلا ببيان المناسبة بين الفاصلة القرانية وآياتها، وسورة المجادلة تحتوي جميع آياتها على فواصل قرآنية لها علاقة مع موضوع الآية. ولم يتطرق للتناسق الموضوعي للسورة.

٣- المسائل الفقهية في سورة المجادلة دراسة مقارنة. للباحث عبد الله بن محمد العبدلي. ماجستير. جامعة مكة المفتوحة. وشملت الدراسة الجانب الفقهي الذي تعرضت له السورة.

إن جميع الدراسات السابقة المذكورة آنفا بعيدة عن موضوع التناسق الموضوعي ولم تتعرض له البتة – وإن ذكر بعضها التناسق فكان وجيزا مختصرا ليس بموسع ولا شامل - وإنما تبحث في مسائل أخرى، وجوانب مختلفة للسورة.

هيكل الرسالة

عنوان البحث: التناسق الموضوعي في سورة المجادلة.

هدفه: إظهار جانب من جوانب الإعجاز، وذلك من خلال ترابط الموضوعات المختلفة، داخل السورة القرآنية الواحدة، مما يشكل نسقا واحدا تحت غرض وهدف واحد.

محتويات البحث:

مقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الموضوع، والدراسات السابقة.

الباب الأول: التناسق الموضوعي في سورة المجادلة:

و يحتوي على التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا، وثلاثة فصول:

الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، ويشمل أربع مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء.

المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة، ووجه اختصاصها بما اختصت به ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.

المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المبحث الثالث: ما اختصت به سورة المجادلة من موضوعات.

الفصل الرابع: **أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة وأهدافها،** ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الثالث: تاريخ نزول سورة المجادلة، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.

الباب الثاني: دراسة تطبيقية للتناسق ويحتوي على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **مناسبات السورة الكريمة .**

ويشمل تمهيدا، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.

المبحث الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها.

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

الفصل الثاني: الموضوع الكلي للسورة.

الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

و يشمل تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ . وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل . ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

الباب الثالث: التفسير التحليلي لسورة المجادلة في ضوء تناسقها الموضوعي ويحتوي: الخاتمة وفيه النتائج والتوصيات.

والله الموفق

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المشرف: د\ عبد الكريم القرني **الباحثة**: ناهد عمر سريجي

شكر وتقدير

الحمد لله في الأولى والآخرة، حمدا يليق بجلال ربنا، الذي لولا توفيقه لما خرج هذا البحث إلى النور، فأحمده سبحانه أن يسر لي إتمام هذا العمل المتواضع.

و اقتداء بقول رسول الله ﷺ : "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[1]. لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر، والامتنان إلى كل من:

- والدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود –حفظه الله-، الذي شملنا برعايته وكرمه المعتادين.
- حكومة المملكة العربية السعودية ممثلة في وزارة التعليم العالي، والحاضنة الأم جامعة أم القرى.
- مشرفي الفاضل الدكتور عبد الكريم مستور القرني حفظه الله، الذي بذل الكثير من الوقت لنصحي وتوجيهي، من أجل إثراء هذه الرسالة وإخراجها في أحسن صورة، حتى خرجت إلى الوجود واضحة المعالم بينة الأهداف، فأسأل الله تعالى أن يبارك له في وقته وعمله وعلمه ويجزيه عني خير ما يجزي شيخ عن تلامذته.
- قسم الكتاب والسنة، وعمادة كلية الدعوة وأصول الدين.
- جميع أساتذتي اللذين أمدوني بالعلم والمعرفة في السنة التمهيدية.
- جميع علمائنا وشيوخنا الأفاضل اللذين أمدونا وأتحفونا بكتبهم القيمة وآراءهم النيرة والجليلة رحم الله الميت منهم، وبارك في حياة من كان حيا.
- جميع المكتبات التي استفدت منها في إعداد هذه الرسالة.

[1] سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب (ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك) (4\339) حديث رقم ١٩٥٤. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

الإهـداء

- إلى رسول الأمة و معلمها، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور محمد بن عبد الله ﷺ .
- إلى أمي الغالية التي بذلت الغالي والنفيس من أجل تربيتي، و تعليمي فجزاها الله عني خير الجزاء.
- إلى والدي العظيم الذي قضى عمره من أجلي و لإسعادي فجزاه الله خير الجزاء عني.
- إلى شريك حياتي، وشريك دربي (زوجي الغالي).
- إلى الشمس التي أضاءت عمري ابن الغالي حمزة بارك الله لي به، و حفظه بما يحفظ به عباده الصالحين.
- إلى من أرشدني في هذا البحث فأحسن المنهج و الطريق مشرفي (الدكتور عبد الكريم مستور القرني).
- إلى كل من شجعني و دعمني و ساعدني بقليل أو كثير، (إخوتي و أصدقائي).
- إلى كل من بذل وقته و جهده لدراسة كتاب الله الكريم، وبيان أسراره ومعانيه.
- وإلى كل من قدم لدينه وسعى لخدمته، ودافع عنه.

أهدي هذا البحث المتواضع سائلة المولى عز و جل أن يتقبله مني ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

مقدمته الطالبة:

ناهد عمر سريجي

الباب الأول

التناسق الموضوعي في سورة المجادلة و يحتوي على:

- مقدمة تعريفية.
- التمهيد و يشمل التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا.
- **الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة وفضلها وعدد آياتها، و تاريخ نزولها،** وفيه أربع مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

المبحث الثاني: اسم السورة و ما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

- **الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة، ووجه اختصاصها بما اختصت به** ويشمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المكي المدني في السورة.

المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المبحث الثالث: ما اختصت به سورة المجادلة من موضوعات.

- **الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة وأهدافها،** ويشمل على ثلاث مباحث :

المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الثالث: تاريخ نزول السورة، والجو العام الذي نزلت فيه السورة.

تمهيـــد

التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا

التناسق لا يخرج عن كونه الانسجام التام والتناسق الكامل بين الآيات في السورة الواحدة، وبين السور في مجمل القرآن.

فإنها وإن اشتملت على نجوم متعددة وأغراض مختلفة ومعان متنوعة، لكنها ترمي إلى هدف واحد. وتندرج تحت مقصود لا تنفك عنه.

وهذا وجه من إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن آيات القرآن نزلت في أوقات متباعدة، والطريقة التي اتبعت في ترتيب آياته حيث كان يقول ﷺ : "ضعوا آية كذا في موضع كذا" [1].

وها هو القارئ يقرأ السورة الطويلة المنجمة في نزولها فلا يحس بشيء من تناكر الأوضاع، بل يرى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، فلم يكن الانتقال بين الأغراض المختلفة في السورة الواحدة أمرا اعتباطيا بلا هدف، بل هناك صلات وثيقة بين هذه المعاني والأغراض بحيث تتضافر جميعا لتصل إلى الغاية القصوى والهدف العام الذي تدور حوله السورة، وهو ما يطلق عليه بعض العلماء الوحدة الموضوعية أو عمود السورة ونظامها.

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " [لقمان:٢٧].

---

[1] مسند أحمد ابن حنبل برقم ٤٩٨ ،ج١ ،صـ٤٩٩ و ضعفه الأرنؤوط ،انظر: أبو داود :سليمان بن أشعث السجستاني ،سنن أبي دواد برقم ٧٨٦ ،ج١، صـ٢٠٨ ،ضعفه الالباني .انظر الترمذي سنن الترمذي ،كتاب التفسير باب ١٠ ،من سورة التوبة برقم ٣٠٨٦،ج٥، صـ٢٥٤ ،ضعفه الألباني ،و النسائي السنن الكبرى ،كتاب فضائل القرآن ،السورة التي يذكر فيها كذا برقم ٨٠٠٧ ،ج٥ ،صـ١٠ ،هذا الحديث يدور إسناده على يزيد الفهرسي الذي رواه عن ابن عباس تفرد به عنه عوف ابن أبي جميلة و هو ثقة و يزيد ذكره البخاري في الضعفاء فلا يقبل تفرده و اختلف فيه هل هو يزيد بن هرمز الذي واثقه ابن شهاب أم لا ،الجرح و التعديل ج٩\صـ٢٩٣ .

إذ أن من الإعجاز التأمل في انتظام مجموع الآيات تحت سورة معينة بعينها. وترى كثيرا من سور القرآن أن الكلام ينتقل من معنى إلى آخر ثم يعود على ما بدأ منه ولم يكن هذا الانتقال والانجرار من معنى إلى آخر إلا لوجود رابطة مهمة تربط بين الآيات والمقاصد يقتضيها السياق.

قال الشيخ عبد الحميد الفراهي: "إني رأيت في ترتيب كلام الله وله الحمد على ما أراني أن الكلام ينجر إلى أمر وكله جدير بأن يكون مقصودا فيشفي الصدور ويجلو القلوب، ثم يعود إلى البدء فيصير كالحلقة.

وإن من عادة وفطرة البلاغة أن ينجر الكلام من أمر إلى آخر ثم يعود إلى الأول أو الأوسط وإذا كان المخاطب عالما بأسباب الكلام عاقلا له بقلبه لم يشكل عليه نظمه" [١].

فالتناسق الموضوعي إذا أرادنا تعريفه فإننا لابد من تفصيله إذ هو لفظ مركب توصيفي، مكون من لفظين التناسق، والموضوعي. وسنن العلماء في تعريف المركب أن يبدأ بتعريف كل لفظة من ألفاظ هذا المركب على حدة، ثم ينظر في تعريفه بعد التركيب والتناسق الموضوعي مركب من كلمتين التناسق والموضوعي.

التناسق في اللغة: (مادته النون والسين والقاف وهذه المادة تدل على التتابع في الشيء. و هو (النسق) أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد، و(النسق) بالتسكين مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض وبابه نصر. و(التنسيق) التنظيم [٢]).

("نسق" النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نسقته تنسيقا ويخفف ابن سيده نسق الشيء ينسقه نسقا ونسقه نظمه على السواء وانتسق هو وتناسق، والاسم النسق وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه

[١] ذكره الدكتور حكمت حريري في موقع ملتقى أهل الحديث الالكتروني –الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم - على هذا الرابط http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=37879

[٢] مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي المتوفى سنة (٦٦٦هـ) ،المحقق: يوسف الشيخ محمد ،الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،صـ٣٠٩ .

شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وروي عن عمر أنه قال: "ناسقوا بين الحج والعمرة". قال شمر: ناسقوا وواتروا يقال: ناسق بين الأمرين أي تابع بينهما، وثغر نسق إذا كانت الأسنان مستوية، ونسق الأسنان انتظامها في النبتة وحسن تركيبها، والنسق العطف على الأول، والفعل كالفعل وثغر نسق وخرز نسق أي منتظم قال أبو زبيد:

بجيد ريم كريم زانه نسق يكاد يلهبه الياقوت إلهابا

و التنسيق التنظيم والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد، والنسق بالتسكين مصدر نسقت الكلام إذا عطفت بعضه على بعض ويقال نسقت بين الشيئين وناسقت[1]).

وذكر مثل ذلك الفيروز أبادي وزاد: "ومن الثغور المستوية، ومن الخرز المنظم، وكوكب الجوزاء، أو هي بضمتين، ومن كل شيء: ما كان على طريقة نظام عام. وأنسق: تكلم سجعا. والتنسيق: التنظيم. وناسق بينهما تابع. وتناسقت الأشياء، وانتسقت وتنسقت بعضها إلى بعض: بمعنى"[2].

ويظهر أن النسق في اللغة ما جاء من الكلام على نظام واحد متتابع، معطوف بعضه على بعض، ليخرج الكلام بوحدة متناسقة.

التناسق في الاصطلاح: تسلسل الألفاظ والمعاني الواردة في السورة، وتتاليها بحيث تكون كل جملة آخذة بعنق الأخرى إلى أن يتلاحم بعضها ببعض فلا يكون منها خارج السياق. ويمكن تعريفه بأنه بناء الكلام الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين ألفاظه.

---

[1] لسان العرب :جمال الدين أبو الفضل ابن منظور المتوفى سنة (٧١١هـ)،ط١ ،دار صادر –بيروت ج١٤\صـ٢٤٧ ،و ينظر المعجم الوسيط :المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ،الناشر: دار الدعوة .ج١٢\صـ٩١٩

[2] القاموس المحيط :مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،ط ٨، ١٤٢٦هـ \٢٠٠٥م ،صـ٩٢٥

أو هو بناء الكلام الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين ألفاظه.

الموضوعي في اللغة: (من الموضوع، ومادته الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطه. ووضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

و وضع في تجارته يوضع: خسر. والوضائع: قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها. الوضيع: الرجل الدني. والدابة تضع في سيرها وضعا، وهو سير سهل يخالف المرفوع.

و وضع الرجل: سار ذلك السير. وذكر أن الواضعات: الإبل تأكل الخلة. والرجل الموضع: الذي ليس بمستحكم الأمر. ا.هـ [1]).

(ومنه المواضعة بمعنى الموافقة، إذ يجتمع أهل الإصطلاح على كلمة لمعنى يتفقون عليه [2]).

(أصله وضع ضد الرفع: (الموضع) المكان والمصدر أيضا و(وضع) الشيء من يده يضعه (وضعا) و(موضعا) و(موضوعا)أيضا وهو أحد المصادر التي جاءت على المفعول [3]).

(عنى بالموضوع ما أضمره ولم يتكلم به والمرفوع ما أظهره وتكلم به والمواضع[4]).

الموضوع في الاصطلاح: (المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه[5]).

(الفكرة (القضية) التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه[6]).

---

[1] معجم مقاييس اللغة (ج٦\صـ١١٧-١١٨) ،نقل باختصار .

[2] انظر القاموس المحيط حيث قال :"المواضعة :المراهنة و مشاركة البيع و الموافقة في الأمر .ا.هـ " .

[3] مختار الصحاح للرازي صـ٣٤١

[4] لسان العرب لابن منظور ج١٥\صـ٢٣٠

[5] المعجم الوسيط ج٢\صـ١٠٤٠

[6] قال الجرجاني : في التعريفات صـ٣٠٥

(والموضوع هو محل العرض المختص به. وقيل هو الأمر الموجود في الذهن وموضوع لكل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية.)انتهى[1].

(وكأن المتكلم لما يتكلم يطرح مقالته للنظر فيها، ولعل من هنا جاءت الأطروحة، والله أعلم[2]).

التناسق الموضوعي :

فهو المعنى الذي يربط بين موضوعات السورة وبين علل ترتيبها لإبراز التلاؤم والانسجام والنظام والتتابع بين موضوعات السور، بعد تحرير مقاصدها والغاية التي ترمي إليها كل سورة ، فتنتظم موضوعات القرآن الكريم في تناسق تام، ونظام بديع، يبهر العقول، ويأخذ الألباب.

(فالتناسق هو إبراز نظام البناء الموضوعي للسورة في ترتيب وترابط وانسجام[3]).

---

[1] و اعتمد هذا المعنى مجمع اللغة العربية، انظر المعجم الوسيط مادة (وضع) ،ج١٢\صـ١٠٠٤

[2] التناسق الموضوعي في السورة القرآنية للدكتور محمد بازمول صـ٩

[3] التناسق الموضوعي في السورة القرآنية إعداد :الدكتور محمد بازمول صـ١١ ،نقل بتصرف يسير.

الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة، واسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.

ويشمل أربع مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء.

المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

المبحث الأول: التعريف بسورة المجادلة.

سورة المجادلة من السور المدنية المتأخرة النزول، يظهر ذلك جليا من خلال معالجتها للموضوعات التي حدثت بعد الهجرة النبوية، فهي مميزة بموضوعاتها منفردة بها، حيث بدأت بتحقق إجابة دعوة المظلومة و نصرتها، و حكمت في قضية من قضايا الجاهلية كانت مسيطرة على العباد في تلك الحقبة وذلك المكان، وتناولت أيضا عقيدة المنافقين وفضحتهم وكشفت أمرهم، وبينت عقابهم وجزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة، شأنها كشأن غيرها من السور المدنية، وتناولت القضية العقدية البراء والولاء، وقسمت كذلك الخلق إلى قسمين :إما مع الله تعالى وفي حزبه، وإما مع الشيطان في ضلاله وغيه وفي حزبه. مفسرة ومفصلة لقوله تعالى :"وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ " [البلد:١٠].

كما تناولت هذه السورة المباركة تشريعات وأحكام فقهية وقوانين أخلاقية تكون لبنة في بناء هذا الدين الحنيف في المجتمع المدني الذي تفرض عليه العبادات والشرائع، بعدما تخلص المسلمون من الشرك والكفر وعبادة الأوثان في مكة، فها هو يتكون مجتمع مدني قابل للتشريع والتنظيم.

إذ ارتباط السورة في طريق عرض الشكاية/ ووسيلة العرض شكاية قد تخفى، والحديث في الوحدة الموضوعية أحيانا مباشر وأحيانا متفرع عن فرع مثل : النجوى فرع عن فرع وأصله مثل على دقة علم الله عز وجل فناسب أن امتداد الحديث بأحكام تفصيلية عن النجوى مع المنافقين والمؤمنين ومع الرسول ﷺ وعلاقة الحديث عن المنافقين بالعلم أن النفاق أمر خفي والله عز وجل اطلع عليه وأطلع المؤمنين عليه، وآخر آية تتناول أحكام الولاء والبراء والمودة هي خالص المحبة وهي في القلب ويطلع عليها الله جل جلاله[١].

[١] منتديات طالبات القرآن و علومه على الرابط : http://qurangirls.yoo7.com/t290-topic

المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفوائد و الحكم من تسوير السور.

المطلب الثاني: مصدر أسماء السور.

المطلب الثالث: اسم السورة.

تمهيد

إن المتأمل في كتاب الله العزيز يجد أنه قد بلغ شأنا عظيما في إعجازه بلغت كل جزئية فيه، حتى أصبح يتحدى بأسلوبه المعجز وروعة بيانه أهل اللغة وأرباب الفصاحة والبلاغة والبيان، كذلك كانت أسماء السور رمزا للتحدي والإعجاز.

ولهذا أعطى الإسلام للأسماء أهمية كبيرة، لأنها تحمل قدرا كبيرا من المعاني للمسميات، وقد كانت أسماء السور في القرآن الكريم نموذجا للإيحاء بالمعاني الجليلة التي ذكر بعضها وترك بعضها، ولذلك لكل سورة اسم يميزها عن غيرها.

ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، وقد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير في القرآن الكريم، وقد يكون لها اسمان كسورة البقرة يقال لها فسطاط القرآن لعظمها وبهائها، وقد يكون لها ثلاثة أسماء كسورة المائدة والتي تسمى بـالعقود والمنقذة. وغير ذلك من تسميات السور الكريمة.

المطلب الأول: الفوائد والحكم من تسوير السور.

كل ما ذكره الشرع كان له فائدة عظيمة، وقيمة جليلة ظهرت للعيان أم كانت خفية، فهي حاضرة لا محالة. ومن ذلك كان تسوير السور الكريمات، والحكمة من ذلك، وتبرز أهميتها في الفوائد والحكم التي تتضمنها. و منها:

- التيسير على الناس وتشويقهم إلى مدارسة القرآن وحفظه لأنه لو كان سبيكة واحدة لا حلقات بها لصعب عليهم حفظه وفهمه.
- الدلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام فإن في كل سورة موضوعا بارزا تتحدث عنه كسورة البقرة وسورة يوسف مثلا.
- الإشارة إلى أن طول السورة ليس شرطا في إعجازها بل هي معجزة وإن بلغت غاية القصر كسورة الكوثر.
- أن القارئ إذا أتم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله.
- أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيعظم عنده ما حفظه ومنه حديث أنس: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا"[1].

ولذلك الحاجة لتسوير السور أكيدة لما شملت من فوائد جمة تبرز وجه الإعجاز لكلام الله تعالى، وأنه منزل من لدنه عز وجل.

[1] رواه ابن حيان في صحيحه كما في الإحسان كتاب الرقائق باب قراءة القرآن ج٣ صـ٧٤٤فيه "عد فينا" بدل "جد فينا" و صحح إسناده شعيب الأرنؤوط و كذا صححه هو و من معه في تحقيق مسند أحمد بن حنبل برقم ١٢٢١٥ ج١١٩ صـ٢٤٧ عند تعليقهم على هذا الحديث .

المطلب الثاني: مصدر أسماء السور.

ذهب جمهور أهل العلم من أهل القرآن وعلومه على أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية من النبي ﷺ حيث جعل لكل سورة اسما خاصا بها، ودليله أن تسمية السور قد اشتهرت فيها الروايات الكثيرة التي تفيد أن جبريل عليه السلام كان يعلم الرسول القرآن ويبين له موضع السور ويأمره بوضع الآيات المنزلة في سورتها المذكورة مصداقا لقوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ " [الحجر: ٩]. والرسول أمر أصحابه أن يضعوها في مكانها من سورة كذا ويسميها باسمها، وذلك أمر لازم لإثبات الآيات وتمييزها عن غيرها. من ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما "أنها لما نزلت آخر آية وهي قوله تعالى "وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"[البقرة:٢٨١] قال جبريل للنبي ﷺ : "ضعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة "[1]. كل ذلك يعضد ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن أسماء السور توقيفي لا مجال فيه للاجتهاد.

[1] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ج١١\صـ٣٧١) حديث رقم (١٢٠٤٠) عن محمد بن السائب ،و ذكره القرطبي في تفسيره عن أبي الصالح (ج١٣\صـ٣٧٥) على القول بأنها من آخر ما نزل .انظر الدوسري :دامنيرة الدوسري .أسماء سور القرآن و فضائلها ،رسالة دكتوراة ،مطبوع دار ابن الجوزي ١٤٢٦هـ ،صـ٧٣-٧٤

المطلب الثالث: اسم السورة.

سميت هذه السورة المباركة في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة (سورة المجادلة) بكسر الدال أو بفتحه[1]. وتسمى سورة (قد سمع) _ذكره الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان[2] _ وهذا الاسم المشتهر في الكتاتيب في تونس.

و سميت في مصحف أبي بن كعب (سورة الظهار) وذكره أيضا الإمام السيوطي في الإتقان[3].

قال الإمام ابن عاشور: ولم يذكر المفسرون ولا شارحو كتب السنة ضبطه. بكسر الدال أو فتحها. وذكر الخفاجي في حاشية البيضاوي عن الكشف أن كسر الدال هو المعروف، ولم أدر ما أراد الخفاجي بالكشف الذي عزا إليه هذا)، فكشف القزويني على "الكشاف" لا يوجد فيه ذلك، ولا في التفسير المسمى "الكشف والبيان" للثعلبي. فلعل الخفاجي رأى ذلك في الكشف، الذي ينقل عنه الطيبي في مواضع تقريرات لكلام الكشاف وهو غير معروف في عداد شروح الكشاف، وكسر الدال أظهر لأن السورة افتتحت بذكر التي تجادل في زوجها فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدال، وهي التي ذكرها الله بقوله: "ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا " [المجادلة:١]. ورأيت نسخة من حاشية محمد الهمداني على الكشاف المسماة (توضيح المشكلات)، بخط مؤلفها جعل علامة كسرة تحت دال المجادلة. وأما فتح الدال فهو مصدر مأخوذ من فعل "تُجَـٰدِلُك" كما عبر عنها بالتحاور في قوله تعالى: "وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ "[

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم إعداد نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن بإشراف أ.د. مصطفى مسلم جامعة الشارقة ،كلية الدراسات العليا و البحث العلمي ،الطبعة الأولى ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ، ٨ج١صـ٢٩

[2] ذكره الشيخ السعدي في تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان صـ٨٤٣

[3] الإتقان في علوم القرآن صـ ١٤٧

المجادلة:١]. والفتح والكسر كلاهما جائز كما ذكر أهل العلم.

و ما قاله الإمام برهان الدين البقاعي: فلما كان مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه سورة الحديد، بمن حاد الله ورسوله لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، واللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها[٢].

وذكر الفيروز أبادي بأنها سميت سورة المجادلة، لقوله: "تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا"[٣].

والذي تجلى من أقوال العلماء أن الذي أجمع عليه علماء التفسير أنهم اختاروا اسم المجادلة لهذه السورة المباركة.

---

[١] تفسير ابن عاشور ج٢٨\صـ٥

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥هـ)خرج أحاديثه و وضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي ،دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان ،الطبعة الرابعة ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ،ج١٧\صـ٤٧٤

[٣] بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفى سنة(٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، ج١\صـ٤٥٦

المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.

من البديهيات المسلم بها، أن النفس البشرية جبلت على حب الفضيلة، والترغيب فيها مع احتياجها بين الفينة والأخرى للمرغبات والمحفزات، ومن أعظم ما تحفز إليه النفس البشرية وترغب فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا. لذا اهتم أهل العلم بالتصنيف في فضائل الكتاب العزيز وسوره لإدراكهم رحمهم الله جميعا بأنه دافع عظيم للمسلم ليقبل على كتاب ربه، ومن هنا اكتسبت الفضائل الأهمية والخصوصية بين علوم القرآن الكريم ، فكل ما ورد في فضل القرآن الكريم فهو فضل لجميع سوره المباركة.

وبعد البحث والاطلاع مما يسره الله تعالى لي لم أقف على أحاديث صحيحة صريحة في فضل هذه السورة المباركة.

وكل ما تيسر لي هو حديث واحد موضوع وهو:

عن رسول الله ﷺ : "من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"[1].

---

[1] الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني ،ضبط و توثيق :أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي ،دار الكتاب العربي –بيروت ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ،قال :أخرجه الثعلبي و ابن مردويه و الواحدي ج٤\صـ٢٥٨ بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه . هذا الحديث أخرجه بطوله ابن الشجري في الأمالي الشجرية (ج١/صـ٧٩)، وابن عدي في الكامل (ج٧/صـ٢٥٨٨)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (ج١/صـ٢٤٠)، وقال بعده: (قد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدي في ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبي بكر بن أبي داود كيف فرقه على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن، وهو يعلم أنه حديث محال.)
ثم قال: (حديث فضائل السور مصنوع بلا شك) ، وقال: (نفس الحديث يدل على أنه مصنوع؛ فإنه قد استنفد السور، وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة، لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.) قلت: والحديث له طرق كلها تالفة:
الطريق الأولى: تفرد بها أبو الخليل بزيع بن حبان، قال الدارقطني: وهو متروك.
الطريق الثانية: تفرد بها مخلد بن عبد الواحد، قال ابن حبانفي «المجروحين»: منكر الحديث جدا ينفرد بأشياء مناكير لا تشبه أحاديث الثقات،فبطل الاحتجاج به.
الطريق الثالثة: تفرد بها ميسرة بن عبد ربه، قال عبد الرحمن بن مهدي: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: «من = قرأ كذا فله كذا»؟ قال: وضعته أرغب الناس فيه.
الطريق الرابعة: تفرد بها هارون بن كثير، قال ابن عدي: وهارون غير معروف، ولم يحدث به عن زيد بن أسلم غيره، وهذا الحديث غير محفوظ عن زيد. وروى العقيلي في الضعفاء (ج١/صـ١٧٥): عن عبد الله بن المبارك قال في حديث أبي بن كعب في فضائل السور: أظن الزنادقة وضعته.
وقال العجلوني في كشف الخفا (ج٢/صـ٤١٩): فضيلة قراءة كل سورة، رووا ذلك وأسندوه إلى أبي بن كعب، ومجموع ذلك مفترى وموضوع بإجماع أهل الحديث.

المبحث الرابع: عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك

و فيه تمهيد وثلاث مطالب:

المطلب الأول: تعريف الآية لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: فائدة علم عد الآيات.

المطلب الثالث: عد آيات سورة المجادلة.

تمهيد

يمكن القول بأن علم عدد آي السور قد أشار إليه القرآن، كما في قوله تعالى: "وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ "[الحجر:٨٧].

فعن أبي سعيد بن المعلى قال مر بي النبي وأنا أصلي فدعاني، فلم آته حتى صليت ثم أتيت فقال: "ما منعك أن تأتني" فقلت كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ " ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد " فذهب النبي ليخرج من المسجد فذكرته فقال:"ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" [١].

فقوله ﷺ : "هي السبع المثاني" أي عدد آياتها سبع. كما أشارت إليه السنة في جملة أحاديث منها: عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" [٢].

انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله تعالى وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه. بل كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول ويرشده إلى موضع كل آية من سورتها. ثم يقرؤها النبي ﷺ على أصحابه، ويأمر كتاب الوحي بكتابتها معينا لهم السورة التي تكون فيها الآية وموضع الآية من هذه السورة وكان يقول: "ضعوا آية كذا في سورة كذا [٣] " وكان يتلوه عليهم مرارا وتكرارا، في صلاته وعظاته وفي حكمه وأحكامه. و كان يعارض به جبريل كل عام مرة وعارضه به في العام الأخير مرتين.

---

[١] صحيح البخاري ،كتاب التفسير ،باب "و لقد أتيناك سبع من المثاني و القرآن العظيم" برقم ٤٧٠٣ ،ج٣، صـ٢١٩

[٢] صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين و قصرها ،باب فضل سورة الكهف و آية الكرسي ،ج١ ،صـ٤٦٥ .

[٣] سبق تخريجه ،ينظر صـ٢٦ .

كل ذلك كان الترتيب المعروف لنا في المصاحف. وممن حكى هذا الإجماع جماعة منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر في البرهان إذ يقول ما نصه: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

قال الإمام الزرقاني: "ويعود سبب الخلاف في عد الآي، أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآيات، تعليما لأصحابه بأن هذا الموضوع رأس آية، حتى إذا علموا ذلك وصل الاية بما بعد ها، طلبا لتمام المعنى، فيظن بعض المستمعين أن ما وقف عليه الرسول ليس بفاصلة، فيصلها بما بعدها، معتبرا أن جميع ما قرئ آية واحدة، وبعضهم يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. فمثل هذه المواضع كانت محط اختلافهم وسبب اجتهادهم"[1].

وسبب اختلاف العلماء في عد الآي ذكر الإمام السيوطي – رحمه الله – عن بعض العلماء: "سبب اختلاف السلف في عد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة"[2].

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ج١\صـ٣٠٧

[2] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي صـ١٧٥ .

المطلب الأول: تعريف الآية في اللغة والاصطلاح

في اللغة:

الآية في اللغة تطلق على عدة معان:

١- العلامة: ومنها قوله تعالى: "إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ "[البقرة:٢٤٨]. أي علامة ملكه.

٢- الشخص والجماعة: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيء، وآية الرجل شخصه، إذا قصدت آيته وتعمدته[١].

٣- المعجزة: و منها قوله تعالى: "سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖ"[البقرة:٢١١]. أي معجزة واضحة.

٤- العبرة: ومنها قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً " [هود:١٠٣]. أي عبرة لمن يعتبر.

٥- البرهان والدليل: نحو قوله تعالى: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ "[الروم:٢٢] .

و في الاصطلاح:

قال الجعبري: " حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ أو منقطع مندرج في سورة "[٢].

المطلب الثاني: فائدة علم عد الآي.

١- قال الامام السيوطي ما نصه: " يترتب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهية منها اعتبارها فيمن جهل الفاتحة فإنه يجب عليه بدلها سبع آيات، ومنها اعتبارها في الخطبة فإنه يجب فيها قراءة آية

[١] انظر مختار الصحاح للرازي ،ج١ ،صـ٢٩ ،و كذلك انظر المعجم الوسيط ج١، صـ٣٥ .
[٢] الإتقان في علوم القران للسيوطي ج١ صـ١٨٧

كاملة ولا يكفي شطرها إن لم تكن طويلة وكذا الطويلة على ما حققه الجمهور".

٢- العلم بأن كل ثلاث آيات قصار معجزة للنبي ﷺ، وفي حكمها الآية الطويلة التي تعدل بطولها تلك الثلاث القصار، ووجه ذلك أن الله تعالى أعلن التحدي بالسورة الواحدة فقال سبحانه: "وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ " [البقرة:٢٢].

والسورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأطول سورة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر وهي ثلاث آيات قصار. فثبت أن كل ثلاث آيات قصار معجزة وفي قوتها الآية الواحدة الطويلة التي تكافئها[١].

٣- أنه لو لم يعرف العدد لما علم الناسخ والمنسوخ.

٤- اعتبار علم العدد في باب الإمالة، وبخاصة عند من له الإمالة في رؤوس الآية في السورة المخصوصة، وأعني أبا عمرو البصري وورشا حيث لهما التقليل في ذلك.

المطلب الثالث: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.

هذه السورة المباركة مثلها كمثل غيرها من سور القرآن الكريم التي لم يوحد العلماء آرائهم في عدد آياتها ولم يتفقوا على ذلك.

ذكر الإمام ابن عاشور – رحمه الله – :" وأيها - يعني سورة المجادلة – في عد أهل المدينة وأهل مكة إحدى وعشرون، وفي عد أهل الشام والبصرة والكوفة اثنتان وعشرون"[٢].

[١] مناهل العرفان للزرقاني ج١\ صـ٣٤٤-٣٤٦

[٢] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٦

وكذلك ذكر مثله الإمام السيوطي في كتابه الإتقان: "واختلافهم في آية "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ " فمن اعتبرها آية منفصلة عد اثنتين وعشرين ومن اعتبرها جزءا من الآية التي تليها عدها واحدا وعشرين"[1].

وقد ذكر المفسرون أنها اثنتان وعشرون آية أجمع معظهم على ذلك وذكروه في تفاسيرهم منهم الامام البقاعي، والبغوي، وأبو السعود، والرازي، والنيسابوري، والنسفي، والقاسمي، والامام الشوكاني، والشيخ أبي بكر الجزائري، وكذلك الشيخ الصابوني، وأيضا الإمامان جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي في كتابهما تفسير الجلالين.

وذكر الفيروز أبادي: أن آياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمائة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: " فِى ٱلْأَذَلِّينَ "[2].

وخالفهم الرأي ونأى برأي خاص به الإمام شهاب الدين الألوسي – رحمه الله – حيث قال: إنها إحدى وعشرون في المكي والمدني الأخير، واثنتان وعشرون في الباقي، وفي التيسير: هي عشرون وأربع آيات وهو خلاف المعروف في كتاب العدد[3].

وأكد ذلك أبا عمرو الداني بقوله: وهي إحدى وعشرون آية في المدني الأخير والمكي واثنتان وعشرون في عدد الباقين اختلافها آية "أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ " لم يعدها

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن ج٨\صـ٢٩

[2] انظر بصائر ذوي التميز للفيروز أبادي ج١\صـ٤٥٦

[3] انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ،تحقيق و تخريج د\السيد محمد السيد ،سيد إبراهيم عمران ،دار الحديث –القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، ج١٤\صـ٢٦٥ .

المدني الأخير والمكي وعدها الباقون، وفيها مما يشبه الفواصل موضع واحد وهو "شَدِيدًا"[1].

وفي الأذلين المديني الثاني. .. وأيضا المكي يهملان

وفي سورة المجادلة موضع واحد مختلف فيه، وهو قوله تعالى: " أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ " وقد بينت في البيت الثاني أن المدني الثاني والمكي يهملان عده وغيرهما يعده، والله تعالى أعلم[2].

و هي في المصاحف التي بين أيدينا الآن اثنان وعشرون آية، والله تعالى أعلم.

[1] البيان في عد آي القرآن :المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ) ،المحقق: غانم قدوري الحمد ،الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م صـ٢٤٢ .

[2] فرائد الحسان في عد آى القرآن ،المؤلف: عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي المتوفى سنة (١٤٠٣هـ)، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ،الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ ،صـ٦٥

الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة ووجه اختصاصها بما اختصت به، ويشمل ثلاث مباحث:

المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.

المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

المبحث الثالث: ما اختصت به السورة من موضوعات.

المبحث الأول: المكي والمدني في سورة المجادلة.

و فيه تمهيد وثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريفات المكي والمدني.

المطلب الثاني: السبيل الموصول للمكي والمدني.

المطلب الثالث: مدني سورة المجادلة ومكيها.

تمهيـد

لقد أنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ منجما في ثلاث وعشرين عاما، وهي المدة الكاملة التي قضاها النبي ﷺ في هذه الدنيا بعد تشريفه بالرسالة في سن الأربعين، وانقسمت هذه الفترة إلى مرحلتين هامتين في تاريخ الدعوة الإسلامية: هما الدعوة في الفترة المكية، والدعوة في الفترة المدنية. وكان القرآن ينزل على النبي ﷺ طوال هاتين الفترتين.

وكان نزول القرآن في هذه المدة فبعضه نزل في مكة، وبعضه نزل في المدنية بعد الهجرة، فكان ينزل عليه القرآن أينما أقام في السفر والحضر فكان منه المكي والمدني.

والذي سيكون الحديث عنه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريفات المكي والمدني.

قال الزركشي: اعلم أن للناس في ذلك ثلاث اصطلاحات:

١- المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم المدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار[١].

٢- المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

٣- المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة [٢].

---

[١] و هذا الرأي هو الراجح كما أقره جمهور العلماء حيث إنه لم يوجه إليه نقد أو إعتراض بخلاف القولين الآخرين ففيهما نظر _و الله تعالى أعلم_ .

[٢] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا –بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ،ج١،صـ٢٣

المطلب الثاني: السبيل الموصل للمكي والمدني.

يقول الزرقاني: لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني إلا بما ورد عن الصحابة والتابعين في ذلك لأنه لم يرد عن النبي ﷺ بيان للمكي والمدني. وذلك لأن المسلمين في زمانه لم يكونوا في حاجة إلى هذا البيان، كيف وهم يشاهدون الوحي والتنزيل، ويشهدون مكانه وزمانه، وأسباب نزوله عيانا" وليس بعد العيان بيان"[1].

قال القاضي أبو بكر في الانتصار: " إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ولم يرد عن النبي ﷺ في ذلك القول لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على اهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول "[2].

وقد أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال: " والله الذي لا اله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أ علم أحدا، أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني كتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"[3].

---

[1] الزرقاني مناهل العرفان ج١،صـ١٧٩ .

[2] البقلاني :أبو بكر ابن الطيب .الانتصار للقرآن ،ج١،صـ٢٤٧ .

[3] انظر البخاري .الجامع الصحيح ،في باب (القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم)،رقم ٥٠٠٢ ،ج٣ ،صـ٣٤٧.

المطلب الثالث: مكي سورة المجادلة ومدنيتها.

بحسب زمن النزول انقسمت سور القرآن الكريم وآياته إلى ما يسمى بالمكي والمدني، وكان لكل قسم منهما خصائصه وسماته وأغراضه وأهدافه ومقاصده، والتي يختلف كل قسم منها إلى حد بعيد عن القسم الآخر، حسب طبيعة المرحلة التي اقتضت ذلك النزول، فالسور المكية يمكن التعرف عليها من خلال مقاصدها وأغراضها، وكذلك بالنسبة للسور المدنية.

سورة المجادلة مدنية بالاتفاق قاله الفيروز آبادي[1]. وهي كذلك لما تحتويه من صفات السور المدنية وخصائصها، من الإطالة، والحكاية عن المنافقين وفضح حالهم، حيث كان النفاق في المدينة ولم يكن في مكة، حيث كان في مكة الكفر ظاهرا جليا وكذلك العداوة للرسول ﷺ والمؤمنون.

قال النحاس: حدثني يموت بن المزرع: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد الجستاني، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى: حدثنا يونس بن حبيب: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهدا عن تلخيص أي القرآن، المدني من المكي فقال: سألت ابن عباس عن ذلك فقال: " .. ونزل بالمدنية سورة الأنفال وبراءة والنور والأحزاب وسورة محمد والفتح والحجرات والحديد وما بعدها إلى التحريم". هكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات[2]. - والمجادلة من السور التي قبل التحريم بالطبع -.

وقال البيهقي في دلائل النبوة: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو محمد بن زياد العدل، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، حدثنا علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، حدثني يزيد النحوي، عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا: .. وما نزل بالمدينة. .. وذكر منه والمنافقون، والمجادلة، والحجرات [3].

---

[1] ينظر بصائر ذوي التميز للفيروز أبادي ج١١صـ٤٥٦

[2] الإتقان للسيوطي صـ٣٧-٣٨

[3] دلائل النبوة ج٧صـ١٤٢-١٤٣ بسند حسن .من كتاب الإتقان .

وقال ابن الضريس في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي، أنبأنا عمر بن هارون، حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كانت إذا أنزلت فاتحة سورة. .. وأما ما أنزل بالمدينة: . .. ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات [1].

وقال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، نبأنا هشام، عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن:. .. والرحمن، والمجادلة، والحشر.... [2]

وفي تفسير القرطبي مدنية في قول الجميع. إلا رواية عن عطاء: أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي، وقال الكلبي: نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى:

"مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" نزلت بمكة [3].

قال الإمام الألوسي: وهي على ما روى عن ابن عباس، وابن الزبيرﷺ مدنية، قال الكلبي وابن السائب: إلا قوله تعالى: "مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" وعن عطاء: العشر الأول منها مدني وباقيها مكي [4]. وذكر السيوطي ايضا

---

[1] فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة : أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي المتوفى سنة (٢٩٤هـ) ،تحقيق: غزوة بدير ،الناشر: دار الفكر، دمشق – سوريا،صـ٣٣-٣٥

[2] الناسخ و المنسوخ في القرآن الكريم تأليف الإمام ابي جعفر محمد بن أحمد بن اسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بأبي جعفر النحاس المتوفى سنة (٣٣٨هـ) رواية أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدفوي النحوي ، نسخه صححه و مقرؤوه على العلامة أحمد بن أمين الشنقيطي ، مؤسسة الكتب الثقافية –بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م ،صـ ٥٢-٥٣

[3] الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي بيروت-لبنان ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م ،ج٩\صـ٢٢٩

[4] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني لألوسي ج١٤\صـ٢٦٥

استثناءات المكي والمدني والعكس من ذلك: فذكر أنه استثنى من سورة المجادلة: "مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ " الآية. حكاه ابن فرس وغيره[1].

وذكر ابن الجوزي أنها مدنية في قول ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعكرمة والجمهور [2]. وأخرج ابن مردويه عن الزبير. والله أعلم.

و قد عدها الزركشي في السور المدنية ولم يذكر أن بها آية مكية.

هذا وبعد الاطلاع على مميزات السور المدنية وتمحيصها وجدت أن هذه السورة المباركة تتفق مع تلك الصفات والميزات ولا تخرج عنها فالسور المدنية من شأنها:

١- أن يخاطب القرآن فيها – غالبا - مجتمعا إسلاميا فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات، والمعاملات، والحدود، والفرائض، وباقي الأحكام.
٢- نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين فتحدث القرآن الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم، وبين خطرهم على الاسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخباياهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين، - و هذا ظاهر جليٌ في آيات السورة المباركة واضحا في عرضه - ولم يكن في مكة نفاق لأن المسلمين كانوا قلة مستضعفين فكان الكفار يحاربونهم جهارا.
٣- عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود وكانوا يمكرون مكرا سيئا، ويكيدون للإسلام وأهله، فكشف القرآن في المدينة سرائرهم وأبطل عقائدهم، وكشف تحريفهم لديانتهم، وبين بطلان عقائدهم، ودعاهم إلى الإسلام بالحجة والبرهان.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ،للسيوطي صـ٥٤

[2] زاد المسير في علم التفسير للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) دار ابن حزم بيروت-لبنان ،الطبعة الأولى الجديدة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ،صـ ١٤٠٤

٤- الغالب على الآيات والسور المدنية طول المقاطع والسور لبسط الأحكام التشريعية، فقد كان أهل المدينة مسلمين يقبلون على سماع القرآن. وينصتون حتى كأن على رؤوسهم الطير، فالمقام ليس مقارعة ولجاجا يناسبه الايجاز، بل مقام إقبال وإنصات وإذعان يناسبه الاسترسال والإطناب[١].

وهذه الاساسيات التي سردتها في السور المدنية تشكل هنا المحاور الرئيسية لسورة المجادلة وتفصل ما ورد في هذه السورة من موضوعات واطروحات ناقشتها السورة وفصلت فيها.

[١] دراسات في علوم القرآن الكريم تأليف أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أستاذ الدراسات القرآنية كلية المعلمين بالرياض ،مكتبة التوبة ،الرياض –المملكة العربية السعودية ،الطبعة التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ،صـ١٣٢ .تم جمعها و صياغتها .

المبحث الثاني: وجه ختصاص السورة بما اختصت به.

و فيه تمهيد ومطلبين:

المطلب الأول: تعريف خواص القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.

تمهيـــد

من العلوم التي لها ارتباط وثيق بتدبر القرآن والعمل به، ويعتبر من أهم الدوافع للإقبال على القر آن الكريم علم خواص القرآن، لذا فقد أهتم به العلماء قديما وحديثا وصنف فيه مؤلفات لتأصيله، وبيان أهميته، وتعلقه بعلوم القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف خواص القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

تعريف الخواص في اللغة:

قال الجوهري: خصه بالشيء خصوصا، واختصه بكذا، أي يخصه به. والخاصة خلاف العامة [1].

قال الراغب: التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم، والتعمم، والتعميم، وخصان (والخصان كالخاصة)، ومنه قولهم: إنما يفعل هذا خصان الناس، أي خواص منهم.

الرجل: من يختصه بضرب من الكرامة، والخاصة ضد العامة، قال تعالى: "وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ "[الأنفال:٢٥]. أي بل تعمكم، وقد خصه بكذا يخصه، واختصه يختصه، قال: "يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ"[آل عمران:٧٤] [2].

[1] الصحاح ،تاج اللغة ،و صحاح العربية ،إسماعيل بن حماد الجوهري ،تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطاء ،دار العلم –بيروت ١٤٠٧هـ ،ج٣،صـ١٠٣٧ .

[2] مفردات ألفاظ القرآن تصنيف العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى بعد (٤٢٠هـ) راجعه و علق عليه نجيب الماجدي ،المكتبة العصرية ،صيدا –بيروت .١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .صـ٣٠٠.

قال ابن منظور: " خصه بالشيء يخصه خصا وخصوصا وخصوصية وخصوصية والفتح أفصح خصيصى وخصصه واختصه أفرده به دون غيره ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد وخص غيره واختصه ببره "[1].

وخاصة الشيء ما يختص به دون غيره، و(الخاصية) نسبة إلى الخاصة. والخواص جمع خاصة[2].

الخواص اصطلاحا:

خواص القرآن يتعرف بها الآثار المترتبة على قراءة القرآن الكريم، والخواص المناسبة لها[3].

المطلب الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به:

لكل سورة من سور القرآن فضيلة أو فضائل تمتاز به عن غيرها باقي السور، فكل سورة من السور اختصت بما ذكر فيها دون غيرها فكان مزية لها تميزها.

لقد تناولت سورة المجادلة في طياتها العديد من الموضوعات، العقدية والتشريعية، والتاريخية والأخلاقية، شأنها شأن السور المدنية التي جاءت لبناء الإنسان ككيان مستقل له حريته وتصرفاته، غير خاضع لأي قوة من قوى الأرض الضعيفة التي من شأنها استعباد البشر ومصادرة حرياتهم، ولهذا كان للسور المدنية، أهداف ومهام واضحة، ومن تلك الأهداف التشريع للعبادات، وإرساء الحقوق والعدل بين الناس.

فقد عالجت سورة المجادلة موضوعات عدة جليلة لم يذكر بعضها إلا في هذه السورة، وبعضها بسط في موضع آخر وفصل بها، وهناك من الموضوعات كانت تتمتها في هذه السورة المباركة، وبعض الموضوعات ذكرت بها باختصار وفصلت

---

[1] ابن منظور لسان العرب ج١،صـ٢٤ .

[2] الفيروز أبادي القاموس المحيط صـ٦١٧ .

[3] الهويمل :التركي بن سعد بن فهيد .خواص القرآن الكريم ،رسالة علمية للدكتوراه ،بإشراف دابدر بن ناصر البدر ، دار ابن الجوزي١٤٢٩هـ، صـ١٩ .

في مواضع أخرى من كتاب الله تعالى، وتلك عادة كتاب الله تعالى في التناسق والانسجام فهو يكمل بعضه بعضا، وهو كل لا يتجزء. ومع ذلك فإن لكل سورة منه تميزها وتفردها الذي تفردت به عن غيرها من السور.

أولا : الموضوعات التي تميزت بها السورة .

١- كانت سورة المجادلة بما فيها من الآيات ترد على كل من ينكر وجود الله عزوجل فهي دليل على وجوده سبحانه وتعالى، بأنه أنزل الوحي على نبيه، فنزول الوحي مباشرة عندما شكت المجادلة للرسول ﷺ دليل على علاقة البارئ عز وجل بخلقه وعباده المؤمنين وقربه منهم ورحمته بهم في تفريج كرباتهم "وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ "[الحديد:٤] أي مطلع عليهم. ولذلك نزل القرآن سريعا في التو واللحظة إذ كان سماع الله تعالى لها سماع إجابة بدليل أنه أنزل الحكم مباشرة بعد بث الشكوى ودعائه تعالى[١].

٢- حين جاءت النبي ﷺ تشكي إليه زوجها أوس بن الصامت، الذي ظاهرها فكانت شكواها للرسول ﷺ وقلبها موقن ومؤمن بالله مولاها وربها، واثقة بأنه سيفرج همها ويفرج كربها، من الخصائص المهمة التي تميزت بها هذه السورة المباركة دون غيرها من سور القرآن الكريم أنها عالجت أحكام الظهار في مطلعها، وبينت حكمه، وأحكامه، وبسطت القول في ذلك. وقد تطرقت السورة لبعض حقوق المرأة حيث أنها رفعت عنها ظلم الجاهلية والعدوان عليها، وذلك بأن أبطلت الظهار والذي كان بمنزلة الطلاق في الجاهلية، و حرمته أبدا، وأعادت للمرأة كرامتها وإنسانيتها، التي أكرمها الله بها. والمرأة عندما تتقين أن هذا الدين ينصفها ويعطيها حقها تربي أسرتها على مبادئ هذا الدين وعلى الوحدة. ومن اللافت أن هذا الجزء (٢٨) إبتدء بقصة امرأة وانتهى بذكر نماذج نسائية في آخر سورة التحريم، وهما امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، تماما كما جاءت سورة كاملة باسم النساء وهذا فيه حجة ودليل على من يدعي أن الإسلام بخس المرأة حقها في المجتمع.

---

[١] يرجع إلى تفسير الشعراوي :محمد متولي الشعرواي ،راجع أصله و حقق أحاديثه :أحمد عمر هاشم ،أخبار اليوم –قطاع الثقافة- القاهرة .نقل بتصرف يسير .

٣- النجوى مما تفردت به هذه السورة وتميزت، إذ بينت حكم النجوى وآدابها وضوابطها، وهو موضوع مرتبط بالموضوع الكلي للسورة، كذلك ذكرت النجوى الخاصة بالرسول ﷺ وتفردها بهذه الآيات الخاصة بهذا الموضوع وتقديم الصدقة قبل مناجاته ﷺ ، ونسخت الآية بالتي بعدها ولم يذكر هذا الحكم إلا في هذه السورة الكريمة وكانت هذه الآية من أهم ما يميز هذه السورة المباركة.

٤- تميزت السورة الكريمة بذكر آداب المجالس والمكافأة على هذه الاداب، وعلى الامتثال لاوامر الله ورسوله ﷺ كما تحدثت عن فضيلة العلم الشرعي وأهله، وأن لهم منازل عالية حسية ومعنوية في الدارين، ونكرت الدرجات لشدة علو منازل أهل العلم، قال ابن مسعود: "مدح الله العلماء في هذه الآية"[١]. وقال القرطبي: " بين في هذه الاية أن الرفعة عند الله بالعلم والإيمان لا بالسبق إلى صدور المجالس" [٢]. وتأكيد وتأصيل عرى الإيمان بين المؤمنين وأنها هي الرابط الأقوى والأول فيما بينهم.

٥- معيته تعالى لخلقه، الناتجة عن علمه، فهو المطلع بشؤونهم، القائم بأحوالهم، فهو عزوجل مطلع على كل ذرة في الكون، لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه سرا ولا علانية وذلك لإحاطته بما يجري بين عباده من حديث ونجوى، والغرض أنه تعالى حاضر مع عباده مطلع على أحوالهم وأعمالهم، وما تهجس به أفئدتهم[٣].

٦- تنبيه وتحذير المسلمين بأن لا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة المخادعة. حيث تعرض لصفاتهم وبين خبايا نفوسهم ونواياهم، وفريقهم الذي ينتسبون إليه ومنابذتهم للمؤمنين. وختم السورة بمدح أوليائه لعدم موالاتهم لهؤلاء الأعداء[٤].

---

[١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ج١٤\صـ٣٠٠

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٤

[٣] صفوة التفاسير للصابوني ج٣\صـ١٢٩٦

[٤] التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج٨\صـ٣٣

ثانيا : الأسلوب الذي تميزت به .

١- إن سورة المجادلة بدأت ببداية مؤكدة بحرف التوكيد "قد". و"قد" أصله حرف تحقيق الخبر، فهو من حروف توكيد الخبر ولكن الخطاب هنا للنبي ﷺ وهو لا يخامره تردد في أن الله يعلم ما قالته المرأة التي جادلت في زوجها. فتعين أن حرف **"قد"** هنا مستعمل في التوقع، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع[١]. قال صاحب الكشاف: لأن رسول الله ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها [٢].

٢- قال المفسرون: ابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ" واختتمها بالعلم بقوله: "إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ". لينبه باحاطة علمه. قال ابن كثير: وقد حكى بالإجماع على أن المراد بالمعية في هذه الآية "إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ". معية علمه تعالى، ولاشك في إرادة ذلك، فسمعه مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء[٣].

٣- ومن الخصائص التي تميزت بها هذه السورة المباركة أن فيها آية نسخت حكما لا تلاوة فالآية المنسوخة هي قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً. .." الآية. والناسخ لها الآية التي تليها "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ" وهذا قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين كعلي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وعكرمة والحسن البصري وغيرهم،

---

[١] التحرير و التنوير لابن عاشور ٢٨ج\صـ٧- ٨

[٢] الكشاف للزمخشري ،ج٤\صـ٣٦٥

[٣] تفسير القرآن العظيم تأليف أبو الفداء الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي ت سنة (٧٧٤هـ) راجعه و نقحه الشيخ خالد محرم ،الطبعة ٢٠١١م-١٤٣٢هـ ،المكتبة العصرية ،صيدا –بيروت . ج ٤\صـ٢٩٠

ورجحه ابن كثير والزركشي والسيوطي أيضا[1]. وإلى ذلك أشار محمد بن حزم كما نقل عنه صاحب الروح والريحان حيث قال: قال محمد بن حزم: سورة المجادلة كلها محكم إلا آية واحدة وهي قوله تعالى : "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً. .." الآية " من المجادلة نسخت بقوله: "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ" فنسخ الله تعالى ذلك باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله وللرسول[2].

٤- و لا تزال السورة في شمولها لعلم الله عزوجل بالوجود واحاطته بخلقه إذ هو الأعلم بحال المنافقين وخباياهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم، واستحواذ الشيطان لهم وتسيره لهم، وبين عاقبتهم بالخسران والعذاب المهين لهم في الدنيا والآخرة.

ثالثا : الألفاظ التي تميزت بها السورة .

ورود ألفاظ في هذه السورة لم ترد في غيرها (تُجَـٰدِلُك- تَتَنَـٰجَوْاْ- تَحَاوُرَكُمَا - كُبِتُوا- تَفَسَّحُواْ- ٱنشُزُواْ-ٱسْتَحْوَذَ- عَشِيرَتَهُم).

فكان من جمال هذه السورة الرائعة وإبداعها كونها أصبحت درسا للمسلمين في الشجاعة وعدم المهابة من الظالم وسالب الحق - مهما كان قويا وقادرا على الظلم - لأنه يجب أن يكون الإيمان بقوة الله وقدرته أكبر وأعظم من مهابة خلقه وقدرتهم الضعيفة.

و كان هذا النموذج الجميل والرائع أنموذجا من نماذج الحياة في عهد رسول الله ﷺ بكل تفاصيلها ودقائقها المربية التي بقيت كما ذكرنا درسا وعبرة للمؤمنين في علاقتهم بخالقهم وفي علاقتهم بعضهم ببعض، وفي هذا كله صورة من حياة تلك الجماعة الفريدة في تلك الفترة، وشعورها بتلك الصلة المباشرة، وانتظارها التوجيه

[1] ينظر كل ذلك جامع البيان ج١٢\صـ٢٠-٢٢ ،القرآن العظيم ج٤\صـ٢٩٤-٢٩٥ ،الأتقان صـ٥٢٥ ، البرهان في علوم القرآن ج١٢\صـ٢٨ ،

[2] الروح و الريحان للشيخ محمد هرري .

من السماء في كل شأن من شؤونها، واستجابة السماء لهذا الانتظار، الذي يجعل الجماعة كلها عبادا لله وهو يرعاها، وهي تتطلع اليه تطلع الطفل الصغير لرعاية والديه[1].

[1] يرجع إلى في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦صـ٣٥٠٦ نقل بتصرف .

الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة، ومقاصد السورة وأهدافها، وتاريخ نزول السورة والجو العام الذي نزلت فيه .

ويحتوي على ثلاث مباحث:

المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة .

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

المبحث الثالث : تاريخ نزول سورة المجادلة و الجو العام الذي نزلت فيه .

المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.

و فيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول عند العلماء، وفوائدها.

المطالب الثاني: أسباب النزول الواردة في السورة.

تمهـــيد

أسباب النزول من الموضوعات المهمة في علم التفسير، لارتباطه بتنزل كلام الله الذي هو أشرف الكلام، وشرف العلم مبني على شرف المعلوم، لارتباطه بتفسير كتاب الله، والكشف عن الحكم والأحكام التي لا تدرك إلا به، ولأنه سبب رئيس في إبراز تناسق كلام الله، ووحدة نظمه، ناهيك عن تعلقه بالكثير من علوم التفسير.

المطلب الأول: تعريف أسباب النزول عند العلماء، وفوائدها:

لفظة (أسباب النزول) تتكون من كلمتين: أسباب، ونزول.

السبب في اللغة:

الحبل وما يتوصل به إلى غيره[١].

معنى النزول : النزول في الأصل هو انحطاط من علو، يقال نزل عن دابته ونزل من مكان كذا حط رحله فيه[٢].

سبب النزول في الاصطلاح:

قال السيوطي: " والذي يتحرر في سبب النزول وهو ما نزلت الآية أيام وقوعه " [٣].

وقال الزرقاني: "سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أي مبينة لحكمه أيام وقوعه" [٤].

إن لأسباب النزول فوائد جمة وعظيمة، لا كما يزعم البعض أنها ليست بذات فائدة أو أن فوائدها قليلة.

---

[١] ابن منظور ،لسان العرب ج١،صـ٤٥٥ ،القاموس المحيط ج١،صـ١٢٣

[٢] المحرر في أسباب نزول القرآن تأليف :خالد بن سليمان المزيني ،رسالة دكتوراه إشراف د علي سليمان العبيد ،دار ابن الجوزي ١٤٢٩هـ،ج١ ،صـ١٠٢ .

[٣] الاتقان للسيوطي ج١ ،صـ٩٠ .

[٤] مناهل العرفان للزرقاني ج١،صـ١٠٦

- **الفائدة الأولى**: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وفي ذلك نفع للمؤمن وغير المؤمن. أما المؤمن فيزداد إيمانا على إيمانه ويحرص كل الحرص على تنفيذ أحكام الله والعمل بكتابه لما يتجلى له من المصالح والمزايا التي نيطت بهذه الأحكام ومن أجلها جاء هذا التنزيل. وأما الكافر فتسوقه تلك الحكم الباهرة إلى الإيمان إن كان منصفا حين يعلم أن هذا التشريع الإسلامي قام على رعاية مصالح الايمان لا على الاستبداد والتحكم والطغيان خصوصا إذا لاحظ سير ذلك التشريع وتدرجه في موضوع واحد[١].
- **الفائدة الثانية:** أنه يعين على فهم الآية، ودفع الإشكال عنها. قال الواحدي في حديثه عن علوم القرآن ومنه أسباب نزول الآية: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٢].

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[٤].

- **الفائدة الثالثة:** قال الزركشي: "دفع توهم الحصر عما يفيده بظاهره الحصر".
- **الفائدة الرابعة:** تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب[٤].
- **الفائدة الخامسة:** معرفة اسم من نزلت فيه الآية وتعيين المبهم فيها، ومن ذلك ما روي في سبب نزول سورة المجادلة التي بين أيدينا، وذكر المجادلة التي هي خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت كما ورد في الصحيحين.

---

[١] مناهل العرفان للزرقاني ج١، صـ١٠٩-١١٣ .

[٢] أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، و اعتنى به وليد الزكري ،المكتبة العصرية صيدا- بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ -٢٠١١م ،صـ٨ .

[٣] السيوطي الاتقان في علوم القرآن ج١،صـ٨٣ .

[4] ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم ،مجموع الفتاوى ،مجمع الملك فهد ج١٣ ،صـ٣٣٩ .

[٤] يرجع للمصدر نفسه .

- **الفائدة السادسة:** تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة. كل ذلك من دواعي تقرر الأشياء وانتقاشها في الذهن وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس[1].

المطلب الثاني: أسباب النزول التي وردت في السورة.

بدأت السورة بقاعدة التخلية قبل التحلية، فردت عادات الجاهلية وؤدتها فافتتحت الآيات بحل مشاكل المجتمع المسلم، فافتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها وتنويها بالمرأة التي وجهت شكواها إلى الله تعالى، بأنها لم تقتصر في طلب العدل في حقها وحق بنيها. ولم ترض بعمل زوجها وإبتداره إلى ما ينثر عقد عائلته دون تبصر ولا روية، وتعليما لنساء الأمة الإسلامية ورجالها واجب الذود عن مصالحها[2]. و هي خولة بنت ثعلبة : هي خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهد بن ثعلبة بن غنم بن عوف من ربات الفصاحة والبلاغة والجمال وصاحبة النسب الرفيع ، لم يتأكد من تثبيت سنة وفاتها ومدفنها[3]. زوجها هو أوس بن الصامت : أبوه: الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرجي الأنصاري. أمه: قرة العين بنت عبادة. وهو ممن شهد بدرا وأحدا، وأغلب الغزوات مع رسول الله ﷺ. وأنجبت منه زوجته خولة ولدهما الربيع بن أوس.

١. سبب نزول قوله تعالى: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ".

[1] مناهل العرفان للزرقاني ج١،صـ١١٣ .
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٦
[3] من كتاب نساء حول الرسول للدكتور بسام محمد حمامي صفحة ٤٨

أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا" وهو أوس بن الصامت [1].

٢. سبب نزول قوله تعالى: "يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ "

وأخرج أحمد وأبو دواد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال: حدثتني خولة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه، فدخل عليا يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، ثم رجع فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل عليا فإذا هو يريدني عن نفسي، قلت كلا والذي نفس خولة بيده لا تصل إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فما برحت حتى نزل القرآن، فتغشى رسول

[1] أخرجه البخاري ١٣ / ٣١٦ في التوحيد، باب قول الله تعالى: {وكان الله سميعا بصيرا} تعليقا، ووصله النسائي ٦ / ١٦٨ في النكاح، باب الظهار، وأخرجه أحمد في " المسند " ٦ / ٤٦، وإسناده صحيح، و صححه الحاكم في " المستدرك " ٢ / ٤٨١ و وافقه الذهبي، وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٠٦٣)، وأخرجه الحاكم في " المستدرك " ٢ / ٤٨١ وصححه و وافقه الذهبي.

الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه، فقال لي: يا خولة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك، ثم قرأ علي "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ" إلى قوله: "عَذَابٌ أَلِيمٌ".

فقال رسول الله ﷺ : مريه فليعتق رقبة، قلت: يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قلت: والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر، قلت: والله ما ذاك عنده، قال: رسول الله ﷺ : فإنا سنعينه بعرق من تمر، فقلت: وأنا يا رسول سأعينه بعرق آخر، فقال: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا، قالت: ففعلت [1].

وروى الإ مام أحمد في مسنده: لما روي عن خولة بنت ثعلبة قالت: والله في وفي أوس بن الصامت أنزل الله – عز وجل- صدر سورة المجادلة قال: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا قد سـ اء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنتي علي كظهر أمي قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني على نفسي، قال: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت، حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. . ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله ﷺ قول: " يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه " قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ماكان يتغشاه ثم سري عنه، فقال لي: "يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك" ثم قرأ علي "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ إلى قوله:"وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " فقال لي رسول الله ﷺ "مريه فليعتق رقبة ". قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: " فليصم شهرين متتابعين " قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه لشيخ كبير ما به من صيام، قال: "فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر" قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، فقال رسول الله ﷺ : " فإنا سنعينه بعرق من تمر" قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه

[1] المستدرك للحاكم .

بعرق آخر، قال: " قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا، قالت: ففعلت"[1].

وروى أبو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: " ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت ﷺ فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه ورسول الله ﷺ يجادلني فيه ويقول: اتقي الله فإنه ابن عمك، فما برحت حتى نزل القرآن "قَد سَمِعَ ٱللَّهُ" إلى الفرض، فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: يصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به قال: فأتي ساعتئذ بعرق من تمر، قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا، وارجعي إلى ابن عمك "[2]. وروى الدار قطني أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " إن أوس بن الصامت رضي الله عنه ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها فشكت إلى النبي ﷺ فقالت: ظاهر مني حين كبر سني ورق عظمي، فأنزل الله آية الظهار، فقال رسول الله ﷺ لأوس اعتق رقبة، قال: مالي بذلك يدان، قال: فصم شهرين متتابعين، قال: أما إني إذا أخطأني أن آكل في اليوم مرتين يكل بصري، قال فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا أن تعينني منك بعون وصلة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له، والله رحيم " قال: وكانوا يرون أن عنده مثلها، وذلك لستين مسكينا[3] ، وللدار قطني أيضا والبيهقي " أن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت أخو عبادة رضي الله عنهما وهي تصلي فراودها فأبت فغضب، وكان به لمم وخفة فظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ فقالت إن أوسا تزوجني وأنا شابة مرغوب في، فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني عليه كأمه "[4].

---

[1] أخرجه أحمد في المسند ،أحمد بن حنبل ، المسند ،رقم الحديث ٢٦٩٠٩

[2] أخرجه أبو داود ٢٢١٤ و ٢٢١٥ و ابن حبان ٤٢٧٩ و البيهقي ٣٩١\٧-٣٩٢ و أحمد ٤١٠\٦-٤١١ من حديث خولة و إسناده ضعيف ، لجهالة معمر بن عبد الله ،انظر الميزان ١٥٥\٤ .

[3] أخرجه الدار قطني ٣١٦\٣ من حديث أنس و للحديث شواهد .راجع ايضا أسباب النزول للنيسابوري صـ٢٢٨-٢٢٩ .

[4] أخرجه البيهقي ٣٩٢\٧ من حديث خولة بنت ثعلبة ،و هو حسن في الشواهد .

وللطبراني من طريق أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: " كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لمم، فقال في بعض هجراته: أنت علي كظهر أمي، قال: ما أظنك إلا قد حرمت علي، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لا تقل كذلك والله ما ذكر طلاقا، فراددت النبي ﷺ مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو إليك فاقتي ووحدتي وما يشق علي من فراقه "[1] الحديث، ومن طريق أبي العالية قال: فجعل كلما قال لها " حرمت عليه " هتفت وقالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية، وروى أبو داود عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس ابن الصامت وكان رجلا به لمم فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار[2].

٣. سبب نزول قوله تعالى: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧ "

ومن معيته تعالى لخلقه أن تلك المعية موجودة بالفطرة في النفس البشرية وإن جحدتها، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن قوله تعالى: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ . .". نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية: كانوا يوما يتحدثون، فقال: أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول ؟ فقال الأخر: يعلم بعضا ولا يعلم بعضا. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا هو يعلم كله[3].

---

[1] أخرجه الطبراني و هو مرسل .
[2] أخرجه أبو داود ٢٢١٩ عن هشام بن عروة مرسلا .
[3] ذكره الزمخشري في الكشاف بلا سند ، ج٤\صـ٣٦٨

٤. سبب نزول قوله تعالى: أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨

ذكرت عادات المنافقين ومؤامراتهم، ففي قوله تعالى: "أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ. .." فكشفت ما خفي من نواياهم وعما تنطوي عليه قلوبهم فبانت حقيقتهم للمؤمنين.

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله "أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ " الآية، وأخرج أحمد والبزار[1]. والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن يهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول. فنزلت هذه الآية. "وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ" وفي الباب عن أنس وعائشة [2].

صح من رواية البخاري ومسلم غيرهما عن عائشة: " أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال ﷺ وعليكم، قالت عائشة: وقلت: عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم "و في رواية "عليكم السام والذام

[1] مسند أحمد .و مسند البزار .
[2] لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي صـ٤٣٢

واللعنة" فقال ﷺ: يا عائشة إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، فقلت: ألا تسمعهم يقولون: السام ؟ فقال ﷺ : أو ما سمعت أقول: وعليكم[1] ؟

وهذا معصية من معصياتهم للرسول ﷺ وأنموذجا منها. فكانوا يلقون التحية عليه الصلاة والسلام بغير ما أنزل الله، وكانت دعاء عليه بغير لفظ السلام.

فكانوا يحرفون ذلك السلام بقولهم السام عليك: أي الموت، أو قولهم بتحايا الجاهلية مثل أنعم صباحا أو غير ذلك، مريدين بذلك معصيته ﷺ ومخالفة أمره.

والله تعالى يقول: "وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ "[النمل:٥٩].

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا قد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلما طال ذلك في قلوبهم وكثر، شكو إلى رسول الله ﷺ ، فأمرهم أن يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني قال: أخبرنا محمد بن إسحاق السراج قال: أخبرنا قتيبة بن سعيد قال أخبرنا جرير عن الاعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم وفعل الله بكم، فقال: رسول الله ﷺ : " مه ياعائشة فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش " فقلت: يا رسول ألست أدري ما يقولون ؟ قال: "ألست ترين أرد عليهم ما يقولون ؟ أقول: وعليكم". ونزلت هذه الآية في ذلك

[1] متفق عليه :أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٥٠١٥)حديث رقم ٦٠٣٨ من طريق ابن أبي مليكة ..به ،و مسلم في صحيحه (١٧٠٧١٤-٢١٦٥) من طريق مسروق ..كلاهما ابن أبي مليكة ،مسروق عن عائشة ..به .

"وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ. .."[1].

وروى أحمد والبزار والطبراني بإسناد – قال الهيثمي في المجمع إنه جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة – عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليك. ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت[2].

٥. سبب نزول قوله تعالى: "إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ"

فبعد أن بين فعلهم ونواياهم عليهم إذ أنهم لا يقدموا الشر للمؤمنين فهم مجرد أفواه تصيح وقلوب تبغض قال تعالى: "إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ " قال الواحدي: قال المفسرون: إن المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوءهم، فيحزنون لذلك، فلما طال ذلك وكثر، شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[3].

وقال الإمام الطبري أيضا حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن عاشور، عن معمر قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين يتناجون، يشق عليهم، فنزلت " إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ" [4].

---

[1] أسباب النزول للنيسابوري صـ ٢٢٩ ،سنن ابن ماجه ،باب رد السلام على أهل الكتاب ج١٢\صـ١٢١٩،حكم الألباني :صحيح .

[2] أخرجه البزار ٢٢٧١ و الطبراني كما في المجمع ١٢٢١٧ و أحمد (٦٥٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي : و إسناده جيد .

[3] فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني راجع و علق عليه :الشيخ هشام البخاري ،الشيخ خضر عكاري ،المكتبة العصرية صيدا –بيروت الطبعة الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ج٥\صـ٢٣٢

[4] تفسير الطبري ج١٢\صـ١٥-١٦ (حديث رقم ٣٣٧٦٤-٣٣٧٧٢)

٦. سبب نزول قوله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَـٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ "

ولما نهى تعالى عباده المؤمنون عما يكون سبب للتباغض والتنافر، أمرهم بما يصير سببا لزيادة المحبة والألفة، فكانت الدعوة للتعاضض والتآلف والإحساس ببعضهم البعض فكانت الدعوة للكثير من مكارم الأخلاق ودعاوى الآلفة بينهم، وآثار التراحم والتواد.

عن مقاتل قال: كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر، فيهم ثابت بن قيس وقد سبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ فقال لمن حوله – من غير أهل بدر – قم يا فلان، ثم قم يا فلان، بعدد الواقفين من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه، وطعن المنافقون في ذلك، فقالوا: ما عدل مع هؤلاء، قوم أخذ مجالسهم، وأحبوا القرب منه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عنه ؟؟ فأنزل الله تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ..."الآية [١].

وكان النبي ﷺ يقول: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس ولكن أفسحوا يفسح الله لكم"[٢].

[١] ذكره الواحدي في أسباب النزول ص٣٠٨ من قول مقاتل .
[٢] أخرجه البخاري ٦٢٧٠ و مسلم ٢١٧٧ و أبو داود ٤٨٢٨ و الترمذي ٢٧٤٩ و أحمد ١٢٤١٢ من حديث ابن عمر .و في الباب من حديث جابر عند مسلم ٢١٧٨ و البيهقي ٢٣٣١٣

٧. سبب نزول قوله: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ "

وتظل الآيات الكريمة في تناسقها وتناسبها العجيب الفريد، فهاهي في مكارم الأخلاق والآداب تكمل مسيرة وسلسلة الآداب ثم تأتي وترتفع بنا إلى أسمى الآداب وأرفعها، وهو الأدب مع سيد الخلق ﷺ ، فأنزل الخطاب للمؤمنين موجها لهم في طريقة تعاملهم مع نبيهم ﷺ فقال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ .. "

قال مقاتل بن حيان نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء في المجالس حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله فنزلت الرخصة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ " كان لي دينار فبعته، وكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد، فنسخت بالآية الأخرى "ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ"[١].

[١] سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، ومسلم، وابن مردويه، والحاكم) [كنز العمال ٤٦٥١] أخرجه ابن أبى شيبة (٣٧٣/٦، رقم ٣٢١٢٥) ، والحاكم (٢ /٥٢٤، رقم ٣٧٩٤) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

قال الإمام السيوطي: أسباب نزول الآية ١٢ و١٣ قوله تعالى: " إِذَا نَـٰجَيْتُمُ.. " الآية. وأخرج من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه فأنزل " إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ " الآية، وأخرج الترمذي وحسنه غيره عن علي قال: لما نزلت "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً" قال لي النبي ﷺ : ما ترى في دينار ؟ قلت لا يطيقونه، قال: فنصف دينار، قلت: لا يطيقونه، قال فكم ؟ قلت شعيرة، قال: إنك لزهيد فنزلت "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ " الآية، فبي خفف الله عن هذه الأمة. قال الترمذي: حسن[1].

٨. سبب نزول قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ "

بعدما كانت الآية السابقة تمحيص للمؤمنين وتأكيد لما في قلوبهم من خير للرسول ﷺ وللإسلام، وامتثالهم المباشر لأوامر مولاهم عزوجل كانت الآيات التي تليها كشف لما في قلوب حزب الشيطان من المنافقين الذين كانوا يستترون بالإسلام

[1] أخرجه الترمذي ٣٣٠٠و النسائي في الكبرى٨٥٣٧و ابن حبان ٦٩٤١ و ٦٩٤٢و العقيلي في الضعفاء ٣٤٣\٣و أبو يعلى ٤٠٠ من حديث علي،و إسناده وضعيف علي بن علقمة الأنماري لم يرو عنه غير سالم بن أبي الجعد وضعه العقيلي و ابن الجارود و الذهبي = = وقال البخاري :في حديثه نظر انتهى. – و ورد بنحوه عند الطبراني ٣٣١ و أحمد ١٨٥\١ من حديث سعد بن أبي و قاص مختصرا .قال الهيثمي :و فيه سلمة الأبرشي وثقه ابن معين و غيره ،و ضعفه البخاري و غيره اهـ .و فيه أيضا ابن اسحاق مدلس ،و قد عنعنه.

ويدعون ولائه والبراء من غيره، فكشف علام الغيوب عنهم بقوله: " أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا. .."

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله: " أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا " الآية، قال بلغنا أنها نزلت في عبد الله بن نبتل [1].

قال السدي ومقاتل: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجره، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق، فقال له رسول الله ﷺ : "علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ " فحلف بالله ما فعل ذلك فقال له النبي ﷺ : فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه. فأنزل الله تعالى هذه الآية [2].

من رواية سماك عن ابن جبير عن ابن عباس قال: " كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال: إنه سيأتيكم إنسان، فينظر إليكم بعين شيطان، فإذا جاءكم فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق أعور فقال حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فقال: ذرني آتيك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا ما قالوا وما فعلوا. فأنزل الله تعالى الآية " لفظ الحاكم [3].

و في رواية أن النبي ﷺ قال: لأصحابه: " يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان " فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر قصيرا خفيف اللحية،

---

[1] لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي صـ٤٣٥

[2] أسباب النزول للنيسابوري صـ٢٣١ ، قال ابن حجر :لم أجده هكذا .و روى أحمد ٢٦٧١١و البزار و الطبراني و الطبري
٣٣٨٠٥ و ابن أبي حاتم و الحاكم ٤٨٢١٢

[3] الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، و ذكره النيسابوري في كتابه أسباب النزول من رواية الحاكم في صحيحه عن الأصم عن ابي عفان عن عمرو و العنصري . عن اسرائيل ،عن سماك .

فقال النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك، فحلف بالله ما فعل " فقال له: فعلت. فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت[1].

٨- قوله تعالى: "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ " روي أن مقاتلا قال: قال المؤمنون: لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي سلول: أتظنون الروم وفارس مثل القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فأنزل الله تعالى: "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ " أي قضى الله ذلك[2].

٩. سبب نزول قوله تعالى: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ "

ثم هاهي السورة المباركة تختتم بما بدأت به حيث ذكرت في بادئ السورة نموذج من حزب الله، وأخيرا تعرض وتكشف في آخر السورة صفات ذلك الحزب تفصيلا، وتسميه بحزب الله، وتؤكد على فلاحه واستحقاقه لذلك الشرف الذي نالوه من ربهم جلا وعلا.

قال تعالى: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..."

روي عن ابن مسعود أنه قال أنزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال: يا

[1] أخرجه الحاكم ٤٨٢\٢ و الطبراني في الكبير ١٢٣٠٧ و الواحدي في أسبابه صـ٢٣١ و أحمد ٢٤٠\١ و ٢٦٧ من حديث ابن عباس و إسناده حسن و قد صححه الحاكم على شرط مسلم ،و وافقه الذهبي .
[2] نفس المصدر السابق ج٩ \صـ٢٥٩

رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى، فقال له رسول الله ﷺ : "متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري [1]". وفي مصعب بن عمير ﷺ قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد[2]. وخرق سعد بن أبي وقاص ﷺ الصفوف يومئذ على أخيه عتبة بن أبي وقاص غير مرة ليقتله فراغ عنه روغان الثعلب، فنهاه رسول الله ﷺ وقال: أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن مسلمة الأنصاري ﷺ أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف اليهودي رأس بني النضير[3]. وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر [4]، وذلك قوله تعالى: "وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ "[5].

و قال ابن حجر: وهو في تفسير مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وذكره الثعلبي عن تفسير مقاتل، وروي ايضا أنها نزلت في أبي بكر ﷺ ، وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها، فقال له رسول ﷺ : "أو فعلته " ؟ قال: " نعم " ، قال: "لا تعد " قال: والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته. قال ابن حجر نقله الثعلبي عن ابن جريج قال: "حدثت أن أبا قحافة. ..فذكره " [6].

وذكر سبب نزول قوله تعالى: "لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا" قال السدي: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، جلس إلى النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ ماء، فقال له: بالله يا رسول الله ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبي، لعل الله يطهر بها قلبه ؟ فأفضل له فأتاه بها، فقال: له عبد الله: ما هذا ؟ فقال: هي فضلة من شراب النبي ﷺ جئتك بها

---

[1] أخرجه الحاكم ٣\٤٧٤-٤٧٥ عن الواقدي مرسلا و الواقدي ضعيف .و خبر أبي عبيدة له شواهد .
[2] ذكره البغوي في تفسيره ج٤\صـ٢٨٥هكذا بلا سند .
[3] حديث جابر عند البخاري ٤٠٣٧ و فيه قصة قتل كعب بن الأشرف .
[4] ينظر تفسير البغوي إيضا ٤ج\صـ٢٨٥
[5] ذكرت في أسباب النزول للنيسابوري .صـ٢٣١
[6] ذكر في الكاف الشاف في تخريج الكشاف لابن حجر العسقلاني ج٤\صـ٣٧٤

تشربها لعل الله يطهر قلبك بها. فقال له أبوه: فهلا جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها. فغضب وجاء إلى النبي ﷺ ، وقال: يا رسول الله أما أذنت لي في قتل أبي ؟ فقال النبيﷺ : "بل ترفق به وتحسن إليه "[1]

[1] ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ج/صـ٢٦٠ .قال القرطبي :هذا مرسل و لم أجد من أسنده عن السدي .

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

إن الله جل جلاله هو الذي تكلم بهذا القرآن، لقوله تعالى: "وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ " [التوبة:٦]. فلذلك كان علم مقاصد السورة له أهمية عظمى راجعة إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن هو التدبر والهداية.

فعندما نتحدث عن مقاصد وأهداف القرآن الكريم نقصد بذلك: الغايات والأهداف التي أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم من أجلها، ولقد كان للعلماء اجتهادات واسعة في استخراج المقاصد من كتب الفقه وأصوله، وكان الأحرى بهم أن يستلهموها من القرآن الكريم نفسه، فهو النور المبين، والأساس المتين في استجلاء مقاصد القرآن كما نبه إلى ذلك محمد عبد السلام الحضيري[1].

فبمعرفة مقصد السورة تنتظم آيات السورة وتظهر المناسبات بين آياتها، قال الإمام البقاعي: من حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها.

ولقد تكلم كثير من العلماء عن مقاصد القرآن الكريم، إلا أنها لم تحظ بالنصيب الأوفر كما حظيت به مقاصد التشريع التي أفاض الأصوليون القول فيها، وتعددت فيها الدراسات قديما وحديثا.

إلا أن بعض المفسرين اهتموا به وأشاروا له ضمنا بدون تصريح، ومنهم من صرح به، ومن أهل العلم من دون فيه مصنفات كالفيروز آبادي، والإمام البقاعي وغيرهما.

[1] بحث منشور بعنوان :مقاصد القرآن و أهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني :محمد عبد السلام الحضيري ،جامعة الشارقة –كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ،١١-١٢ جماد الأولى ،٤-٢٥-٢٦-١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م (2)

قال الفيروز آبادي في سورة المجادلة: معظم مقصود السورة: بيان حكم الظهار ، وذكر النجوى والسرار، والأمر بالتوسع في المجالس ، وبيان فضل أهل العلم، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن، وحزب الشيطان، والحكم على البعض بالفلاح، وعلى البعض بالخسران، في قوله: "هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ "[المجادلة:١٩]و "هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ " [المجادلة:٢٢] [١].

و ذكر الإمام برهان الدين البقاعي مقصود السورة لديه قائلا: "مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله ورسوله ﷺ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، وعلى ذلك دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها وآخرها، وعلى تكرير الاسم الأعظم الجامع في القصة وجميع السورة تكرير لم يكن في سواها بحيث لم تخل آية منه، وأما الآيات التي تكرر في كل منها المرتين فأكثر فكثرة كل ذلك للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب من يصح أن ينظر إليه تارة بالجلال وتارة بالكمال فيجمع له الوصفان، وهو من آمن وقع منه هفوة أو عصيان، ولهذا ضمتها أشياء شدد النكير فيها حين وقع فيها بعض أهل الايمان، ولم يبحها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل في غيرها كالأكل والجماع في ليل رمضان من غير تقييد بيقظة ولا منام، لمنابذتها للحكمة، وبعدها عن موجبات الرحمة، وهذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة والرحمن والقمر من هذا الاسم الجامع، والله الموفق[٢].

تهدف السورة إلى أن تصل الإنسان وتبقيه مرتبطا بالله عز وجل، مراقبا لله عز وجل، عالما أن الله عز وجل موجود وأنه مطلع على كل شيء، فهؤلاء البشرية وهؤلاء

[١] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ج١،صـ٤٥٦

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور لبرهان الدين البقاعي ج١٧صـ٤٧٤

الناس لا ينفصلون في حال من الأحوال عن علم الله عز وجل أينما كانوا وفي أي حال كانوا"[1].

وبعد البحث والإطلاع تبين لي أن مقصود السورة الكريمة ما يلي:

يهدف القرآن في سوره عامة إلى ذات المقاصد والأهداف فهدفه الأول الدعوة إلى الله وتوحيده عزوجل ونزع الشرك من نفوس العباد فهو يقوم: أولا بتربية الفرد ومن شأن كل بناء أن يبدأ بالقطع الصغيرة يصفها بعضا إلى بعض حتى يصبح بناءا عظيما، والأفراد هم لبنات المجتمعات وتهذيب الأفراد وتربيتهم تأسيس لبناء محكم متقن ومن أسس هذه التربية: تطهير قلوبهم من أدران الشرك، وغرس عقيدة التوحيد، والتربية بالعبادة. قال تعالى:

"ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ "

[الأنعام:١٠٦]، إذ انتقل القرآن بالفرد من صحة العقيدة إلى صحة العبادة فشرع العبادات التي تهذب سلوك الفرد، وتربطه بربه في كل شأن من شؤونه ومنها: الصلاة والزكاة والصيام والزواج وغير ذلك من الشرائع.

وكذلك التربية بتهذيب السلوك: وبعد تنقية القلب من أدران الشرك وغرس العقيدة الصحيحة وتوثيق الصلة بين العبد وربه، رسم بحكمة العلاقة بين العباد وجعلها تقوم بالمحبة والمودة، ونهى عن كل ما يؤدي إلى ضعفها أو وهنها، ونرى معالم هذه التربية في صور منها: تزكية النفس، وتوثيق أواصر الصلة بين العباد والنهي عن كل ما يؤدي إلى الفرقة والاختلاف: قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا

[1] منبر علماء اليمن – الشيخ صالح بن يحيى صواب –علوم سورة المجادلة .http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985

تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا "[آل عمران:١٠٣].

وبهذا يكتمل بناء الفرد ويصبح لبنة صالحة لبناء أسرة صالحة، قائمة على أسس ثابتة وقواعد راسخة.

بناء الأسرة، بالزواج: وهو الطريق الصحيح إلى بناء الأسرة، والأرض الصلبة التي يقوم عليها البناء، ولأهمية هذا الأمر وضرورته وحتى يجد الناس كلهم الدافع القوي لذلك جعل غريزة الجنس من أقوى الدوافع لسلوكه فهذبها بالزواج وحفظها بالآداب "وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا "[النساء:٢١]

وقد قال تعالى: "وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ" [الروم: ٢١].

و بين ما للزوج على زوجته من حقوق وما للزوجة على زوجها من حقوق.

فإذا أدى الزوج حق زوجته وأدت الزوجة حق زوجها وأدى الابن حقوق والديه وأدى الآباء حقوق الأبناء أصبحت الأسرة متماسكة مترابطة تصلح لبناء مجتمع قوي[١]. ونبذ الظلم بينهم، وقطع كل حبال الطغيان والجور فيما بينهم.

ثم تأخذنا هذه السورة المباركة إلى معية الله تعالى لخلقه معية كاملة ودائمة وذلك من قيوميته بعباده وشؤونهم.

فهو تعالى مع المؤمنين في أدق شؤون حياتهم، فهو يدبرهم في أصغر الأمور وأعظمها إذ اهتم بشأن تلك الأسرة الصغيرة وأنزل حكما منصفا لها وللأئمة كافة من بعدها، فهي درس في وجوب التوكل على الله حق التوكل مع الأخذ بالأسباب الكاملة

[١] دراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومي صـ ٣٠٧.

فإن ذلك من صفات المؤمن الحق، ونتيجة ذلك سيكون الجزاء موفورا، والطلب مجابا من رب العالمين.

فسماعه عزوجل لم يكن مجرد سماع للصوت والنداء بل هو سماع إجابة وتحقيق للمطلوب وذلك لحسن التوكل وقوة اليقين.

وإ لغاء وتحريم كل عادات الجاهلية الظالمة المضلة، وإبدال الناس بعوض خيرا منها من ربهم الرحمن الرحيم وذلك بأحكام عادلة لجميع المؤمنين، فكانت درسا لتعليم رجال الأئمة ونسائها، ووجوب الذود عن مصالحهم وطلب العدل في حقهم والسعي الحثيث للحصول عليه.

إن من نهج الشريعة الإسلامية التخلية قبل التحلية، فها هي بينت حكم الظهار ثم بينت كفارته، إذ ورد في هذه السورة حكم الظهار وكفارته تفصيلا، إذ تجب المحافظة على الحدود التي فرضها الشارع وأن من تعداها فقد ذهب لحد الكفر والعصيان "وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۚ "[.الأحزاب:٣]

كما ذكرت حكم النجوى كافة والاستثناءات الواردة فيها: "لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ "[.الأنبياء:٣].

ومن كمال رحمته بهم وتمام رأفته على عباده المؤمنين، علمهم مراعاة حسن الأدب بينهم، فيما كان من أمور العادة دون أحكام العبادة كالتفسح في المجالس والنظام في حال الزحام والكثرة. وأعزز بأقوام أمرهم بدقائق الأشياء بعد قيامهم بأصول الدين وتحققهم بأركانه [١].

[١] لطائف الإشارات للقشيري لطائف الإشارات ، تفسير القشيري ،المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري المتوفى سنة (٤٦٥هـ) ،المحقق: إبراهيم البسيوني ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ،الطبعة: الثالثة ج٣\صـ٥٥٣ .

إذ أن أحدا لا يعادي الله ولكن من عادى أولياء الله عادى فقد عاد الله تعالى[1].

أيضا تقديم الصدقة قبل التناجي مع رسول الله ﷺ ، ولما كان الإذن في النجوى مقرونا ببذل المال امتنعوا وتركوا، وبذلك تظهر جواهر الأخلاق ونقاوة الرجال[2]. ونسخ ذلك الحكم بتلك الآية.

كذلك كان في السورة عرض طريقة التعامل مع المنافقين وكشف نواياهم، إذ أن المنافقين واليهود وكل من كفر بالله واتبع الشيطان فهو من حزب الشيطان وجنوده وأشياعه.

و في المقابل فإن المحاد لهؤلاء هم حزب الله وأوليائه وخاصته.

و أن من الثوابت هذا الكون أن الغلبة لا تكون إلا الله وحزبه مهما طالت الأزمان. قال تعالى "وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ " [المائدة:٥٦].

[1] بحر العلوم ،المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى سنة (٣٧٣هـ)[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير ،المكتبة الشاملة الاصدار الأول ج٣\صـ٤١٥

[2] لطائف الأشارات للقشيري ج٣\صـ٥٥٣.

المبحث الثالث: تاريخ نزول سورة المجادلة، والجو العام الذي نزلت فيه.

لقد عاشت الجزيرة قبل مبعث النبي ﷺ في جاهلية جهلاء، وعصبية مقيتة، وقتل وسفك للدماء، وانتهاك للحريات، مما أشاع التعبد لغير الله، والتعلق بالأصنام والأشجار والأحجار، ومع ما يعيشه الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من استبداد وظلم للحقوق، ونشر للرذيلة حتى سمي ذلك المجتمع بالمجتمع الجاهلي.

فهيأ الله تبارك وتعالى بقدرته وحكمته، وما سبق في علمه، مبعث النبي الأمي العربي محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي الذي جاء بالنور المبين، فهدى الله به من الجهالة، وأنقذ به من الضلالة، فبدأ بصيص النور يشع من مهبط الوحي مكة المكرمة ، ثم ينتقل إلى مهاجر النبي الكريم ﷺ ، بعد أن قذف الله الايمان في قلوب فتية آمنوا بالله وحده، وعبدوه ونذروا أنفسهم لتبليغ دين ربهم، ونصرة نبيهم ﷺ فكتب الله على أيديهم زرع نواة الإسلام الأولى في يثرب التي هي جزء من الجزيرة العربية وقد أصابها ما أصاب الجزيرة العربية إلا أنها تفضل عنها بدين اليهودية المحرف الذي وفد إليها، وزرع بين أهلها وسكانها التناحر، والتباغض.

ولكن بمقدم نبي الهدى والرحمة الذي فرح بمقدمه مؤمنوها فقابلوه بالفرح والاستبشار، أزاح الله عنهم التناحر والتباغض بدخولهم في الإسلام واستجابتهم لدعوته ﷺ فأصبحوا بنعمته إخوانا ودعاة إلى الحق ونصرته كما أصبحوا أعوانا له.

ومحا ما كان يسيطر عليهم من عادات الجاهلية وظلمها القاهر للعباد وسلب للحقوق. فأعادت العدالة للناس حقوقهم.

وفي المقابل وجد النبي ﷺ أصنافا أخرى من البشر أظهرت الإسلام وأبطنت الكفر، واشتدت عداوتها للنبي ﷺ وللإسلام وسعيهم في نشر الفرقة والتخذيل بين

الصفوف وقد برز في أكثر من واقعة، وصنف آخر هم اليهود؛ أهل الحقد الدفين على الإسلام وأهله.

ولعل فيما سبق وصف موجز للجو الذي نزلت فيه سورة المجادلة، ووصف للحال في تلك الحقبة من الزمن.

فقد عالجت سورة المجادلة عدة قضايا في الواقع كانت بحاجة للمعالجة والفصل فيها من المنهج الرباني الذي يتلهف الناس لمعرفته والعمل به لتهنأ حياتهم ويرضى عنهم ربهم.

وهي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة المنافقين/ وقبل سورة التحريم. والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل سورة الأحزاب لأن الله تعالى قال في سورة الأحزاب [4]:"وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ "، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في سورة المجادلة لأن قوله:

"مَا جَعَلَ" يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة. وإنما أبطل بآية سورة المجادلة.

وقال السخاوي كما نقل عنه الإمام ابن عاشور:نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين وقبل سورة الحجرات.[1]

والذي ذكر في البرهان أنها بعد المنافقين وتليها الحجرات[2]، مثلما ذكره السخاوي، وكذلك وافق الإمام ابن عاشور في نزولها بعد المنافقين. والله تعالى أعلم.

[1] ينظر التحرير و التنوير لابن عاشورج١٢٨\صـ٦

[2] البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ \صـ١٤٠

أخرج ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة المجادلة بالمدينة، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. والله أعلم[1].

ولقد ارتبط نزول هذه السورة، بحادثة عظيمة في تاريخ المسلمين، وكان لها صداها الواسع، وكانت هذه الحادثة دليل على صدق رسول الله ﷺ فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل على النبي ﷺ منجما في ثلاث وعشرين عاما، وهي المدة الكاملة التي قضاها النبي ﷺ في هذه الدنيا بعد تشريفه بالرسالة في سن الأربعين، وانقسمت هذه الفترة إلى مرحلتين هامتين في تاريخ الدعوة الإسلامية: هما الدعوة في الفترة المكية، والدعوة في الفترة المدنية. وكان القرآن ينزل على طوال هاتين الفترتين.

و بحسب زمن النزول انقسمت سور القرآن الكريم وآياته إلى ما يسمى بالمكي والمدني.

يقول سيد قطب:" في هذه السورة وفي هذا الجزء كله تقريبا مع أحداث السيرة في مجتمع المدني. مع الجماعة المسلمة الناشئة، حيث تربي وتقوم، وتعده للنهوض بدورها العالمي، بل بدورها الكوني، الذي قدره الله لها في دورة هذا الكون ومقدراته . وهو دور ضخم يبدأ من إنشاء تصور جديد كامل شامل لهذه الحياة في نفوس هذه الجماعة، وإقامة حياة واقعية على أساس هذا التصور كذلك. وهو دور ضخم، إذ يقتضي إعدادا كاملا ولقد كان أولئك الذين يعدهم الله عز و جل لهذا الدور الضخم، ناسا من الناس، منهم السابقون من المهاجرين والأنصار الذين نضج إيمانهم واكتمل تصورهم للعقيدة الجديدة، وخلصت نفوسهم لها، ووصلوا إلى حقيقة وجودهم وحقيقة هذا الوجود الكبير"[2].

ويذكر الإمام السعدي:" فقد نزلت هذه الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكته زوجته إلى الله وجادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) ،الناشر: دار الفكر – بيروت، ج٨\صـ٦٩ .
[2] ينظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٤

الطويلة، والأولاد، وكان هو شيخا كبيرا فشكت حالها وحاله إلى الله والرسول ﷺ وكررت ذلك وأبدت وأعادت فيه "[1].

كما نشهد جانبا من الصراع الطويل بين الإسلام وخصومه المختلفين من مشركين، ويهود، ومنافقين[2].

فالسورة نزلت على المجتمع المدني الذي كان يفتقر إلى قواعد وأسس للتعامل مع كافة الفئات والعقول المتعايشة معا.

كما ذكر الإمام أبو بكر الجزائري : "أنه في هذه الأيام التي نزلت فيها هذه السورة المباركة كان النفاق بالغا أشده، وكان اليهود كذلك كثر، ومتحزبين ضد الإسلام وأهله وذلك قبل إجلائهم من المدينة ففي هذه الآيات يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معا ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنون فيقول تعالى: "أَلَمْ تَرَ " أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون، ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنون"[3]. وذلك يدل أن السورة المجادلة نزلت قبل عام الجلاء، وهو الظاهر. والله تعالى أعلم.

إذن لقد كان جو من الضغينة والعدوان والكراهية، والتعاون، والتضافر على المعصية والعداء للرسول ﷺ وللمؤمنين، والعمل على هدم هذا الدين والحد من انتشاره، ومقاومته وإضعاف أهله ووهنهم.

---

[1] تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ت سنة (١٣٧٦ هـ) قدم له الشيخ عبد الله بن عبد العزيزبن عقيل ،و الشيخ محمد بن صالح العثيمين ،اعتنى به تحقيقا و مقابلة عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مركز الفجر للطباعة و النشر و التوزيع ،الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ،صـ٨٤٤

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥٠٣

[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تأليف أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف ،الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف طبعة مزيدة و منقحة و مصححة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .ج٥\صـ٢٩٦

الباب الثاني

التناسق الموضوعي دراسة تطبيقية

و فيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها.**

ويحتوي على تمهيد، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

المطلب الثاني: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.

المبحث الثالث: مناسبة اسم السورة لموضوعها.

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

- **الفصل الثاني: الموضوع الكلي للسورة.**
- **الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.**

و يشمل تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ . وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل . ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة. والموضوع الكلي فيها،

ويشمل تمــهيد، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة السورة لما قبلها سورة الحديد.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما بعدها سورة الحشر.

المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها.

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

المبحث الأول : تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح

المناسبة لغة:

قال ابن فارس: النون، والسين، والباء، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب . وهو نسيب فلان. والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض [١].

وفي لسان العرب: ليس بينهما مناسبة، أي مشاكلة [٢]. والمشاكلة بمعنى: المماثلة. تقول: هذا أشكل هذا، أي مثله.

فالمناسبة لغة تعني: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

والمناسبة تعريفها عند السيوطي: المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة [٣].

وعرفها الزركشي: وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربته له ظن عند وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول [٤].

المناسبة في الاصطلاح:

المناسبة علم تعرف منه علل ترتيب بين أجزاء القرآن وهي سير البلاغة في أدائه، وتحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال[٥].

---

[١] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٥\صـ٤٢٤-٤٢٣

[٢] لسان العرب لابن منظور ج١٤\صـ١١٩

[٣] الأتقان في علوم القرآن للسيوطي صـ٦٩٥

[٤] البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١\صـ٤١

[٥] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١\صـ ٥

وقيل: هي الرابط بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وبعدها[1].

ومرجعها في الآيات ونحوها معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه. وفائدته أن يجعل أجزاء الكلام بعضها أخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء، فنقول: ذكر الآية بعد الأخرى: إما أن يكون ظاهر الارتباط، لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما أن لا يظهر الارتباط، بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به[2].

---

[1] مباحث في التفسير الموضوعي بقلم أ.د.مصطفى مسلم ، دار القلم دمشق ،الطبعة السادسة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ،صـ٥٨

[2] الإتقان في علوم القرآن السيوطي صـ٦٩٥

المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحديد التي قبلها.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: إذ اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ثم يخفى تارة، ويظهر أخرى[1].

فلا يخفى على لبيب ومتأمل لكتاب الله عز وجل أن القرآن كعقد فريد النظم، بعضه يكمل بعضه و يجانسه، ويفسر بعضه بعضا، وكل سورة فيه تكمل السورة التي قبلها أو التي بعدها، موضحة لبعضها بعضا، وهي جزء لا يتجزء من كتاب الله العظيم لا يمكن فصلها أو إفرادها دون غيرها بمعنى مستقل بها فكل سور القرآن تفسر بعضها بعضا.

ومن ذلك الصرح العظيم الارتباط الوثيق لسورة المجادلة بباقي السور. بما قبلها من سورة الحديد ارتباطا وثيقا غليظا لا يخفى على لبيب متأمل لكتاب الله عز وجل في تلك السورتين.

فقد عنيت سورة الحديد بالتشريع والتربية والتوجيه، وبناء المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة الصافية، والخلق الكريم، والتشريع الحكيم، وإلى جانب ذلك عالجت الموضوعات الآتية:

الأول: الإيمان وآثاره.

الثاني: الدعوة إلى خشية الله.

الثالث: وحدة الرسالات السماوية[2].

وكذلك أوضحت عظيم سعة ملك الله عز وجل، واتجاه الإنسان اتجاها كاملا لمولاه. وكذلك تطرقت إلى حال المنافقين يوم الحشر وعذابهم.

---

[1] أسرا ترتيب سور القرآن تأليف جلال الدين السيوطي ،تحقيق رضى فرج الهمامي ،المكتبة العصرية صيدا – بيروت ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ،صـ١٤

[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨صـ٣.

ثم جاءت سورة المجادلة بعد ذلك لتبين عظيم قدرة الله تعالى، وسمعه وبصره الذي وسع جميع ملكه العظيم الذي ذكره في سورة الحديد، آية (٤) ومن ثم أعطى نموذجا للإيمان الكامل والاتجاه المطلق لرب الناس ومولاهم، وبيان فضله على عباده الذين اختصهم وكان ذلك في حادثة المجادلة وما وقع لها.

ومن المناسبة في ذلك أيضا ما ذكره الإمام البقاعي: "أنه لما ختمت سورة الحديد بعد إثبات عجز الخلق ببيان عظيم فضله سبحانه على خلقه، من آية (١-٦) كان سماع أصوات جميع المخلوقات من غير أن يشغله صوت عن صوت، وكلام عن كلام، من ذلك الفضل العظيم"[١].

وذكرت أيضا صفات المنافقين وأعمالهم وخبث سرائرهم التي استحقوا بها العذاب الذي ذكر في سورة الحديد.

وصفات المؤمنين وعقيدتهم الخالصة النقية الطاهرة الموحدة بالله، والتي أزالت من نفوسهم وقلوبهم كل أحد سوى الله، فأنارت تلك القلوب، فاستحقوا عليها النور في الآخرة والرضا.

وهو جزاؤهم المذكور، والذي بشروا به في سورة الحديد: "يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ " [الحديد:١٢] .

فإذا كانت سورة الحديد حققت بالمعاني الإيجابية للهداية، فإن سورة المجادلة تحرر من المعاني السلبية التي تحول دون الهداية[٢].

[١] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٧٤
[٢] يرجع إلى الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\ صـ٥٧٧٩

ذكر الإمام السيوطي: لما كان مطلع الحديد ذكر صفاته الجليلة ومنها الظاهر والباطن، وقال: "يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ كُنتُمۡۚ مَا" [الحديد:٤].

افتتح هذه بذكر أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه ﷺ . ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها حين نزلت: (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، إني لفي ناحية من البيت لا أعرف ما تقول). وذكر بعد ذلك قوله: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ". وهو تفصيل لقوله: "وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ" [الحديد:٤] ، وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر، مع تآخيهما في الافتتاح بـ "سَبَّحَ"[1]. وقال الإمام الألوسي: وجه مناسبتها لما قبلها أن الأولى ختمت بفضل الله تعالى وافتتحت هذه بما هو من ذلك، وقال بعض الآجلة في ذلك: لما كان في مطلع الأولى ذكر صفاته تعالى الجليلة، ومنها الظاهر والباطن، وقال سبحانه: "يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ"[الحديد: ٤]

افتتح هذه بذكر أنه جل وعلا سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى، ولهذا قالت عائشة فيما رواه النسائي وابن ماجة والبخاري تعليقا حين نزلت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى: "قَدۡ سَمِعَ "[المجادلة: ١] » إلخ[2]، وذكر سبحانه بعد ذلك: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ " الآية، وهي تفصيل لإجمال قوله تعالى: : "وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا

[1] أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطي صـ٩٩
[2] سبق تخريجه صـ٧٩

كُنتُمۡ "وبذلك تعرف الحكمة في الفصل بها بين الحديد والحشر مع تواخيهما في الافتتاح – بسبح - إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل[1].

ومن العلماء اللذين أشاروا إلى ذلك أيضا صاحب تفسير المراغي فقال: مناسبتها لما قبلها من وجهين:

١- أن الأولى ختمت بفضل الله وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي.

٢- أنه ذكر في مطلع الأولى صفاته الجليلة ومنها: الظاهر، والباطن وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المجادلة التي شكت إليه تعالى[2].

و من التكامل الملحوظ بين سورتي المجادلة والحديد: في سورة الحديد يأتي قوله تعالى:

"ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ"، "وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ "، وقوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ". وفي سورة المجادلة يأتي قوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ ". وقوله تعالى: "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ". إنهما سورتان تتعانقان وتتكاملان، ولا غرابة فيهما، مجموعة واحدة، فسورة الحديد تأمر بالإيمان بالله ورسوله، وسورة المجادلة تتحدث عن محاربة الله ورسوله.

قال سعيد حوى رحمه الله: فالسورتان تفصلان في صفات الفريقين المتقابلين: المتقين والفاسقين لتحققا في التقوى، وتحررا من الفسوق، وكما تفصلان في صفات الفريقين من ناحية فإنهما تتكاملان كمجموعة واحدة ضمن قسم واحد، كل مجموعة تؤدي دورها في تكميل أختها داخل القسم، ليؤدي القسم كله دورا متكاملا في البناء المكمل للأقسام الأخرى، فإذا عرفت هذا كله، وعلمت بعد ذلك أن هذا القرآن نزل

---

[1] انظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\ص١٩٧

[2] ينظر تفسير المراغي لصاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية و اللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا ،خرج أحاديثه باسل منشورات محمد علي بيضون –دار الكتب العلمية بيروت –لبنان .ج ١٢٨\ص١ .

منجما خلال ثلاث وعشرين سنة تقريبا حسب الحوادث والنوازل، أو حسب التدرج في بناء أمة جديدة بما يقتضيه وضع بنائها شيئا فشيئا حتى اكتمل ترتيب القرآن بترتيب الله على صيغته الحالية، وكان في هذه الصيغة مثل هذا الترتيب العجيب البديع، الذي يحقق مقاصد جمة، والذي نرى فيه الإجمال، والتفصيل، والوحدة الجزئية، والوحدة الكلية، والسياق الخاص للسورة، ومحلها في السياق القرآني العام، أن هذا القرآن جل أن يكون بشري المصدر[1].

قال أبو جعفر: لما نزه سبحانه نفسه عن مقول الملحدين وأعلم أن العالم بأسره ينزهه عن ذلك بألسنة أحوالهم لشهادة العوالم على أنفسها بافتقارها لحكيم أوجدها لا يمكن أن يشبه شيئا منها بل يتنزه عن أوصافها ويتقدس عن سماتها فقال: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ " [الحديد:١]و مضت آى تعرف بعظيم سلطانه وعلي ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عباده في قوله: "ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ " [الحديد:٧] إلى ما بعد ذلك من الآي، وكان ذلك ضرب من الالتفات الواقع منه هنا أشبه شيء بقوله سبحانه في سورة البقرة " وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ " [البقرة:٣٠] فإنه بعد تفصيل حال المتقين وحال من جعل في طرف منهم، وحال من تشبه بظاهره بالمتقين وهو معدود في شرار الكافرين، فلما تم هذا النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عبادة الله وتوحيده "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ " [البقرة: ٢١] ثم عدل بالكلام جملة وصرف الخطاب إلى تعريف نبيه عليه الصلاة والسلام ببدء الخلق "وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ " [البقرة:٣٠] فجاء ضربا من الالتفات

[1] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٧٨-٥٧٨٠

فكذا الواقع هنا؛ إذ بين سبحانه حال مشركي العرب وقبح عنادهم وقرعهم ووبخهم في عدة سور، غالب آيها جار على ذلك ومجرد له، أولها سورة (ص)، كما نبه عليه في سورة القمر، وإلى الغاية التي ذكرت فيها إلى أن وردت سورة القمر منبئة بقطع دابرهم، وانجر فيها الإعذار المنبه عليه، وكذا في سورة الرحمن بعدها.

ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزول الأخروي في سورة الواقعة مع زيادة تقريع وتوبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه تعالى وتقديسه عن شنيع افترائهم، فأتبعت بسورة الحديد ثم صرف فيها الخطاب إلى المؤمنين، واستمر ذلك إلى آخر السورة، وجرت سورة المجادلة على هذا القصد مصروفا خطابها إلى نازلة يتشوف المؤمنون إلى تعرف حكمها وهو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعدل بالكلام بعد كما كان قد صرف إليه في قوله: "ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ " [الحديد: ٧] بأكثر من التعرض لبيان حكم يقع منهم.

ثم إن السور الواردة بعد إلى آخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء ما قصد في التعريف بأخبار القرون السالفة والأمم الماضية، وتقريع من عاند وتوبيخه، وذكر مآل الخلق واستقرارهم الأخروي، وذكر تفاصيل التكاليف والجزاء عليها من الثواب والعقاب، وما به استقامة من استجاب وآمن وما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف وتأكيدها، فلما كمل ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين في أحكامهم وتعريفهم بما فيه خلاصهم ومعظم آي السورة بعد هذا شأنها، وإن انجر غيرها فلاستدعاء وموجب وهو الأقل كما بينا[1].

المطلب الثاني: مناسبة سورة المجادلة مع سورة الحشر التي بعدها.

[1] البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي البرهان فى تناسب سور القرآن، أبو جعفر المتوفى سنة (٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني ،دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، صـ٣٣٠-٣٣١

لما ختمت سورة المجادلة بغلبة الله ورسله وحزبهما، ضد الشيطان وأوليائه وحزبه، ذكر في سورة الحشر تأكيد ذلك بغلبته وقهره لبني النضير وحشرهم، وقبل ذلك بدأت السورة بتسبيح الله وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته.

فما كانت سورة الحشر إلا لتوضح وتبين للمنافقين الذين أصابهم الغرور والكبر، وشدوا ساعدهم باليهود، وقووا نفوذهم بعلاقتهم بهؤلاء المغضوبين، إلا لتوضح لهم مآل اليهود أنصارهم الذين ألقوا إليهم المودة. فهي بيان للمنافقين وإنذار أيضا بأنهم إن لم يعودوا لطريق الحق والصواب فإن مآلهم سيكون كمآل أعوانهم وأنصارهم من اليهود.

ولما كانت سورة المجادلة في عمومها تتحدث عن علم الله التام والمطلق بالكون وبجميع خلقه، بدأت سورة الحشر بـ: "سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ " [الحشر:١] بتسبيح الله عز وجل وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته وهو أهل لذلك.

قال الإمام البقاعي: بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص بإثبات القدرة الشاملة بدليل شهودي على أنه يغلب هو ورسله، ومن حاده في الأذلين، لأنه قوي وعزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم للحكمة البالغة – للحشر المظهر للفلاح المفلح وخسار الخاسر على وجه الثبات الكاشف أتم الكشف لجميع صفات الكمال[١].

ومما اشتركت به السورتان المباركتان هو الاشتراك في ذكر أسماء الله الحسنى، فقد ذكرت سورة المجادلة لفظ الجلالة في كل آية من آياتها مرة أو أكثر، فكذلك ذكرت سورة الحشر الكثير من أسماء الله الحسنى كما لم يكن في غيرها من السور.

[١] انظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٥٠٩

فكانت موجبة للدعوة للتقوى والخشوع بالتدبر في آيات السورتين إذ ما ذكر من لفظ الجلالة بين في سورة الحشر بأنه هو:

"۝٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ". [الحشر:٢١-٢٢-٢٣-٢٤]

المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها

ترتبط سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، مما ينبغي الإشارة إليه أن كل سورة من سور القرآن الكريم، لها اختصاص بما سميت به، كما هو عادة العرب في كثير من المسميات، حيث تأخذ أسماءها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، كما أنهم يسمون الجملة من الكلام، أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن الكريم[١].

وقد طعن المستشرقون في قضية التسمية للسور حيث قالوا: بأن عنوان السورة غالبا لا يدل على محتويات السورة[٢]. والجواب على ذلك: أن العنوان لا يدل دائما على محتويات السورة، فهو بحاجة إلى بيان، فبعض العلماء يعتبر أسماء السور توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، ولا يمنع أن يكون هناك أسماء توقيفية –الأسماء التوقيفية هي التي سماها به الرسول ﷺ أما الأسماء التي استنبطها العلماء فهي أسماء اجتهادية- استنبطها العلماء من موضوع السورة كتسمية سورة (النحل) بسورة النعم، وذلك لما فيها من ذكر نعم الله الكثيرة على الناس، وكذلك سورة (الحجرات) بسورة

[١] يرجع إلى الاتقان في علوم القرآن للسيوطي صـ١٤١ \البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١\صـ١٩٠

[٢] قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن و رد شبهات" :د .فضل حسن عباس ،دار البشير للنشر و التوزيع:صـ٣٨

(الآداب)، لأنها اشتملت في معظمها على توجيهات وآداب لابد منها للأفراد والجماعات. .. وإذا كانت عناوين هذه السور لا تدل لأول وهلة على محتويات هذه السور فمما لا ريب فيه أن عنوان السورة إنما يشير إلى قضية بارزة فيها تدور جميع موضوعات السورة حولها... وما يجده بعض الناس من عناوين لبعض السور، لا تدل على موضوعاتها، فإن ذلك يحتاج منهم إلى إمعان نظر وإحالة فكر، فيجدوا هناك نقطة أو قضية أرادت السورة إبرازها والتأكيد عليها، لأنها من الأهمية بمكان، لذا عنونت بها[1].

فاسم السورة –العنوان- ليس كما يقول المستشرقون لا يدل على محتويات السورة بل كل عنوان أشار إلى موضوعات السورة الظاهرة الدلالة، أو أشار إلى جوانب بارزة في السورة يريد الله سبحانه وتعالى إبرازها وإظهارها[2].

وبهذه السورة المباركة – المجادلة - تكذيب لهؤلاء المستشرقون لأن في اسمها تصريح واضح لما حوته من موضوع رئيس.

فقد سميت سورة المجادلة، أو سورة الظهار كما تقدم لأنه ذكر واقعة المجادلة – خولة بنت ثعلبة - وسميت الظهار لأنه ذكر بها الظهار وحكمه وكفارته، ولم يفصل في سورة غير هذه السورة.

لما كانت السورة تتحدث عن علم الله تعالى المطلق واطلاعه الذي وسع كل شيء، كان تعالى عالما بأدق شؤون الحياة. فهذه أسرة صغيرة فقيرة لم يعلم أحد عنها وبحالها إلا ربها عزوجل الذي أنزل قرآنا بحالها إلى يوم القيامة.

فقد جاءت هذه السورة تبين علم الله و قدرته ، و من عظم هذه القدرة أن وسع سمعه الأصوات كلها [1].

---

[1] نقل من آراء المستشرقين حول القرآن الكريم و تفسيره (دراسة و نقد) للدكتور عمر إبراهيم رضوان ج١٢\صـ٤٨٦

[2] يرجع إلى قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن و رد شبهات" :د .فضل حسن عباس ،دار البشير للنشر و التوزيع:صـ١٩-٤١ نقل بتصرف .

فالمجادلة خولة بنت ثعلبة – جادلت بلسانها حين شكت لله ولرسوله ﷺ وجادلت حين ذهبت أولا للرسول ﷺ ، وأبدت وأعادت في أمرها معه ﷺ فالجدال في هذه السورة ليس للمرأة المظلومة فحسب، بل هو جدال عن كل حق، والذود عن الخير والدفاع عنه، فهو تحريض للمؤمنين لكي يجادلوا ويدافعوا عن حقوقهم.

و نقل الإمام القاسمي في تفسيره: وسميت بها، لأنها لما كانت لطلب الحق والصواب، أشبهت مجادلة الأنبياء والقرآن، ولذلك سمع الله لصاحبها –قاله المهايمي[٢].

ذكر الفيروز آبادي أنها سميت سورة المجادلة، لقوله: "تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا "[٣].

فهناك ارتباط وثيق بين المعاني والأغراض المختلفة التي تتعرض لها آيات السورة وبين اسم السورة الذي يحتوي على الهدف العام منها. فسورة المجادلة بينت الجدال عن الحق والسعي له ولو بعد حين أو حتى إذا كان عند من هو أقوى أو غاصب له. فهي سورة الحق والدفاع عنه حيث تكلمت في موضوعها الرئيس عن علم الله عز وجل المطلق وكمال قدرته وحزبه وأهله وخاصته الذين يذودون عن الحق ويدافعون عنه لذلك ذكرت في كل آية من آياتها لفظ الجلالة لتربية المهابة في النفوس وعدم التجرؤ على الحق ولا على مخالفته، لدفع الظلم وترهيب الظالم وطمأنة المظلوم.

إن الموضوع الرئيس في هذه السورة هو علم الله عز وجل ابتداء من قوله تعالى: " قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا " فكان هو الموضوع رئيس آخر افتتحت به السورة لذلك سميت بها السورة لدلالة علمه عز وجل بالجدال الذي وقع

---

[١] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨/صـ٣١ .
[٢] انظر تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج١٩\صـ٥٠
[٣] انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي ج١\صـ٤٥٦

بين نبيه ﷺ وخولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، فهي سورة لبيان علم الله عز وجل ولفت النظر لمراقبته سبحانه وتعالى.

وأيضا الذي يغفل عنه أناس كثيرون، وهو لطف الله عز وجل واطلاعه على حاجة عباده، الله عز وجل مطلع على حاجتك. إلجاء إلى الله وتوكل عليه، واعلم أن الله عز وجل هو عليم بحالك، وهو سبحانه وتعالى لطيف بك ويسمع شكواك إن اشتكيت إليه عز وجل.

فقد انتهى الظهار في العصر الحديث ولم يعد له وجود بعدما حرمه القرآن في هذه السورة. ولكن من عظمة القرآن وإعجازه وبلاغته أن هذه السورة هي نموذج للتربية وللذود عن الحق والدفاع عنه، والتوكل الكامل على الله عز وجل واللجوء إليه، كما يوحي اسم السورة، ومثلما تدعو آياتها[1].

[1] منبر علماء اليمن –الشيخ صالح بن يحيى صواب ، http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985 . نقل بتصرف.

المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.

افتتحت سورة المجادلة بالدفاع عن الحق الذي تمثل بالجدال المصاحب لحسن التوكل على الله عز وجل وكمال الاعتماد عليه، إذ كان رفضا للظلم والطغيان، فبدأت كما أسلفنا سابقا بعلمه الواسع واطلاعه الشامل كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبي ﷺ أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعض كلامها إذ أنزل الله "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ".

ثم ختمت السورة بالتأكيد من الله عز وجل بالنصر لأوليائه، والعزة والغلبة لحزبه فهم المنصورون من مولاهم عز وجل بالنصر، وهو ما حصل مع المجادلة التي توكلت على مولاها فنصرها وأيدها وشرفها أيما شرف مثل ما نصر وشرف حزبه وأوليائه عبيده الطائعون له عز وجل.

إذ لا ينبغي أن يكون في قلب المؤمن سوى ربه عز وجل، وهذا ما أيقنته المجادلة، ومن ثم أيقنه حزب الله عز وجل وأوليائه، وعباده المؤمنون.

فبعلمه واطلاعه عز وجل على قلوب عباده المؤمنين الذين يوادون الله ورسوله من دون غيرهما من أعداء الله ولو كانوا أقرب الأقربين لهم من بني جلدتهم، وهذا من تمام علمه المطلق. فكان العلم بصغائر الأمور وخفيها هو موجود في أول السورة وكان كذلك في آخرها.

فعندما بدأت السورة ذكرت المجادلة وقصتها فكانت قرآنا يتلى ليوم القيامة وذلك جزاء توكلها على ربها وتفويضها آمرها لصاحب الأمر عز وجل.

قال الإمام البغوي: أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة [1]. وهي المجادلة، وغيرها، فهو حكم شامل يضم كل من كان من حزب الله.

ومن ثم ختمت السورة بما يناسب فاتحتها وهو الشرف والتفضيل الذي كان حاضرا في ختام السورة في ذكر حزب الله تعالى وأوليائه وخاصته، فأضاف إليهم وسماهم (حزب الله) بل شرفهم بتلك التسمية ورفع شأنهم، وأيدهم بنوره ونصره وروح منه لجميع عباده المؤمنون المتوكلون عليه حق توكله سواء من سماهم في أول السورة أو من لم يسمهم.

وبذلك يكون هناك اجتماع بين فاتحة السورة وخاتمتها في تشريف وتفضيل المؤمنين الخالص إيمانهم، فاستحقوا الغلبة والنصر والتأييد.

و قد علم من الرضى من الجانبين والحزبية والإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأييد، خصهم بذلك لأن العزة والقوة والعلم والحكمة، فلذلك علم أمر المجادلة ورحم شكواها لأنها من حزبه وسمع لها، ومن سمع له واستجاب لطلبه فهو مرضي عنه، وحرم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته لأنه منابذ للحكمة المشروعة من الزواج لأنه تشبيه خارج عن قاعدة التشبيهات، وفيه امتهان للأم التي لها في دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التي هي محل الافتراش وخلط الحقائق وقلب الموازين، وختم آيها بأن من تعدى حدوده فعاود أحوال الجاهلية فهو مجادله سبحانه فهو من حزب الشيطان، فقد عاد آخرها إلى أولها بأدل دليل على أحسن سبيل، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث وأقوم قيل وهذا مقصود التي بعدها، ولا شك أنه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك والتشبيه، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان، موجبة للإيمان، قامعة للطغيان، على مدى الدهور وتطاول الأزمان[2].

ومن أقوى الروابط بين فاتحة السورة وخاتمتها أنه لما ذكر حزب الله هو الحزب الأبي الكريم الذي لا يقبل الذل والهوان وإضاعة حقه، ولا يرضى بمحبوب

---

[1] معالم التنزيل للبغوي ج٤\صـ٢٨٥

[2] انظر نظم الدرر في تناسق الآيات و السور للبقاعي ، مع بعض التصرف ،ج١٧\صـ٥٠٨

ومعبود غير ربه تعالى، ويخلو قلبه من سواه، وتوكله عليه وحده، كان افتتح السورة بنموذج من ذلك الحزب.

الفصل الثاني: الموضوع الكلي في السورة.

لا يخفى على المتأمل أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مزية بموضوعها دون الأخرى، وإن كانت كل واحدة مكملة للأخرى في هذا النظم الرباني العظيم.

فهذه السورة المباركة –سورة المجادلة - حالها كحال مثيلاتها من السور المدنية، إذ جميعهم مشتركون في موضاعاتهم ومعالجتهم.

سورة المجادلة مدنية، وقد تناولت أحكاما تشريعية كثيرة كأحكام الظهار، والكفارة التي تجب على المظاهر، وحكم التناجي، وآداب المجالس، و تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول، وعدم مودة أعداء الله، إلى غير ذلك، كما تحدثت عن المنافقين و عن اليهود [1].

قال ابن عاشور: اشتملت هذه السورة على أن الحكم في قضية مظاهرة أوس بن الصامت من زوجه خولة، وإبطال ما كان في الجاهلية من تحريم المرأة إذا ظاهر منها زوجها، وأن عملهم مخالف لما أراده الله وأنه من أوهامهم وزورهم التي أمرهم الله بإبطالها. وتخلص كذلك من ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين ليغيظوهم ويحزنوهم. ومنها موالاتهم اليهود وحلفهم على الكذب.

فقد جاءت هذه السورة تبين تمام علم الله وقدرته، ومن عظم هذه القدرة أن وسع سمعه الأصوات كلها[2].

قال الإمام برهان الدين البقاعي: الإعلام بإيقاع البأس الشديد، بمن حاد الله ورسوله ﷺ لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال[3].

---

[1] صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ج٣\ص١٢٩٢

[2] انظر التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج٨\صـ٣١

[3] انظر نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٧٤

وهي تفصيل لإجمال قوله تعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ " [الحديد:٤]. ومن ذلك تناسقها ومناسبتها مع سورة الحديد كما ذكر آنفا.

وتخلل ذلك التعرض لآداب مجلس الرسول ﷺ وشرع التصدق قبل مناجاة الرسول ﷺ، والثناء على المؤمنين في مجافاتهم اليهود والمشركين. وأن الله ورسوله وحزبهما هم الغالبون[1].

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨صـ٦

الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

و يشمل تمهيدا ومبحثان:

المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي بالسورة.

المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومعه ﷺ خاصة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

تمـــهيد

تناولت هذه السورة العديد من الأحكام والتشريعات والآداب فكان لها العديد من المحاور، وجميعها يصب في معين واحد وتدور حول محور واحد، وهو معية الله تعالى لخلقه، ووعلمه الواسع لكل شيء، الناتج عن معيته لجميع خلقه وإحاطته الشاملة بهم.

وهاهي تبزغ مرة أخرى شمس التلاحم والتناسق بين آيات السورة المباركة، ووحدة آياتها مع بعضها البعض.

إذ تدور جميع محاورها حول هذا المحور والعامود الرئيس الذي تقوم عليه السورة، فتكون بناء منظما متلاحما يكمل بعضه بعضا.

و هذه الموضوعات مترابطة متناسقة لا تقبل التجزئة، وهذا يدل على قوة البلاغة والفصاحة التي امتاز بها القرآن الكريم وكانت عنوانا لها، إذا هذا هو القرآن الكريم الذي لا يعلوه أي كلام فهو كلام الخالق عز وجل. متناسقا يستحيل على كائن من كان أن يأتي بمثله أو سورة أو آية من مثله في بلاغته أو عظمته أو نظمه العظيم. قال تعالى: "أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ " [هود:١٣-١٤].

ولقد أحسن الدكتور \محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم حيث قال: "أعمد سورة من تلك السور التي تناولت أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن الكريم فهي جمهرته وتنقل بفكرك معها مرحلة مرحلة ثم ارجع البصر كرتين كيف بدأت ؟ وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟

وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها، ووطأت أولاها لأخرها ؟ وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به، أكانت هذه السورة قد نزلت في نجم واحد، أم في نجوم شتى"[1].

وهذه الموضوعات والأحكام التي تناولتها سورة المجادلة تناولتها سور أخرى بإيجاز أو إسهاب، فكانوا مشتركين في معالجة الأحكام ذاتها.

حيث ذكرت سورة الأحزاب حكم الظهار بإيجاز، وسورة المنافقين حكت عن المنافقين وعذابهم، وسورة التوبة تناولت عقيدة الولاء والبراء بإسهاب. وكذلك سورة المائدة من تشابه بينها وبين سورة المجادلة في عدة اشتراكات بينهما.

وهنا أناقش كل موضوع ورابط في المباحث التالية إن شاء الله :

[1] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية
قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ،الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع . صـ١٥٤

المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠)، وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ

حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

ابتدأت السورة الكريمة ببيان قصة المجادلة خولة بنت ثعلبة، التي ظاهر منها زوجها على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار – وقد جاءت تلك المرأة المظلومة تشكو ظلم زوجها للنبي ﷺ .

قال الإمام ابن عاشور: افتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها تنويها بالمرأة التي وجهت شكواها إلى الله تعالى بأنها لم تتوانى في طلب العدل في حقها وحق بنيها، ولم ترض بعمل زوجها وابتداره إلى ما ينثر عقد عائلتها دون تبصر ولا روية، وتعليما لنساء الأمة ورجالها واجب الذود عن مصالحهم [1]. وكررت ذلك وأبدت فيه وأعادت [2].

و تأتي هنا إجابة الله لأوليائه بتفريج كروبهم بقضاء حوائجهم، فله الحمد والشكر الرحمن الرحيم بعباده، وهذا من عظيم علمه، وتمام إحاطته بخلقه وعلمه بأحوالهم.

وفي الآية دلالة على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق كفاه الله همه [3]. وذلك لا يكون إلا لمن تعلق قلبه برب معه اينما ذهب وكان محيطا به عالما بحاله.

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٦

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي صـ٨٤٤

[3] غرائب القرآن و رغائب الفرقان تأليف العلامة نظام الدين الحسن محمد بن الحسين القمي النيسابوري المتوفى سنة (٧٢٨هـ) ضبط و خرج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات ،الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ،دار الكتب العلمية بيروت-لبنان .ج٦\صـ٢٦٧

قال الإمام السعدي: وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطته بالأمور الدقيقة والجليلة[1].

ومن ذلك أن الله عالم بكل صوت وبكل مرئي. ومن ذلك محاورة المجادلة ووقوعها عند النبي ﷺ . وتكرير اسم الجلالة في موضع إضماره ثلاث مرات لتربية المهابة وإشارة إلى تعظيم منته ودواعي شكره [2].

قال الكلبي في التسهيل: "أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، و الزور هو الكذب ، وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يجعل امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا، و الظهار محرم ويدل على تحريمه أربعة أشياء : أحدها قوله :"ماهن أمهاتهم" فإن ذلك تكذيب للمظاهر، والثاني أنه سماه منكرا والثالث أنه سماه زورا والرابع قوله تعالى :"وإن الله لعفو غفور" فإن العفو و المغفرة لا تقع إلا عن ذنب، والذنب مع ذلك لازم للمظاهر، حتى يرفعه بالكفارة "[3].

ولما كان الظهار كذلك شرعت كفارته تطهيرا للمؤمنين ورفعهم من حضيض الجاهلية إلى عز الإسلام ورقيه فهو يعلو بأبنائه لسمو الروح والجسد ورقي الأخلاق، فلا يقبل لهم إلا الخير والصلاح وتأديبا لهم على هذا القصد الفاسد والقول الشنيع.

لأن الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية [4].

فالله تعالى هو العالم بحال عباده، وقلوبهم بين يديه علم أن من كفر بهذه الكفارة لم يعد لمثل ذلك الفعل الشنيع وبذلك تحفظ البيوت وتصان الأسر.

لما ذكر سبحانه المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين [1].

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي صـ ٨٤٤

[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢\صـ٩

[3] التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي ج٤\ص١٠٢

[4] تفسير النسفي مدارك التنزيل و حقائق التأويل تأليف الإمام عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة (٧١٠هـ) تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار ،دار النفائس بيروت-لبنان ،الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ،ج٤\صـ٣٤٢

ومن حاد الله ورسوله أي يكون في حد، والله ورسوله يكون في حد [٢]. استحق أن يكون بعيدا عن رحمة الله في الذل والهوان لأنه ليس في جانب الله ورسوله ﷺ واختار جانب الشيطان، وخرج من معيته تعالى لعباده المؤمنين. لأن الإنسان إما أن يكون مع الله فيكون الله معه، وإما أن يكون مجانبا لله – والعياذ بالله – فاختار أن يكون في الخزي والعذاب.

وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين مما يبين الحقائق، ويوضح المقاصد، فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين [٣].

فالآيات تنذر بل تفضح كل من تسول له نفسه ألا يتبع شريعة الله ومنهجه، بل كل من يبعد عن طريق الله، وفيها إخبار من علام الغيوب بما سيلحق به من حساب وجزاء.

وكانت الآية إخبار بحال الأمم السابقة بما لحقها نتيجة اختيارها الضال والمهلك لها، وتحذر كل من يوسوس له شيطانه أن يجرأ على هذا الاختيار الممقوت الذي سيجره لهاوية الجحيم، إخبار ممن هو عالم بالكون مطلع عليه لا تخفى عليه خافية سبحانه.

قال الإمام البقاعي: " لما ذكر عذابهم، ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته، أ ي يكون ذلك في وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار إليهم احياء كما كانوا" [٤].

قال الإمام أحمد: ابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله: "أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ " واختتمها بالعلم بقوله: "إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ"[١]

---

[١] المصدر السابق ج٦\صـ٢٣٠
[٢] انظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي صـ٥٩٢
[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن للسعدي صـ٨٤٥
[٤] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٧

لينبه إلى إحاطة علمه جل وعلا بالجزئيات والكليات، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات، لأنه قد أحاط بكل شيء علما إحاطة علم الله بكل شيء وشهوده لكل شيء وإحصاءه لكل أعمال العباد حال توؤجب مراقبة الله تعالى والخشية منه، والحياء منه أشد الحياء [٢].

فقد أحاط به كما وكيفا وزمانا ومكانا "وَنَسُوه" لكثرته أو لقلة اكتراثهم بالمعاصي[٣]. فإن قيل: كيف ينبئهم بذلك على كثرته واختلاف أنواعه ، فقيل: أحصاه الله جميعا ولم يفته منه شيء. أنهم نسوه ولم يحفظوه، بل وجدوه حاضرا مكتوبا في صحائفهم [٤].

فهو عالم بالظواهر والسرائر والخبايا والخفايا، ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السموات والأرض من دقيق وجليل [٥].

وهذا هو المحور الرئيس الذي يتكرر في كل آيات السورة وهو علم الله المطلق.

فهذه الآيات نزلت في تربية المؤمنين روحيا وتهذيبهم أخلاقيا فقال تعالى: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" أي صدقوا الله ورسوله. إذا تناجيتم لأمر استدعى ذلك منكم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول فتكون حالكم كحال اليهود والمنافقين[٦].

قال الإمام ابن العربي عند قوله تعالى: "لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ " [النساء:١١٤] الآية. إن الله تعالى أمر عباده بأمرين عظيمين: أحدهما: الإخلاص وهو

---

[١] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٠
[٢] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥\صـ٢٨٧
[٣] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٧٢
[٤] فتح القدير للشوكاني ٥ج\ صـ٢٣١
[٥] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان صـ٨٤٥
[٦] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥\صـ٢٩٠

أن يستوي ظاهر المرء وباطنه، والثاني: النصيحة لكتاب الله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، فالنجوى خلاف هذين الأصلين [1].

وعلى المؤمنين التوكل على الله أي يعتمدوا عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتول أمر دينه ودنياه [2]. لأنه سبحانه العالم المطلع على المحسن والمسيء، العالم بخلقه وأحوالهم، وهو رب العالمين لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، المدبر لشؤون عباده فمن توكل عليه وجده عنده، وكفاه، وقضى حاجته بما لا يخطر له على بال، وقبل ذلك هو مولاه ومربيه ومؤدبه بجميع الآداب اللازمة له ليحيى حياة كريمة آمنة مستقرة يسودها الألفة والوفاق مع بني جنسه من البشر ويترأسها العدل الذي هو أساس الأمر، إذ لا يطغى فرد على فرد ولا يحق له ذلك وإن كان بأبسط الأمور وأصغرها وليس بأعظمها فقط. نفسيا، أو جسديا، أو ماديا، أو دينيا، أو ما سوى ذلك مهما قل أو كثر.

---

[1] أحكام القرآن للإمام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المتوفى سنة (٥٤٣هـ)،تحقيق و تخريج عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي –بيروت ، ج١\صـ٥١٣

[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن للسعدي ج٨٤٦

المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم البعض عامة، ومعه ﷺ خاصة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية والعلاقات الإنسانية وبين الإيمان بالله عز وجل. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ

ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾

نوه الإمام ابن عاشور بأن هذه الآية: فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع الرسول ﷺ ، وتلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام [1].

ولما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة [2].

إن التشريعات الإسلامية كلها تنبثق عن الإيمان بالله والرسول ﷺ ، وقبولها علامة الإيمان بالله والرسول والالتزام بها، يعمق الإيمان بالله والرسول. ونعلم جهل الذين يتصورون أن الإسلام عقائد وعبادات فقط فالإسلام عقائد وشعائر وشرائع يجب الإيمان بها جميعا وإلا فهو الكفر[3]، قاله سعيد بن حوى.

لما كانت آيات المجادلة تحمل بين طياتها التأدب مع الزوجة واحترام رابط الزوجية والحفاظ على العلاقات، والوفاء بالعقود التي يلزم الإنسان بها نفسه في حدود الشريعة فقد روعي في كفارة الظهار التشديد، محافظة على العلاقة الزوجية، ومنعا

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٣
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي للبقاعي ج٧\صـ٤٩٥
[3] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٨٣-٥٧٨٤

من ظلم المرأة فإن الرجل إذا رأى الكفارة وثقل الوفاء بها، احترم العلاقة الزوجية، وامتنع عن ظلم الزوجة[1].

فكانت كذلك آيات الآداب والتنظيمات تحريضا وسبيلا للحفاظ على علاقة المؤمنين بعضهم ببعض، والحفاظ على الأخوة فيما بينهم وبعث روح المحبة وتأصيل الأخوة الإيمانية، وذلك بالبعد عن كل ما يثير الغبن والأحقاد أو يدخل وساوس الشيطان ويزرعها، بل إزالة جذور الفتن وسد الذرائع الشيطانية.

قال الإمام الشوكاني: " فهذه الآية من آيات الأخلاق والآداب التي ملأت القرآن الكريم وحرص عليها المولى عز وجل في التعاملات بين المؤمنين خاصة وبين الناس جميعا عامة. فهذا أمر من الله تعالى بحسن الأدب مع بعضهم بعضا بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه [2]. حيث نهى تعالى عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر حثهم على ما يوجب مزيدا من المحبة والألفة" [3].

وأيضا برفع شأن المسلمين المطبقين لحدود الله الملتزمين بما شرع وفرض وأوجب. فإن الله عز وجل إذ يطهر المسلم من أخلاق الفاسقين، فإنه يحققه في الوقت نفسه بأخلاق المؤمنين، فالهدم والبناء، والتخلية والتحلية كلها تمشي مع بعضها[4].

سواء كان ذلك في مجلس الرسول ﷺ أو في صفوف القتال أو الصلاة فهذا حكم عام في كل مجالس الخير، وذلك فيه رد على المنافقين الذين يحاولون نشر الفرقة والنزاع بين المسلمين، فكانت هذه الآداب معاكسة لسوء أخلاقهم.

فالتوسعة من سمات المسلمين وخصالهم والإيثار هو طبعهم وهو ما حثت عليه هذه الآية الكريمة وأوصت به فإذا وسعت الصدور لبعضهم بعضا والقلوب، وسعت المجالس للقادمين، ولهذا كان جزاء الموسعين لإخوانهم، السعة في الدنيا والآخرة

---

[1] يرجع إلى فقه السنة تأليف السيد السابق ،مكتبة الخدمات الحديثة ، ج١٢\صـ٤٥٦

[2] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٤

[3] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦\صـ٢٧٤

[4] انظر الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٨٩

فكان الجزاء من جنس العمل. فالمؤمن يمتثل لأوامر ربه، يستجيب له سمعا وطاعة، في كل خير وعبادة، راضيا عنهما، مسلما بحكم الله.

فإن القيام بمثل هذه الأوامر من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم من العلم والإيمان. وفي هذه الآية فضيلة العلم. وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه [1].

إن من فتح الله عليه بالعلم النافع لا يقدم على منكر الأقوال والأفعال، وإن كان ولا بد من خطأ أقدم عليه فإنه سريع التوب والإنابة لربه فلا مصر ولا معاند.

فلما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن[2].

والأولى منه تباعد الأزواج بالباطل - الظهار- الذي هو لبنة المجتمع، فالتواصل، والمقاربة بين الأزواج هي الأولى، لذلك فتحت بها السورة.

ولذلك كان الجزاء من جنس العمل، فكما كان سماع المجادلة سماع إجابة. قال الإمام البغوي: سميع لما تناجيه وتتضرع إليه بصير بمن يشكو إليه[3]. كان كذلك الجزاء من جنس العمل مع كل من تأدب بالآداب التي علمه إياها ربه، وقبل ذلك حفظ حدود دينه. "دَرَجَٰتٍ " عالية بما جمعوا من أثرتي العلم والعمل فإن العلم والعمل

مع علو رتبته يقتضتي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي صـ٨٤٦.
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٩٥
[3] معالم التنزيل و حقائق التأويل للبغوي ج٤صـ٢٧٧

وإن كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدي بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره[1]. وقد قال الإمام ابن كثير: إن الجزاء من جنس العمل[2].

لما كان تعالى هو العالم بنفوس عباده، وخبايا تلك النفوس، مطلع على سرهم وجهرهم كان عالما بكل أحوالهم ومن كان بين تلك الأحوال مناجاتهم للرسول ﷺ ، وهذا نوع خاص من المناجاة، فهو تعالى أعلم بالمنافقين الذين يناجونه وهم يخبئون المكر والخبث والخديعة.

فكان لابد من إظهار وتمييز المؤمن عن المنافق ومن تمحيص للمؤمنين، وكان ذلك بأمر يشق على النفس ولا ترغبه أبدا، وهو النفقة فأنزل تعالى الصدقة وتقديمها قبل مناجاته ﷺ ، فكان الأمر من الله تعالى وهو أعلم بما في نفوس عباده منهم، ليعلم من أطاع وأنفق ممن خاف الفقر والعيلة.

قال ابن عباس : " نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه ، فأراد الله عز و جل أن يخفف عن نبيه ﷺ ، فلما قال ذلك كف كثير من الناس . ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها" . وقال الحسن: " نزلت بسبب أن قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي ﷺ و يناجونه ، فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى ، فشق عليهم ذلك فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه ". و قال زيد بن أسلم : " نزلت بسبب أن المنافقين و اليهود كانوا يناجون النبي ﷺ ويقولون : إنه أذن يسمع كل ما قيل له، وكان لا يمنع أحدا مناجاته . فكان ذلك يشق على المسلمين ، لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعا اجتمعت لقتاله . قال : فأنزل الله تبارك و تعالى : "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ" الآية، فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية ، فانتهى أهل الباطل عن النجوى ، لأنهم لم

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج١٦\صـ٢١٨
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٦

يقدموا بين يدي نجواهم صدقة ، و شق ذلك على أهل الإيمان و آمتنعوا عن النجوى، لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد الآية [١].

وهذه الآيات ما زالت تسير في ركب الآيات الداعية إلى الآداب وحسن الخلق وتهذب النفس وتسمو بها إلى مكارم الأخلاق مع الناس عامة، ومع سيد ولد آدم خاصة ﷺ .

قال الإمام الألوسي: "وفي هذا الأمر تعظيم للرسول ﷺ ونفع للفقراء وتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا ودفع للتكاثر عليه ﷺ من غير حاجة مهمة " [٢].

ولما أخبر بإحاطة علمه ردعا لمن يغتر بطول حلمه، دل على ذلك بإطلاعه على نفاق المنافقين الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق ﷺ تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره [٣].

قال الإمام البقاعي: " ولما كان الذي يحملهم على الأقدام على ذلك ضعف عقولهم وتوغلهم في النفاق ومرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم بأن ذلك لا ينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسبان، فقال دالا على أنهم في الغاية من الجهل وقلة العقل ، ولما أفهم ذلك أن أمورهم لا حقائق لها لا في إخباراتهم ولا في إيمانهم ولا في حسبانهم، ناداهم عليهم مؤكدا لتكذيب حسبانهم" [٤].

ذكرت هذه الآيات تقسيم الخلق إلى قسمين وحزبين: حزب الله وحزب الشيطان، وذكرت خصائص كل حزب وصفاته الظاهرة والباطنة، التي لا يعلمها إلا علام الغيوب.

وفسر القاضي أبو السعود " أَلَمۡ تَرَ " أي ألم تعلم علما يقينا متاخما للمشاهدة

---

[١] ذكره الإمام القرطبي في تفسيره الجامع للأحكام القرآن ج١٩\ص٢٥٥

[٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٢

[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠١

[٤] يرجع للمصدر السابق صـ٥٠٤

بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما[1]. ألم تر: أي عن الذي أخبرك به الله فصدقه كما تصدق ما رأيته بعينك لأنه هو الحق من الحق تعالى[2].

وذلك لأن المخبر هو عالم الغيب والشهادة، فخبره موافق للحقيقة والواقع لأنه هو الذي يدبر الأمر فهو أعلم العالمين به.

وقال الإمام الطبري: " إن الله جل ثناؤه ذو قوة وقدرة على كل من حاده ورسوله أن يهلكه، دون عسرة فلا يقدر أحد أن ينتصر منه إذا هو أهلك وليه، أو عاقبه، أو أصابه في نفسه بسوء " [3].

فأعمال المنافقين ومكائدهم لا تخفى على الله عز وجل فهم مفضوحون، لا يخفى منهم أحد عنه، مهما حاولوا خداع المؤمنين وتضليلهم فإن خالقهم هو الذي يفضحهم ويكشف أمرهم للمسلمين ويحذرهم منهم، لأنه تعالى وحده العالم بما يدور في نفوسهم الخبيثة، وطياتهم النجسة، المطلع على دسائسهم ومكائدهم مع بعضهم ومع اليهود حلفائهم.

لذلك كان إخباره جل وعلا أصدق إخبار وأجل تنبيه، وذلك من رحمته بعباده. ولطفه بهم أن يظهر لهم أعدائهم ويعينهم عليهم بقوته وعزته.

ومازالت الآيات الكريمة تدعو للفضائل شتى، والأخلاق الكريمة، إذ هي تختم السورة بآية عظيمة وهي – آية البراءة من الكفر وأهله وإن كانوا الأهل والأقارب – فبعد أن ذكرت صفات المنافقين وحذرت المؤمنين من أن يكونوا منهم ولو بصفة من صفاتهم، وها هي تبعدهم عنهم، وتقطع العلاقات القلبية من موالاة ومحبة لأقرب الأقربين وبني الجلدة، وتقلع من النفس المؤمنة التي ترضى بالخبث والكفر ولا تقبله بل لا تحبه وتنكره من أساسه قلبا وقالبا، فالله عز وجل هو الذي طهر تلك النفس وهو

---

[1] تفسير أبو السعود للقاضي أبو سعود ج٦\صـ٢١٦

[2] تفسير الشعراوي نقل بتصرف .

[3] تفسير الطبري لابي جرير الطبري ج١٢\صـ٢٥

العالم بما تحتويه وتنطوي عليه سرائرها فهو المحيط بأدق الدقائق والخفايا، سبحانه المطلع على جميع خلقه.

قال الإمام ابن الجوزي: والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد في طلبه كل أحد [1]. لأن هذه الآية قد بينت وخصت بالذكر هذه المرتبة من الإيمان ليتم التناغم والتجانس والتناسق في موضوع السورة العام وبين خاتمتها إلا وهي العبادة القلبية العظمية هذه. حتى يتم تمحيص المؤمنين الحق من المنافقين المدعين لذلك إن هذا الأمر إذا أخفاه الإنسان في قلبه ولم يظهر عليه أحد فكيف سيتم معرفة حقيقته الإيمانية؟

إن ذلك يتم بكشف عالم الغيب والشهادة لأمر كل فرد وتمحيصه بهذا الاختبار الدقيق، الذي لا ينجح فيه وينجو منه إلا من تساوت سريرته وظاهره

فالذي يخفى على العباد فهو لا يخفى على ربهم عز وجل إذ انه مطلع على صغار الأمور وكبارها، فالله مع عباده في كل وقت وفي كل زمان.

إذ كل هذه الأعمال القلبية سبحانه وتعالى وحده هو المطلع عليها والعالم بها، لذلك كان الجزاء عليها جزاء قلبي، وجزاء حسي، ليتحقق لهم كل الرضا والإحسان.

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢٢١

الباب الثالث

التفسير التحليلي لسورة المجادلة في ضوء تناسقها الموضوعي و يشمل الخاتمة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

"بسم الله" الذي أحاط علمه فتمت قدرته فكملت جميع صفاته.

"الرحمن" الذي شمل الخلائق جودا بالإيحاء وإرسال هداته.

"الرحيم" الذي خص أصفيائه فتمت عليهم نعمة مرضاته[1].

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

هذه الصورة نموذج للحياة في عهد رسول الله ﷺ بكل تفاصيلها. ففي هذه الصورة بصفة خاصة نشهد صورة موحية من رعاية الله للجماعة الناشئة، وهو يصنعها على عينه، ويربيها بمنهجه، ويشعرها برعايته، ويبني في ضميرها الشعور الحي بوجوده سبحانه. معها في أخص خصائصها، وأصغر شؤونها، وأخفى طواياها، وحراسته لها من كيد أعدائها خفيه وظاهره[2].

فكان من عظيم فضله العظيم على عباده ذكر شأنهم في هذه السورة واستماعه لشأنهم وسماع الله تعالى للموجودات كلها قولا أو غيره، لا يختص بسماع الأصوات، بل كل موجود يسمعه ويراه ويعلمه، ويعلم المعدوم، ويجوز تعلق سمعنا بكل موجود كذلك رؤيتنا، ولكن الباري تعالى أجرى العادة بتعلق رؤيتنا بالألوان، وسمعنا الأصوات، ولله الحكمة فيما خص والقدرة فيما عم[3].

ذكر الله في هذه الآية عظيم قدرته، فكان سماع أصوات جميع الخلائق من ضمنها، ومنه سماعه لمجادلة خولة لرسول الله ﷺ[4].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٧٤

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٣

[3] أحكام القرآن لابن العربي ج٤\صـ١٣٥

[4] التفسير الموضوعي لسور القران لمصطفى مسلم ج١٨\صـ٣٣

فابتدأت السورة الكريمة بقوله "قَدْ سَمِعَ" التي لا تدخل إلا على الأفعال، فإذا دخلت على الماضي أفادت التحقيق، وإذا دخلت على المضارع أفادت التقليل. فإن قلت ما مضى (قد) في قوله "قَدْ سَمِعَ" ؟ قلت: معناه التوقع ؟ لأن الرسول ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتهما وشكواها وينزل ما يفرج عنها[1]. ويفرج ويفرج كربها كما يلوح به ما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استيفائها ما عندي في أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعني بقوله تعالى: "وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ" أي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين[2].

و إلا فسماع الخالق لخلقه قضية متحققة[3].

فليس المراد أنه سمع مجرد سماع، بل كان سماع إجابة بدليل أنه أنزل الحكم، فهو القيوم القائم بعباده، قيوميته دائمة كاملة، يسمعهم ويبصرهم ويدبر أمرهم، ويصلح حالهم ويرزقهم فهو القيوم[4].

لأنه سامع، وعالم بعباده وأحوالهم في كل زمان ومكان ومع جميع مخلوقاته ففي هذه الفترة، فترة اتصال السماء بالأرض وهي نزول الوحي على رسول الله ﷺ.

و نزول الوحي مباشرة عندما شكت المجادلة للرسول ﷺ فيها دليل على علاقة البارئ عز وجل بخلقه وعباده المؤمنين، وقربه منهم، ورحمته بهم في تفريج كرباتهم

---

[1] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٦٤-٣٦٥

[2] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٣-٢١٤

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج٨\صـ٣٥

[4] موقع الشيخ الشعراوي على قناة اليوتيوب .
http://www.youtube.com/watch?v=A6BCzeB4bRo

فهو "مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ " [الحديد:٤] أي أنه مطلع، وفي هذه الآية رد على كل من ينكر وجود الله عز وجل فها هو دليل على وجوده بأنه أنزل الوحي مباشرة[١].

روى الإمام أحمد عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية من البيت لا أسمع ما تقول. فأنزل الله عز وجل "قَدۡ سَمِعَ ..." إلى آخر الآية. رواه البخاري معلقا[٢].

روي أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت، أراد زوجها مواقعتها يوما فأبت، فغضب وظاهر منها، فأتت رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله: إن أوسا ظاهر مني بعد أن كبرت سني، ورق عظمي، وإن لي منه صبية صغارا، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا، فما ترى ؟ فقال لها: (ما أراك إلا قد حرمت عليه) وهي تكرر قولها، فما زالت تراجعه حتى نزل قوله تعالى: "قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ..." الآيات[٣].

وفي (العناية): المراد بقوله "قَدۡ سَمِعَ" إلخ قبل قولها وأجابه، كما في سمع الله لمن حمد، مجازا بعلاقة سببية أو الكناية. انتهى [٤].

و ذكر الإمام الألوسي أنها: " قرئت " قَدۡ سَمِعَ" بإظهار الدال، وقرء أبو عمرو، وحمزة والكسائي، وابن محيصن بإدغامها في السين، أي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك أي تسائلك" [٥].

---

[١] نفس المصدر السابق .

[٢] أخرجه البخاري تعليقا ٩٧ كتاب التوحيد ،باب قوله تعالى "و كان الله سميعا بصيرا".

[٣] أخرجه ابن ماجه رقم ٢٠٧٣ و أحمد في المسند ج٦\صـ٤٦ ،يرجع إلى سنن ابن ماجه ،و مسند أحمد ابن حنبل .

[٤] تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج١٩\صـ٥١

[٥] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٣

"تُجَـدِلُكَ فِي زَوْجِهَا " اتفق العلماء على أنها خولة بنت ثعلبة، وهو ما أجمعت عليه معظم كتب التفسير جاءت شاكية للنبي ﷺ من زوجها وهو أوس بن الصامت، وهو أخو عبادة بن الصامت، كانت تحته فظاهر منها.

قيل هي خولة بنت حكيم، وقيل: اسمها جميلة ، والأول أصح والله أعلم. وقيل: هي خولة بنت خويلد. وقال الماوردي: " أنها نسبت تارة إلى أبيها وتارة إلى جدها، فأحدهما أبيها والآخر جدها، فهي خولة بنت ثعلبة بن خويلد"[1].

اختلف العلماء من هي المرأة فقيل: هي امرأة صحابية من الأنصار اختلف في اسمها واسم أبيها، فقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: بنت مالك بن ثعلبة وقيل: جميلة بنت الصامت، وقيل غير ذلك، والأكثرون على أنها خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية، وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، وقيل: هو سلمة بن صخر الأنصاري، والحق أن لهذا قصة أخرى[2].

و أخرج النحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: كان أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت تحته ابنة عم له يقال لها خولة بنت خويلد، فظاهر منها.

و الذي أجمعت عليه كتب التفسير أنها خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت.

أنه ليس من المهم ذكر اسم الشخص لطالما لم يذكر في نص الآية إذ أن الحاجة لم تقتضي ذلك، فالمقام ليس لذكر شخص بعينه ويسميه، فالتشخيص يحد من القصة ويجعلها خاصة بذات الشخص، لكن تعميمها بالوصف يعطيها خصبا وعطاء لها في كل وقت [3].

---

[1] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٢٦

[2] ينظر المصدر السابق .

[3] يرجع إلى تفسير الامام الشعراوي نقل بتصرف [3] موقع الشيخ الشعراوي على قناة اليوتيوب .
.http://www.youtube.com/watch?v=A6BCzeB4bRo

و ليس المهم من هي المرأة لأن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، وهذا خلاف لا فائدة منه. ولكن الأغلب اجتمعوا أنها خولة بنت ثعلبة.

و لحكمة الله تعالى أعلم بها لم يذكر اسم صاحبة القصة في السورة إذ لو كان هناك فائدة تعود على العباد لذكره المولى عز وجل.

وفي إضافة المرأة إلى زوجها في قوله تعالى "فِي زَوْجِهَا" إشارة إلى أن المرأة المظاهر منها لا زالت زوجة زوجها لم تحرم عليه حرمة مؤبدة، بل ما زال هناك سبيل إلى وصل هذه العلاقة[1].

روى الإمام الطبري بسنده حيث قال حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن أبي معشر المدني، عن محمد بن كعب القرظي، قال: كانت خولة ابنة ثعلبة تحت أوس بن الصامت، وكان رجلا به لمم، فقال في بعض هجراته[2]: أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال، فقال لها: ما أظنك إلا قد حرمت علي، قالت: لا تقل ذلك، فو الله ما أحب الله طلاقا، قالت: ائت رسول الله ﷺ فسله، فقال: إني أجدني أستحي منه أن أسأله عن هذا، فقالت : دعني أن أسأله، فقال لها: سليه ، فجاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت: يا نبي الله إن أوس بن الصامت أبو ولدي وأحب الناس إلي، قد قال كلمة والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: أنت علي كظهر أمي، فقال النبي ﷺ : ما أراك إلا قد حرمت عليه، قالت: لا تقل ذلك يا نبي الله، والله ما ذكر طلاقا، فراددت النبي ﷺ مرارا، ثم قالت: اللهم إني أشكو اليوم شدة حالي ووحدتي، وما يشق علي من فراقه، اللهم فأنزل على لسان نبيك، فلم ترم مكانها حتى انزل الله "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ " إلى أن ذكر الكفارات فدعاه النبي ﷺ فقال: أعتق رقبة، فقال: لا أجد، فقال: صم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، إني لأصوم اليوم الواحد فيشق علي، قال: أطعم ستين مسكينا، قال: أما هذا فنعم[3].

---

[1] التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ج١٢\صـ٨١١

[2] الهجرة بكسر الهاء اسم من الهجر بفتحها ،و هو حرمه لزوجه .

[3] تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢\صـ٥ حديث رقم (٣٣٧١٩)

فكانت تراجع الرسول ﷺ و ترد عليه كلما قال لها حرمت عليه. فكانت تبالغ في أن تقبلك إلى مرادها [1]. وفي قوله "تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا" إشارة إلى احترام الشريعة للإنسان-ذكرا كان أم أنثى- وإعطائه حقه كاملا في استعمال عقله ومراجعته لغيره فيما يعرض عليه من قضايا وهذا واضح من محاورة المرأة للنبي ﷺ [2].

وقد استحضرت المرأة بعنوان الصلة تنويها بمجادلتها وشكواها لأنها دلت على توكلها الصادق على رحمة ربها بها وبأبنائها وبزوجها [3].

وهي التي جاءت للنبي ﷺ لترفض هذا الظلم وتدافع عن أسرتها وحياتها الزوجية، وترفع الجور الذي كان يقع على النساء في تلك الحقبة من الزمن، فجاءت الشريعة السمحاء لتعطي للنساء كافة حقوقهم، فكما كان لها الحق في قبول عقد الزواج والارتباط، ينبغي أن يكون لها الحق أيضا في أن لا ينتهي ذلك العقد بتلك الطريقة الظالمة، فكما بني على الوفاق من الطرفين فيجب أن يكون إنهاء وفسخ ذلك العقد بالرضا والاتفاق من الطرفين، وليس لطرف دون الآخر، لأنها منذ ذي بدء هي مؤسسة مشتركة بين طرفين لكل منهما حقوق وواجبات ويجب أن تبقى كذلك. إذ من رحمته عز وجل أنه لا يرضى لطرف أن يجور على الآخر.

"وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ" قال النسفي: " تظهر ما بها من المكروه "[4]. أي تتعمد بتلك الشكاية لله وتناجيه وتتضرع إليه مفوضة أمرها لبارئها، فتوكلت على الحي القيوم، فأعطت درسا في التوكل، ونموذجا للجوء الخالص المطلق إلى الله عز وجل.

رافضة للظلم الذي وقع عليها من زوجها بظهاره لها، لم تكن كغيرها ممن استسلمن للظلم وخضعن له. فكانت مجادلتها للرسول ﷺ ومن قبل ذلك شكواه له، نفعا

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٧٥
[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨\صـ٣٥
[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٨
[4] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٤\صـ٣٤٠

لها وللأمة جمعاء من بعدها ورحمة للعالمين. بأن رفع هذا الظلم عن النساء وألغى ذلك الجور الذي كان يقع عليهن.

فالشكوى إلى الله من الهم والحزن والضيق أنجع طريق، فقد أجاب الله شكوى خولة بنت ثعلبة وقبل استغاثتها، وحقق ما توقعته من ربها، لثقتها بفضل الله وإحسانه، والإجابة والقبول هو المقصود منه قوله: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ "[1].

أخبر الله تعالى عن المجادلة أنها تشتكي إليه تعالى وتبث إليه همها ومصابها، وهو مثل فعل نبي الله يعقوب عليه السلام إذ اشتكى حزنه ومصابه لله تعالى وحده، إذ قال: "إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ "[يوسف:٨٦]. فهو نفس الفعل بعينه، بث الشكوى لله جل وعلا الرحمن الرحيم المطلع المدبر لأحوال عباده، ولا يعلم ذلك ولا يوقنه إلا المؤمنون حقا العالمون بربهم المتوكلون عليه حق توكله، وهم حزبه وأهله وخاصته الذين تربوا في كنفه وتحت راية الإيمان ولوائه، فهو دأب الصالحين وطريقهم.

فالله وحده القادر على رفع البلاء وإنزال الصبر والفرج وإزالة الحزن والهم، ولا مذلة في ذلك ولا مهانة. بل الراحة والسعادة والفرج.

فالفرج آت على حسب المشكو إليه فإذا كان العباد كان مذلا مهينا ناقصا. وإذا كان لرب السموات والأرض أتى من عنده الفرج الكامل على ما يريده عبده الفقير، بل أكثر من تصوره البسيط المتواضع، وما وصل إليه خياله وقريحته، فكان الفرج يليق بعطايا الكريم الحي القيوم.

فهذه الشكوى لم تكن من جمعية ولم تكن عبر مجالس نيابية أو مجالس شعبية ولم تكن شعبية، بل شكوى امرأة في المجتمع المسلم، لكن القرآن لا يهمل ذلك وإن كانت حادثة في بيت صغير مع رجل كبير في السن وامرأة طاعنة في السن، وهذا من الأمور التي ينبغي أن نقف عندها في نظرتنا إلى كتاب الله عز وجل. ونحن في

[1] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ،المؤلف : د. وهبة بن مصطفى الزحيلي ،دار الفكر المعاصر – دمشق ،الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ، ج٢٨\صـ٢٠

الحقيقة بحاجتها في هذه الحادثة جلوس النبي ﷺ مع هذه المرأة الكبيرة في السن واستماعه إلى شكواها وحواره لم ينهرها ولم ينفرها ولم يطردها، ومما يؤسف له أن بعض العلماء اليوم يكون شديدا قاسيا متعنتا، ويرمي بالفتوى كأنه يصفع بها المستفتي، ونرى النبي ﷺ يقول ما أراك إلا قد حرمت عليه، وحتى في البداية نصحها وقال: ارفقي بزوجك إنه كبير السن ارفقي به، فأخبرته القصة وبقيت عند النبي ﷺ وهو يستمع إلى هذه الشكوى[1].

"وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ " أي أنه تعالى كان ثالثكما، وهو مثل ما ورد في قوله تعالى: "إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ "[طه:٤٦].

فجدالها مع النبي ﷺ ارتقى ووصل إلى حوار بينهما مطلع عليه الله سبحانه، وهذا هو المؤمن دائما في رقي وصعود في سلم الأخلاق الفاضلة، من حسن لأحسن، ومن فضيل لأفضل، وها هو الشارع يطيب خواطر المؤمنين ويأخذهم لكل خير. وهو معهم أينما كانوا.

أي والله يسمع حديثكما، ومراجعتكما الكلام، ماذا قالت لك وماذا رددت عليها[2].

و في حديث عائشة حينما قالت كنت في جانب البيت وهي تغسل رأسه ﷺ، دليل على أدب المجادلة في خطابها للرسول ﷺ إذ كان صوتها منخفض، ولم يكن ظاهرا حيث أن السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي تغسل رأس رسول الله ﷺ لم تكن تسمع كلامها. وهي الطريقة المثلى للجدال فصاحب الحق لا يثبت حقه بالصوت المرتفع، بل بالحجة والبينة لأن الصوت المرتفع يضيع الحق وهو سلاح المهزوم الضعيف، أما صاحب الحق سوف يظهره الله تعالى ويؤيده ويكون معه. وكذلك في طيات هذا الحوار يجب الالتفات إلى أدب جم وهو أدب السائل في تلقي الجواب وقبوله به، وإذا

[1] منبر علماء اليمن –الشيخ صالح بن يحيى صواب ،على الرابط
http://olamaayemen.net/main/articles.aspx?article_no=11985
[2] صفوة التفاسير للصابوني ج٣اصـ١٢٩٤

كان هناك اعتراض عليه أن يكون بلباقة وبخلق حسن، والذي هو سمة المؤمن وصفته الملازمة له.

قال القاضي أبو السعود: "إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ " فهو تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي جملتها رفع رأسها إلى السماء، وسائر آثار التضرع، وإظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة، وتعليل الحكم بوصف الألوهية، وتأكيد استقلال الجملتين"[1].

سميع لمن تناجيه وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه[2].

فالسماع لابد له من سامع مدرك محيط بكل مسموع. فسبحان من لا يشغله صوت عن صوت.

ومنهج السلف عليهم رضوان الله في صفات الله تعالى، إثبات الصفات لله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل، كما وردت في محكم تنزيله، وكما وردت عن رسوله ﷺ ، ومنها صفتي السمع والبصر بما يليق بجلاله وعظمته.

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢

في عناية الله تعالى بالمرأة وتعظيم وتكريم شأنها وذلك بإنزال صدر السورة لها، وكان الحكم لها خاص وللأمة عام – فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب- تلا ذلك التشريف الذم والاستهجان للعرب في عاداتهم الظالمة وسلوكهم غير السوي المتمثل ها هنا بالظهار حيث كان الإسلام قد أقر بعض من عاداتهم الحسنة وأتمها وأكد عليها، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[3] أما

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٤
[2] معالم التنزيل للبغوي ج٤\صـ٢٧٧
[3] مسند البزار = البحر الزخار ،باب مسند أبي حمزة أنس بن مالك ج١٥\صـ٣٦٤ ، رقم (٨٩٤٩)

عاداتهم الجاهلية الممثلة في الظلم ونزع الحقوق فقد منعها وقضى عليها، إذ كان هذا اليمين خاصا بهم دون سائر الأمم.

فلما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه فقال ذاما للظهار كاسيا له ثوب العار[1].

تنتزل جملة "ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم" وما يتم أحكامها منزلة البيان لجملة: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا " الآية لأن فيها مخرجا مما لحق بالمجادلة من ضر بظهار زوجها، وإبطالا له، ولها أيضا موقع الاستئناف البياني لجملة "قَدْ سَمِعَ" يثير تساؤلا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله للشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المخرج لها منه، قاله الإمام ابن عاشور[2].

"ٱلَّذِينَ " ولما كان الظهار منكرا لكونه كذبا، عبر بصيغة التفعل الدالة عليه فقال: " يُظَٰهِرُونَ " أي يوجدون الظهار، وكأنه أدغم تاء التفعل والمفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل له من مجامعة زوجته. ولما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم، نبه على ذلك تهجينا له عليهم وتقبيحا لعادتهم فيه، تنبيها على أن اللائق بهم أن يكونوا أبعد الناس في هذا الكلام لأن الكذب لم يزل مستهجنا عندهم في الجاهلية، ثم ما زاده الإسلام إلا استهجانا[3].

فالإسلام دين العدالة والعدل يأبى الظلم ويرفضه لا يقبل بوجوده ولا يسمح به مهما كان صاحب السلطة. ينصر الضعيف والمغلوب يأخذ بحق كل فرد من مغتصبه، ويرد المظلوم لجادة الطريق ويمنعه من الظلم والطغيان، وبذلك حماية للجميع، والحصول على مجتمع فاضل يسوده العدل والحق وكان من ذلك أن نصر النساء من صنوف الظلم والاضطهاد الذي كانوا تحت سطوته في الجاهلية، وحماهن، وحفظ لهن

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٨٠ .
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ٢٨ج٩صـ
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٨٠

حقوقهن، وكفل لهن كامل الحق والإنسانية، وكان الحامي لهن، ومن ذلك الحفاظ على المرأة وحقوقها بأن حرم عادة من أشنع العادات في الجاهلية كانت تتذوق النساء حرارتها ويتجرعن مرارتها، وهي الظهار.

والظهار هو: الظهر الجارحة، وجمعه ظهور، قال: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ" [الانشقاق: ١٠]، "ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ " [الشرح: ٣] والظهر هنا استعارة تشبيها للذنوب بالحمل الذي ينوء بحامله واستعير لظاهر الأرض فقيل: ظهر الأرض وبطنها، قال تعالى: "مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ " [فاطر: ٤٥] ورجل مظهر، وظهر يشتكي ظهره. ويعبر عن المركوب بالظهر، ويستعار لمن يتقوى به، وبعير ظهير قوي بين الظهارة وظهري معد للركوب، والظهري أيضا ما تجعله بظهرك فتنساه، قال: "وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا " [هود: ٩٢] وظهر عليه غلبه وقال: "إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ " [الكهف: ٢٠] وظاهرته عاونته، قال: "وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ " [الممتحنة: ٩] " وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ" [التحريم: ٤] أي تعاونا، "وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ " [سبأ: ٢٢] أي معين، "وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا " [الفرقان: ٥٥] أي معينا للشيطان على الرحمن. وقال أبو عبيدة: الظهير هو المظهور به، أي هينا على ربه كالشيء الذي خلفته ولم التفت إليه. والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، يقال ظاهر من امرأته، قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ " وقرئ "يظاهرون" أي يتظاهرون، فأدغم ويظهرون، وظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ثم صار مستعملا في كل بارز مبصر بالبصر والبصيرة[١]. يقال: ظاهر من امرأته يقصد بذلك تحريمها، قال تعالى: "وَٱلَّذِين يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ".

[١] مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، صـ ٣٣٥ ،كتاب الظاء .

و ذكر الإمام ابن العربي أن في هذه الآيات شروع في بيان شأن الظهار في نفسه، وحكمه المترتب عليه شرعا، وذلك تحقيق قبول تضرع تلك المرأة واشتكاؤها بطريق الاستئناف[1].

"ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ" حقيقته تشبيه ظهر بظهر، والموجب للحكم منه تشبيه ظهر

محل بظهر محرم، ويتفرع عليه فروع كثيرة، أصولها سبعة:

الفرع الأول: إذا شبه جملة أهله بظهر أمه، كما جاء في الحديث أنه قال: أنت علي كظهر أمي[2].

الفرع الثاني: إ ذا شبه أهله بعضو من أعضاء أمه كان ظهارا.

الفرع الثالث: إذا شبه عضو من امرأته بظهر أمه.

الفرع الرابع: إذا قال أنت علي كأمي، أو مثل أمي. فإذا نوى ظهارا كان ظهارا، وإن نوى طلاقا كان طلاقا، وإن لم تكن له نية الطلاق.

الفرع الخامس: إذا قال: علي حرام كظهر أمي كان ظهارا.

الفرع السادس: إن شبه امرأته بأجنبية فإن ذكر الظهر كان ظهارا حملا على الأول، وإن لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا، فمنهم من قال: يكون ظهارا، ومنهم من قال يكون طلاقا.

الفرع السابع: إذ قال أنت علي كظهر أختي كان مظاهرا [3].

وسئل شيخ الإسلام رحمه الله: عن رجل قال لامرأته: أنت علي مثل أمي وأختي ؟ فأجاب: إن كان مقصوده أنت علي مثل أمي وأختي في الكرامة، فلا شيء

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٦٧

[2] وقع في رواية الطبري ٣٣٧١٨ عن ابن عباس ،و برقم ٣٣٧١٩ عن محمد بن كعب القرظي ،و جاء في روايات متعددة كذلك .

[3] انظر أحكام القرآن لابن العربي ج٤\صـ١٣٨ .نقل باختصار و للاستزادة العودة إلى المرجع .

عليه، وإن كان مقصوده يشبهها بأمه وأخته في باب النكاح، عليه ما على المظاهر، فأن امسكها فلا يقربها حتى يكفر كفارة الظهار[1].

وعند أبي حنيفة – رحمه الله – : " ولو قال أنت علي كأمي أو كروح أمي وأراد به الإعزاز والكرامة فلا يكون ظهارا حتى يريده "[2].

واختلفوا في "يتظاهرون" فقرأ عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين[3].

"مِنكُم" يعني المسلمين، وذلك يقتضي خروج الذمي من الخطاب[4]. ذكره ابن العربي أيضا. "مِّن نِّسَآئِهِم " تذكير لهؤلاء الأزواج بأن أولئك اللائي قذفوهن بهذا اليمين الباطل أنهن مازلن زوجاتكم وعلى عصمتكم لا يلغي ذلك القول الباطل رباط الزوجية الغليظ أو ميثاقها وقد سماه تعالى: "غَلِيظًا " في قوله تعالى: "وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا " [النساء:٢١].

"مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ" خبر للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت، وقرئ أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم[5].

فكما يستحيل فطرة وعقلا أن تكون الأم زوجة كذلك يستحيل أن تكون الزوجة أما، إذا لا قارن بينهما ولا شبه حتى، ويستحيل أن تكون أحدهما في مقام الأخرى.

---

[1] انظر مجموع الفتاوى (٥ج\صـ٣٤) نقل من كتاب فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .
[2] معالم التنزيل للبغوي ج٤\صـ٢٧٨
[3] النشر في القراءات العشر لابن الجوزي صـ٦٤.
[4] أحكام القرآن لابن العربي ج٤\صـ١٣٩ .
[5] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٤ .

وذكرت الآية نفي هذا الباطل "مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ " وأثبتت حقيقة الأمهات وردتهم إليها وذكرتهم بأمهاتهم الحقيقيات " إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ ".

يريد أن الأمهات على الحقيقة إنما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن، فالمرضعات أمهات، لأنهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الأمهات، وكذلك أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، لأن الله حرم نكاحهن على الأمة فدخلن بذلك في حكم الأمهات. وأما الزوجات فأبعد شيء عن الأمومة لأنهن لسن بأمهات على الحقيقة. ولا بداخلات في حكم الأمهات[1]. وكذلك قال أبو قلابة وغيره: كان الظهار في الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة[2]. واستدل به الإمام البقاعي في تفسيره.

"وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا " يقولون أي: أن ذلك مجرد قول لم يتحول إلى حقيقة "ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ " [الأحزاب:٤] بل هو مجرد ادعاء وافتراء افتريتموه وادعاء باطل ذهبتم إليه لم يذهب إليه غيركم من الأمم بل كان خاصا بكم دون سواكم لأنه من صنع أنفسكم.

قولا تنكره العقول وتتجافاه الكرماء[3]. لما به من ظلم للزوجة وافتراء، ونقص من حق الأم العظيم وامتهان لها.

قال في التسهيل: أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور هو الكذب، وإنما جعله كذبا لأن المظاهر يجعل امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا[4] . استدل به الإمام الصابوني في تفسيره للآية أيضا.

---

[1] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٦٥

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٢

[3] محاسن التأويل و مدارك التنزيل للقاسمي ج١٩\صـ٥٢

[4] صفوة التفاسير للصابوني ج٣\صـ١٢٩٤

كما أسلف في قوله تعالى "مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ " ذكر إثبات ذلك بقوله "إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡ ".

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: "وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا ":

والجواب أما الكذب إنما لزم لأن قوله أنت علي كظهر أمي، إما أن يجعله إخبارا أو إنشاء، وعلى التقدير الأول أنه كذبا لأن الزوجة محللة والأم محرمة وتشبيه المحللة والمحرمة في وصف الحل والحرمة كذب، وإن جعلناه إنشاء كان ذلك أيضا كذبا. لأن كونه إنشاء معناه أن يكون كذبا وزورا، وقال بعضهم: إنه تعالى إنما وصفه بكونه "مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا " لأن الأم محرمة تحريما مؤبدا، والزوجة لا تحرم

عليه بهذا القول تحريما مؤبدا، والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤيدا، فلا جرم كان ذلك منكرا من القول وزورا، وهذا الوجه ضعيف لأن تشبيه الشيء بالشيء لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما من كل الوجوه، فلا يعزم من تشبيه الزوجة بالأم في الحرمة تشبيهها بها في كون الحرمة المؤبدة، لأن مسمى الحرمة أعم من الحرمة المؤبدة والمؤقتة [1]. وقد ذكر مثله الإمام النيسابوري[2].

وهو مع كونه لا يوجب تحريم المرأة فهو قول منكر، أي قبيح لما فيه من تعريض حرمة الأم لتخيلات شنيعة تخطر بمخيلة السامع عندما يسمع قول المظاهر. فالأمومة حقيقة ثابتة لا تصنع بالقول، إذ القول لا يبدل حقائق الأشياء.

"وَزُورٗاۚ " أي قولا مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد، لأن الزوجة معدة

[1] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ج١٥\صـ٢٢٢
[2] يرجع إلى غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٦٨-٢٦٩

للاستمتاع الذي هو غاية من الامتهان، والأم في غاية البعد، ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هي أم حقيقة ولا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالأرضاع، وكونها فراشا لعظيم كالنبي أو للأب أو للحرمة كاللعان[1].

يبدو أن الإمام بالغ في تعبيره و خرج به عن الصواب و القول المنطقي المقبول[2].

"وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ"

فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن الذنب، والذنب مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة[3]. إذا جعل الكفارة عليهم مخلصة من هذا القول المنكر[4].

فهو عز وجل مبالغ في العفو والغفران عن الخطايا والآثام يمحو عن عباده الذنوب بل يطهرهم منها.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨١

[2] إن المرأة معدة للاستمتاع الذي هو غاية الامتهان، فكيف يذكر المؤلف أن الاستماع هو غاية الامتهان وهو أمر قدره الله عز وجل وشرعه لعباده بل هو من سنن الفطرة كما أخبر الرسول ﷺ في حديثه مع الذين حرموا أنفسهم الطيبات، وهذا هو الاستمتاع اليس هو الزواج ؟

وهذا الزواج الذي مارسه الأنبياء والصحابة والتابعين، فكيف يعقل أن يكون هو غاية الامتهان فالشارع عز وجل لم يأمر بالامتهان فقد حفظ لكافة النساء والزوجات حقوقهن وكرامتهن ولم يجعلهن أبدا في موضع امتهان وإذلال بل العكس تماما شرفهن وكرمهن وحفظ حقوقهن كاملة ومن ذلك التشريف إنزاله تعالى سورة المجادلة تحكي قصة المرأة الفقيرة التي ظلمها زوجها. وأنصفها مولاها وخلد ذكرها بقرآن يتلى إلى يوم القيامة.

ثانيا: كل زوجة ذكر المؤلف إنها عرضة للامتهان ستكون أما في يوم من الأيام أو هي كذلك. فكيف يمكن أن تكون عرضة للامتهان كما ذكر الإمام البقاعي.

والظاهر أن التعبير قد خان الإمام في تلك الجماعة، إذ لا يستساغ التعبير بها لشدتها وحدتها، ففيها ظلم للزوجة وتقليل من شأنها وهي التي كرمها الله عز وجل وشرع لها حقوقها وحفظها لها، من أول تسميته لذلك العقد الذي يبيح ذلك الاستمتاع بالميثاق الغليظ لآخر أمور الطلاق أو وفاة الزوج وإلى غير ذلك من حقوق ليس المجال هنا لذكرها، إذا أن لكل منهما مكانتها التي تليق بها فالأم في مقام الأمومة الذي وهبها إياه الله عز وجل، والزوجة في مقام الزوجية كذلك الذي وهبها إياه الله عز وجل ولكل منهما مكانتها الرفيعة والخاصة بها. والله تعالى أعلم.

[3] صفوة التفاسير للصابوني ج١٣\صـ١٢٩٤

[4] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٣٧

"وَإِنَّ ٱللَّهَ " أي الملك الأعظم الذي لا أمر لأحد معه فيما شرع ولا غيره.

"لَعَفُو" من صفاته أن يترك عقاب من شاء. "غَفُورٌ" من صفاته أن يمحو عين الذنب وأثره حتى أنه لا يعاقب عليه ولا يعاتب[1].

"وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ" أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الإطلاق أو بالمتاب عنه.

وقد بين الله عز وجل صفحه وعفوه عن المظاهرين، وغفر لهم بإيجاب الكفارة عليهم. وفي هذه الفاصلة القرآنية إشارة إلى أن الله سبحانه وسع بعفوه ومغفرته ما يقع من عباده من منكر وزور، إذا تابوا وأنابوا، وفي تسمية القرآن للظهار بالمنكر والزور ما يدل على تحريمه[2].

وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

ولما استهجن سبحانه الظهار وأثبت تحريمه على أبلغ وجه وآكده وكان ما مضت عليه العوائد لابد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة وما لعله يقع من نظائرها[3].

عطف على جملة "ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ " أعيد المبتدأ فيها للاهتمام بالحكم والتصريح بأصحابه، وكان مقتضى الكلام أن يقال: فإن يعودوا لما قالوا تحرير رقبة، فيكون عطفا على جملة الخبر من قوله "مَّا هُنَّ

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٨٢
[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن لمصطفى مسلم ج١٨صـ٣٦
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧صـ٤٨٢ .

أُمَّهَـٰتِهِمۡۖ". و"ثُم" عاطفة جملة "يَعُودُون" على جملة "يُظَـٰهِرُونَ"، وهي للتراخي الرتبي تعريضا بالتخطئة لهم بأنهم عادوا إلى ما كانوا يفعلونه في الجاهلية بعد أن انقطع ذلك بالإسلام. ولذلك علق بفعل ذكر ابن عاشور: قال المفسرون وأهل اللغة: كان طلاقا في الجاهلية يقتضي تأبيد التحريم. وأحسب أنه كان طلاقا عند أهل يثرب وما حولها لكثرة مخالطتهم لليهود ولا أحسب أنه كان معروفا عند العرب في مكة وتهامة ونجد وغيرها ولم أقف على ذلك في كلامهم وحسبك أن لم يذكر في القرآن إلا في المدني هنا وفي سورة الأحزاب[1].

"يَعُودُون" ما يدل على قولهم لفظ الظهار[2]. فأنزل الله عز وجل توبيخا للعرب وتهجين لعادتهم في الظهار، لأنه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الأمم[3]. فقد ذم الله تعالى الظهار، وبين حكمه، وجزاء فاعله.

وفي حكمه قال ابن الفرس: هو حرام لا يحل إيقاعه. ودل على تحريمه ثلاثة أشياء:

أحدها: تكذيب الله تعالى من فعل ذلك.

الثاني: أنه سماه منكرا، وزورا، والزور الكذب وهو محرم بالإجماع.

الثالث: إخباره تعالى عنه بأنه يعفو عنه ويغفر، ولا يعفى ويغفر إلا عن المذنبين.

وقوله: "وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ" يدل على أن المظاهرة منهي عنها بعد نزول هذه الآية.

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ١٠

[2] يرجع للمصدر السابق صـ١٤

[3] الكشاف للزمخشري ٤ج\صـ٣٦٥

"ثُمَّ يَعُودُونَ " العود الصيرورة ابتداء أو بناء فمن الأول قوله تعالى: "حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ "[يس:٣٩] ومن الثاني: "وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا " [الإسراء:٨] و يعدى بنفسه كقولك عدته إذا أتيته وصرت إليه [١].

وبعد أن ذكر حكم الظهار وتوضيح حقيقته كان لابد من ذكر كفاراته، وما يمحي ذنبه ويكون درسا للتأديب، والنهي عن مثل هذا الفعل، فها هي الكفارة ماحية وزاجرة، ماحية للذنب الذي ارتكب، وزاجرة عن العودة لمثله أخرى. وهي دليل أكيد على شدة تحريم الظهار والنهي عنه.

قال الفقهاء: ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس إلا كفارة الظهار لأن ترك التكفير إضرار بالمرأة وامتناع عن إيفاء حقها [٢].

ولهذا ذكر حكمها وحكم غيرها على وجه العموم [٣]. فكانت رحمة لها وللمؤمنين من بعدها إذ حافظت على بيتها وبيت المسلمات من بعدها.

وفي هذه الآية تأكيد آخر على أن الظهار لا يكون إلا للزوج، أي للرجل الذي تكون في يده العصمة الزوجية، ويكون الظهار على الزوجة، أي المرأة التي تكون في عصمة ذلك الزوج.

واختلف أهل العلم في العود: قالوا: هو إعادة لفظ الظهار، وهو قول أبو العالية، وقال: ثم يعودون لما قالوا. أي إلى ما قالوا أي إعادة مرة أخرى فإن لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه، وذهب قوم إلى أن الكفارة بنفس الظهار والمراد من العود الوطء، وهو قول مالك ، وهو مذهب الشافعي إلى أن العود هو أن يمسكها عقيب الظهار زمانا يمكنه أن يفارقها، فلم يفعل فإن طلقها عقب الظهار في الحال أو مات أحدهما في الوقت فلا كفارة عليه. لأن العود للقول هو المخالفة، وفسر ابن عباس العود

---

[١] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٣\صـ٣٤١

[٢] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٧١

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي صـ٨٤٤

بالندم، فقال يندمون فيرجعون إلى الألفة ومعناه هذا، قال الفراء: يقال عاد فلان لما قال أي فيما قال وفي نقض ما قال يعني رجع عما قال[1].

"لِمَا قَالُواْ" بالفعل أن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول ذلك لها زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله الفرقة به من طلاق أو سراح أو نحوهما فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان هذا القول في ذلك الزمن، وذلك لأن العادة قاضية بأن من قال دخولا ولم يبته وينجزه ويمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى وهلم جرا، أو أن يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بالحنث، فإن طلق في الحال وإلا لزمته الكفارة، وحق العبارة التعبير باللام لدلالتها على الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف "إلى" فأنها تدل على مهلة وتراخ[2].

"فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ " بعد أن بينا معنى العود جاءت كفارة الظهار صريحة واضحة جلية ماحية زاجرة عن ذلك الفعل القبيح.

فالواجب على من فعل هذه الفعلة الشنعاء أن يعتق رقبة ويحررها عبدا كان أو آمة كاملة الرق سليمة من كل عيب. واختلف الفقهاء في إيمان الرقبة فمنهم من ذهب إلى وجوب إيمانها واستند بذلك مثل كفارة القتل، ومنهم لم يشترط لذلك استنادا لظاهر الآية وقد بسطت تلك المسألة في كتب الفقه مما لا يسع المجال لذكرها هنا.

"فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ " مبتدأ آخر مقدر فعليهم تحرير رقبة أو فاعل فعل مقدر فيلزمهم تحرير، أو خبر مبتدأ مقدر، أي فالواجب عليهم "تَحۡرِير" وعلى التقادير الثلاثة الجملة خبر الموصول ودخلته الفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط [3].

---

[1] معالم التنزيل و حقائق التأويل للبغوي ج١٤\صـ٢٧٨

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٣

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٦٩-٢٧٠

وابتدأت الكفارة بالعتق فقد جعل الله العتق في كفارات متنوعة، وسيلة من وسائل التحرير للرقاب التي أوقعها نظام الحروب في الرق إلى أجل ينتهي بوسائل شتى هذه واحدة منها[1].

ولأن المظاهر علق زوجته فلا هي زوجته تحل له، ولا هي زوجة غيره تحل لغيره فكأنه استرقها وامتلكها يفعل بها ما يشاء، لذلك كان العتق أول الكفارات ليكون زاجر له عن فعله ويفهم من خلاله أن زوجته ليست ملكا له يفعل بها ما يشاء فكانت أولى الكفارات مناسبة تماما لفعل الظهار الظالم.

وهذا أمر من الله تعالى لذلك الزوج يحفظ للزوجة حقها ويدفع عنها كل الظلم من زوجها الظالم المتغطرس الذي نسي أن الله علي كبير فوقه. وهذا العتق ارتبط بشرط وهو أن يتم ذلك العتق قبل التماس.

والتماس كناية عن الجماع ودواعيه من تقبيل ولمس عند الجمهور، قال الخازن: المراد من التماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر منها ما لم يكفر[2].

قوله تعالى: "مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا " أي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير. وحكي عن مجاهد: أنه قال إذا وطئ قبل أن يشرع في التكفير لزمته كفارة أخرى. وعن غيره: أن الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء أصلا، لأن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإن أخرها حتى مس فقد فات وقتها. والصحيح ثبوت الكفارة لأنه بوطئه ارتكب إثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة، ويأتي بها قضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها[3] . عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس "أن رجلا ظاهر من امرأته، ثم واقعها قبل أن يكفر فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: ما حملك على ما

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٦
[2] صفوة التفاسير للصابوني ج٣\صـ١٢٩٤
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٤٠

صنعت ؟ قال: رأيت بياض ساقها في القمر. قال: فاعتزلها حتى تكفر عنك" وللترمذي "قال: رأيت خلخالها في القمر. قال: فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله"[1].

لذلك كان على الذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أي يعزمون على وطئها بعد الظهار منها فالواجب عليهم قبل الوطء لها تحرير رقبة ذكرا كانت أو أنثى صغيرة أو كبيرة لكن مؤمنة لا كافرة، فمن لم يجد الرقبة لانعدامها، أو غلاء ثمنها فيجزيه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع لعلة قامت به فالواجب إطعام ستين مسكينا يعطي كل مسكين مدا من بر أو نصف صاع من غير البر، كل ذلك قبل أن يتماسا من باب حمل المطلق على المقيد [2].

"ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ "

"ذَٰلِكُمۡ" إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره "تُوعَظُونَ بِهِۦ"[3].

"ذَٰلِكُمۡ" أي الزجر العظيم جدا الذي هو عام لكم من غير شبهة "تُوعَظُونَ بِهِۦ " أي يكون بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة مثل ذلك فضلا عن مقارفته، لأن من حرم من أجلها الله تحريما متأبدا على زعمه كان كأنه قتلها، ولكون ذلك بلفظ اخترعه وانتهك فيه حرمة أمه كان كأنه قد عصى معصية أوبق نفسه كلها إيباقا أخرجه إلى أن يقتلها عضوا عضوا بإعتاق رقبة من كان قتلها[4].

فهذا الحكم هو عظة وعبرة للعودة لمثل ذلك القول بل ناهيا عنه، وعظيم كعظم اقتراف تلك الخطيئة.

"تُوعَظُونَ بِهِۦ" أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات

---

[1] سنن أبي داود باب الظهار ج٢\صـ٢٦٥ قال الألباني :حسن ،
[2] أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ج٥\صـ ٢٨٤
[3] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٥
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٨٤ .

مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه[1]. قال الإمام النيسابوري: ويحتمل أن يعود إلى التخفيف والتوسيع لتصدقوا بالله ورسوله فإن التخفيف مناسب للتصديق والعمل بالشريعة[2].

"وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ"

"خَبِيرٌ" من صيغ المبالغة فعيل. فهو تعالى عالم بظواهر الأمور وبواطنها من الظهار والتكفير وكافة الأعمال والنوايا محاسب ومجازي عليها فحافظوا على حدود ما شرعه لكم. فهو خبير بحقيقته، وخبير بوقوعه، وخبير بنيتكم فيه. وهذا التعقيب يجيء قبل إتمام الحكم لإيقاظ القلوب، وتربية النفوس ، وتنبيهها إلى قيام الله على الأمر وبخبرته وعلمه بظاهره وخافيه ثم يتابع بيان الحكم فيه "فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا " أي لم تتوافر له، ولم يتمكن من عتق الرقبة لفقر أو حاجة لخدمة أو غير ذلك من الأعذار الشرعية المنصوص عليها فقهيا، فيجب عليه صيام شهرين متتابعين بدون انقطاع – لعذر كمرض أو عيدين أو رمضان أو كبر سن.

فلو انقطع التتابع بشيء ما ولو كان بنسيان النية وجب عليه الاستئناف[3]. من قبل أن يتماسا هو ذاته المسيس الذي ذكر في تحرير الرقبة وعتقها.

قوله: "فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا " يقتضي أن الوطء في ليل صوم الظهار يبطل الكفارة، لأن الله سبحانه شرط في كفارة الظهار فعلها قبل

[1] تفسير ابي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٥
[2] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦\صـ٢٧٢
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٨٤

التماس[1].

"فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ "

قال أصحاب الشافعي: أنه تعالى قال في الرقبة "فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ " وقال في الصوم: " ﷺ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ" فقالوا من ماله غائب لم ينتقل إلى الصوم بسبب عجزه عن الإعتاق في الحال أما من كان مريضا في الحال، ينتقل إلى الإطعام وإن كان مرضه بحيث يرجى زواله، قالوا: والفرق أنه قال في الانتقال إلى الإطعام " ﷺ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ" وهو بسبب المرض الناجز، والعجز العاجل غير مستطيع، وقال في الرقبة "فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ " والمراد فمن لم يجد رقبة أو مالا، ومن ماله غائب لا يسمى فاقدا للمال، وأيضا يمكن أن يقال في الفرق إحضار المال يتعلق باختياره وأما إزالة المرض فليس باختياره[2].

فمن خرج عن قدراته واستحال على استطاعته الصوم لكبر أو مرض أو شبق مفرط فعليه كفارة أخرى وهي إطعام المساكين وهذه الكفارات على الترتيب كما ذكرت في الآية وفي حديث الرسول ﷺ لخولة.

فعليه إطعام ستين مسكينا من مساكين بلده ويجزئ لو أطعمهم كلهم في يوم واحد.

قال الإمام جلال الدين السيوطي: من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد، لكل مسكين مد من غالب قوت بلده [3].

---

[1] احكام القرآن لابن العربي ج٤\صـ١٤٤

[2] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٧

[3] تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي المتوفى سنة (٨٦٤هـ)و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) مؤسسة الريان بيروت- لبنان ،الطبعة الخامسة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ،صـ٥٤٢

لو أطعم مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزي عند الشافعي لظاهر الآية، ولأن إدخال السرور في قلب ستين أجمع وأقرب من رضا الله. وقال أبو حنيفة يجزي[1].

قال الإمام الزمخشري: فإن قلت كم يعطي المسكين في الإطعام ؟ قلت نصف صاعا من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة، وعند الشافعي مدا من طعام البلدة الذي يقتات فيه[2].

و يجب تقديمه على المسيس لكن يستأنف إن مس خلال الإطعام[3].

فإن قلت: ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالإطعام كما ذكر عند الكفارتين؟

قلت: اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة: أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس، وإنما ترك ذكره عند الإطعام دلالة على أنه إذا وجد في خلال الإطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم إذا وقع خلاله. وعند غيره: لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء[4].

روى الإمام أحمد عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيرا، وقد ساء خلقه وضجر. فدخل علي يوما فراجعته بشيء، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي. قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي، فإذا هو يريدني على نفسي. قالت: والذي نفس خويلة بيده. لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكم. قالت: فواثبني، فامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني –قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي، فاستعرت منها ثيابها ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله ﷺ ، فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه، وجعلت أشكو إليه مما ألقى من سوء خلقه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول: "يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه، قالت: فو الله، ما برحت حتى

---

[1] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\٢٧٢

[2] الكشاف للزمخشري ج١٤\صـ٢٢٧

[3] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج١٦\صـ٢١٥ .

[4] الكشاف للزمخشري ج١٤\صـ٣٦٧

نزل في القرآن، فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه، ثم سري عنه، فقال لي: يا خويلة، قد أنزل فيك وفي صاحبك. ثم قرأ علي: "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ. .." إلى قوله تعالى: "وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " قالت: فقال لي رسول الله ﷺ : "مريه فليعتق رقبة. قالت: فقلت: يا رسول الله، ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين. قالت فقلت: والله إنه لشيخ كبير، ما به من صيام. قال: " فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر". قالت: فقلت والله. يا رسول الله ما ذاك عنده. قالت: فقال رسول الله ﷺ : " فإنا سنعينه بفرق من تمر " قالت: فقلت: يا رسول الله، وانأ سأعينه بفرق آخر. قال: "قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا". قالت: فعلت. رواه أبو داود[1].

فالآية بها مخرج مما لحق بالمجادلة من ضرر، بظلم زوجها لها، وكذلك كان الحكم بإبطال ذلك الظهار. وجملة "قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ " يثير تساؤلا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المخرج لها منه لأنه عزوجل هو المدبر أمور عباده وحياتهم، فهو وحده العالم بما يصلح لهم وما فيه خير لهم وما فيه شر لحالهم.
فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر [2].

قال الزجاج: معنى الآية ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به، أي غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار [3].

لأن من قام بهذا الفعل في حال الغضب فهو عائد لرشده نادم على ما بدر منه من هدم لمنزل الزوجية وقطع الأواصر الأسرية فكان، لا بد من زاجر له. ولا أحد أعلم بتلك النفس الغاضبة والنادمة إلا خالقها.

---

[1] أخرجه أبو داود (٢٢١٤) و أحمد (٢٦٧٧٤) ،ابن أبي عاصم في الاتحاد و المثاني.(٣٢٥٨) و ابن سعد في الطبقات (٥٤٧\٣) ،و ابن الجارود في المنتقى (٧٤٦) و ابن ابي حاتم في العلل (١٣٠٨) ،و البزار (١٣٣٤-موارد)،و ابن جرير الطبري (٢٨\١٤) و ابن حبان (٤٢٧٩) و الطبراني في الكبير (٦١٦)و (٦٣٣)،و البهقي (١٥٦٥٣) و(١٥٦٨٦) و المزي في تهذيب الكمال (٣١٣\٢٨) من حديث خولة بنت ثعلبة .
[2] فتح القدير للشوكاني ٦ج\صـ٢٢٧
[3] يرجع للمصدر السابق .

"ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ"

... وهم مؤمنون، ولكن هذا البيان، وهذه الكفارات وما فيها من ربط أحوالهم بأمر الله وقضائه. ذلك مما يحقق الإيمان، ويربط به الحياة، ويجعل له سلطانا بارزا في واقع الحياة[1].

"ذَٰلِك" إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد. قد مر سره مرارا ومحله إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك، "لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ" وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم [2].

أي هذا الذي فرض عليكم من كفارة فهو لتصدقوا بشرع إلاهكم وأن نبيكم مبلغ الوحي من إلهكم فتلتزموا وتطبقوا هذا الشرع وتتركوا ما كنتم عليه من جاهليتكم الحمقاء الظالمة. يقول جل ثناؤه "لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ".

أي الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من أمر الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان "لِتُؤۡمِنُواْ " أي هذا الفعل العظيم الشاق لتجدد إيمانكم ويتحقق وجوده "بِٱلله" أي الملك الذي لا أمر لأحد معه فتطيعوه بالانسلاخ من فعل الجاهلية، "وَرَسُولِهِۦ " الذي تعظيمه من تعظيمه وقد بعث بملة إبراهيم عليهما السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة[3].

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٧

[2] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٥ .

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٨٥

و قوله: "ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ " إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام، ثم شدد سبحانه بقوله: "وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ" أي فالتزموها[1].

"وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ " أي هي الفواصل بين الحنيفية السمحاء العادلة والجاهلية الجائرة، الفاصلة بين المسلمين والكافرين فهي الفرائض لله عز وجل.

ولإرساء العدل الاجتماعي وفرض العدالة، والحقوق والواجبات لكل فرد.

"وَتِلۡكَ" قال أبو السعود: إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمهما كما مر غير مرة، لا يجوز تعديها[2].

"وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ". ..أقامها ليقف الناس عندها لا يستعدونها. وهو يغضب على من لا يرعاها ولا يتحرج دونها. " وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ " بتعديهم وتحديهم وعدم إيمانهم وعدم وقوفهم عند حدود الله كالمؤمنين[3].

أي المكذبين والمعارضين المعاندين لأحكام الله فهم في حدود المؤمنين الطائعين في حد الله عز وجل.

أولئك الكفرة العصاة لهم عذاب مغلظ يليق بهم بما ألحقوا الأذى بالمؤمنين عذابهم مغلظ شديد الألم لهم.

"وَلِلۡكَٰفِرِينَ" بها هم جاحدوا هذه الحدود وغيرها من فرائض الله أن تكون من عند الله يقول عذاب مؤلم، قاله الطبري [4].

ويختم القرآن بفاصلة الآية "وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" مبينا علة بيان الأحكام بأنها لأجل أن يزداد المؤمن إيمانا بعظمة التشريع فلا يلتفت إلى

---

[1] الجواهر الحسان للثعالبي ج٥\صـ٣٩٩

[2] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٥

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٧

[4] تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢\صـ١٢

أحكام الجاهلية ويحذر من الاستخفاف بحدود الله[1].

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝".

لما ذكر حدوده، لوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرح بتهديد متجاوزيها أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم[2].

وتلك العبارة الأخيرة: "وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ "... تناسب ختام الآية السابقة، وهي في الوقت ذاته قنطرة تربط بينها وبين الآية اللاحقة التي تتحدث عمن يحادون الله ورسوله. على طريقة القرآن في الانتقال من حديث لحديث في تسلسل عجيب[3].

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ " في المحادة قولان: قال المبرد: أصل المحادة الممانعة، ومنه يقال للبواب حداد، وللمنوع الرزق محدود، قال أبو مسلم الأصفهاني: المحادة مفاعلة من لفظ الحديد، والمراد المقابلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة، أو كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد، أما المفسرون فقالوا: يحادون، أي يعادون ويشاقون، وذلك تارة بالمحاربة مع أولياء الله وتارة بالتكذيب والصد عن دين الله[4].

يحادون الله ورسوله أي يعادونهما ويشاقونهما، فإن كلا من المتعادين كما أنه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٣٧

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٦ .

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٧

[4] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٨

أن ورود المحادة في أثناء ذكر حدود الله دون المعادة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه[1].

يقول تعالى ذكره: إن الذين يخالفون الله في حدوده وفرائضه، فيجعلون حدودا غير حدوده ، وذلك هو المحادة لله ورسوله.

وأما قتادة فإنه كان يقول في معنى ذلك: حدثنا بشر: قال ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، قال: عن قتادة قوله "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ " يقول يعادون الله ورسوله. وسمي العداء محادة لأن كل من المتعادين في حد وجهة، غير حد الآخر وجهته، وإنما ذكرت المحادة هنا دون المعادة والمشاقة لمناسبة ذكر حدود الله فكان بينهما من حسن الموقع مالا غاية ورائه [2].

فكل من خالف شرع الله الذي فرضه وانزله على لسان نبيه فهو محايد ومعاد لله ورسوله لأنه اتخذ شرعا غير شرع الله "أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً "[الفرقان:٤٣] . فمن كان في حد مع ذاته أو مع شرع آخر فهو ممن يدخل في هذا الحكم.

وربما الخطاب عام لكل من خالف شرع الله وعارضه واستبدله بشرع آخر. ولما ذكر حدوده، ولوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى بشارة حافظها، وصرح بتهديد متجاوزيها أتبع ذلك تفضيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن يغلبوا على كثرتهم وقوتهم وضعف حزبه وقلتم "إن ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ" أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها، وذلك صورته صورة العداوة، مجددين ذلك مستمرين عليه بأي محادة كانت ولو كانت خفية – بما أشار إليه الإدغام كمحادة أهل الاتحاد الذين يتبعون المتشابه

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٦
[2] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ، ج٥\صـ١٤٤

فيجرونه على ظاهره فيخلون به المحكم لتخل الشريعة بأسرها، فإن كثيرا من السورة نزل في المنافقين واليهود والمهادنين "وَرَسُولَهُۥ" الذي عنه من عنه[1].

وضعوا أمورا خلاف ما حده الشرع وسموها إليسا[2] وقانونا[3].

"كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ"

"كُبِتُوا" عبر بالماضي في إشارة إلى تحقيق وقوعه والفراغ من قضائه كما فرغ من ما مضى[4]. وهو على طريقة "أتى أمر الله" وهو بشارة للمؤمنين بالنصر على الكفار وتحقيق كبتهم[5].

أي معناه أذلوا واخزوا ولعنوا، وذهب بعزهم وكبرهم كما حصل للأمم الماضية من خزي وذل وهوان وخسران في الدنيا والآخرة فهم المحادين لله والمعارضين لشرعه فذلك جزاء لكل معاند لشرع الله.

قال المبرد: يقال كبت الله فلانا إذا أذله، المردود بالذل يقال له مكبوت[6].

هؤلاء المحادون المشاقون المتبجحون: "كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ".

والأرجح أن هذا دعاء عليهم. والدعاء من الله -سبحانه- حكم. فهو المريد. والكبت القهر والذل. والذين من قبلهم إما أن يكونوا هم الغابرين من الأقوام الذين أخذهم الله بنكاله وإما أن يكونوا الذين قهرهم المسلمون في بعض المواقع التي تقدمت نزول هذه الآية كما، حدث في غزوة بدر مثلا.

---

[1] نظم الدرر لتناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٦

[2] إليسا هو بياء مثناه تحتية و سين مهملة ،وضع قانون للمعاملة ، و يقال :يسقط لفظ غير عربي ، كذا قاله الشهاب و رأيت في بعض كتب اللغة التركية أن يصاغ بفتح الياء و الصاد المهملة بعدها ألف قاف معناه المنع .اه .منه .

[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٨٨

[4] نظم الدرر لتنايب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٦

[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩١

[6] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٩

فعلى قدر رفعة وعلو الطرف المجانب يكون ذل وهوان الطرف المجانب له، فما بالك إذا كانت المجانبة لله رب السموات والأرض، فأي عز يكون في جانبه، وأي خزي وذل وهوان لمن يجانبه تعالى.

"وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ"

تفصل هذه العبارة بين مصير الذين يحادون الله ورسوله في الدنيا ومصيرهم في الآخرة. .لتقرير أن هذا المصير وذاك تكلفت ببيانه هذه الآيات وكذلك لتقرير أنهم يلاقون هذه المصائر عن جهل لا عن غموض في الحقيقة، فقد وضحت لهم وعلموها بهذه الآيات البينات[1].

"ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ " واضحات لا لبس فيها ولا غموض يفطن إليها كل عاقل مبينة للحرام والحلال وموجبة لحدود الله وفرائضه. "وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ " بلطف الله على عباده ورحمته بهم أنه تعالى جل وعلا هو الذي أنزل وفرض وشرع، لم يجعل ذلك بيد أحد غيره تعالى.

أي الذين حادوا الله كما ذكروا في الآية السابقة وعاندوه وباعدوا بينهم وبين شرعه وكان ذلك بمحض إرادتهم وكمال اختيارهم، لذلك استحقوا، لذلك عليه العذاب المهين، لأن حدود الله عز وجل وفرائضه واضحة ظاهرة جلية لا لبس فيها، دالة على صدق نبيه ﷺ الذي جاء بالرسالة وبلغ شرع ربه.

أي للكافرين بكل ما يجب الإيمان به، فتدخل الآيات المذكورة دخولا أوليا، والعذاب المهين: الذي يهين صاحبه ويذله ويذهب بعزه [2]. قاله الإمام الشوكاني. وبمثله قال الزمخشري والنسفي.

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ ٣٥٠٧

[2] فتح القدير للشوكاني ج٦ \صـ٢٣١ .

قال الإمام الطبري: وقوله: "وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ " يقول: وقد أنزلنا دلالات مفصلات، وعلامات محكمات تدل على حقائق حدود الله[1]. قال السيوطي: دالة على صدق الرسول[2].

"وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ"

منكرين حدوده وفرائضه والطاغين على شرعه والمغيرين له، حسابهم في الآخرة وهو العذاب الشديد المذل المهين لهم وهو ذلهم في الدنيا بكفرهم وفي الآخرة أيضا بذلهم وهوانهم، فهو عرض لمصيرهم في الآخرة من علام الغيوب ومدبر الأمور.

"وَلِلۡكَٰفِرِينَ " أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل في تلك الآيات دخولا أوليا[3]. "عَذَابٞ مُّهِينٞ" قال الزمخشري : يذهب بعزهم وكبرهم[4].

يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦

فلما ذكر عذابهم ذكر وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه وكمال قدرته فقال: "يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ" أي يكون ذلك في وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم والمؤمنين المشار إليهم أحياء كما كانوا[5]. وأكد أنه لا يترك أحدا من خلقه غير مبعوث أكده بقوله: "جَمِيعٗا ".

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٢\صـ١٣
[2] تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي صـ٥٤٢
[3] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٦
[4] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٦٨
[5] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٨٧

"يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ" قال الألوسي: منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار، أو "بمهيمن " أو بإضمار اذكر أي اذكر ذلك اليوم تعظيما له، وتهويلا، وقيل منصوب بيكون مضمرا على أنه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء ؟ فقيل له: "يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ " أي يكون اليوم الآخر، وقيل بالكافرين وليس بشيء، وقوله تعالى "جَمِيعًا" حال جيء به للتأكيد، والمعنى: يبعثهم الله تعالى كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث، ويجوز أن يكون حالا غير مؤكدة أي يبعثهم مجتمعين في صعيد واحد[1].

إشارة إلى ما ذكر في أول السورة وفحواها من أن الله تعالى مطلع على كل شيء عالم به، وهذا الإطلاع ليس من فراغ أو هباء، وإنما هو إحصاء دقيق لا تفريط فيه وهو للحساب والجزاء فليس عبثا.

"فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ " تأكيد آخر بعلمه الواسع الذي شمل كل شيء فلا يخفى عليه عمل كائن من كان وفي أي زمان فهو المحيط العالم بخلقه.

والمهانة جزاء التبجح وهي مهانة يوم يبعثهم الله جميعا. مهانة على رؤوس الجموع. وهو عذاب يقوم على حق وبيان لما عملوا[2]. وأكد الرازي بقوله: تخجيلا وتشهيرا لحالهم، الذي يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد[3]. وهذا نوع من عذابهم وزيادة لهم في التنكيل.

"فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ " من القبائح لا يبقى منهم أحد ببيان صدورها عنهم أو

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤ \صـ٢٩١
[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٨
[3] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٩

بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم[1].

منصوب بمهيمن، أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم "ٱللَّهُ جَمِيعًا " كلهم لا يترك منهم أحدا غير مبعوث، أو مجتمعين في حال واحدة "فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ" تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد[2].

"أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ "

حفظه عليهم عز وجل في صحائفهم ليكون إثباتا عليهم لا ينكرونه، ولا حجة لهم بعد ذلك بالجحود. فلم يفته منه شيئا البتة لكل عبد عمله، وهم قد نسوه ولم يذكروه لكثرة ما عملوا، لكن الله ربهم أعلم بهم من أنفسهم فهو المحصي المبدئ المعيد وهو بكل شيء عليم.

وهم نسوه، وذلك تسجيل عليهم بأنهم متهاونون بعظيم الأمر وذلك من الغرور، أي نسوه في الدنيا بله الآخرة فإذا أنبئوا به عجبوا قال تعالى: "وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ" [الكهف:٤٩][3].

"وَنَسُوه" لأنهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي، وإنما تحفظ معظمات الأمور[4]. ويمكن القول لكثرته أو لقلة اكتراثهم بالمعاصي وإنما يحفظ معظمات الأمور[1].

---

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٦

[2] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٣٤٣ .

[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٣

[4] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٦٨

ولما كان ضبط ذلك أمرا عظيما، استئناف قوله بيانا لهوانه عليه "أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ"

أي أحاط به عددا وكما وكيفا وزمانا ومكانا بماله من صفات الجلال والكمال ولما ذكر إحصاءه له، فكان ربما ظن أنه مما يمكن في العادة إحصاؤه نفى ذلك بقوله: "وَنَسُوه "[٢].

والضمير في أحصاه، يعود إلى العمل المفهوم من قوله تعالى: «بما عملوا» أي ينبئهم الله بعملهم الذي أحصاه سبحانه وجمع ما تفرق منه، على حين أنهم نسوا كثيرا مما عملوا، ولم يعودوا يذكرونه «والله على كل شيء شهيد» أي والله عالم كل شيء عملوه علم شهادة وحضور..

لا تخفى على الله خافية في الأرض ولا في السماء..[٣]

"وَنَسُوه" حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على خلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل "أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ " فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله فيه مزيد توبيخ وتنديد لهم غير التخجيل والتشهير[٤].

"وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ" الجملة اعتراض تذيلي، ختمت الآية بشهيد

مناسبة لخاتمة الآية التي كانت عن العلم والإحاطة والشهادة على أعمال العباد وحفظها، فالشهيد هو الشاهد والعالم المحيط بعباده وبما يعملون لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

فإن الله أحصاه بعلمه الذي لا يند عنه شيء ولا يغيب عنه خاف:

---

[١] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦\صـ٢٧٢

[٢] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٤٨٧

[٣] التفسير القرآني للقرآن ،المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى بعد (١٣٩٠هـ) ،الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة ج١٤\صـ٨٢٢

[٤] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٦

"وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ".

وتلتقي صورة الرعاية والعناية بصورة الحرب والكناية، في علم الله وإطلاعه، وشهوده وحضوره فهو شاهد حاضر للعون والرعاية، وهو شاهد حاضر للحرب والكناية فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون وليحذر حضوره وشهوده الكافرون[1].

"أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ "

لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه وشمول قدرته مع أنه بديهي التصور – يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضي للنقص إلى دليل معه فقد كان العرب ينكرون أن يسمع الناس كلهم إله واحد، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهودي ليفيد الإنسان بما يراه من المحسوسات، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره[2].

هو تعالى العالم بما يتناجون به، ولا يخفى عليه ما هم فيه، وتخصيص الثلاثة والخمسة، لأنها نزلت في المنافقين، وكانوا يتحلقون للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين [3].

ذكر الشعراوي: ألم تر: أي أن الذي أخبرك به الله تعالى فصدقه كما تصدق ما رأيته بعينيك لأنه الحق وهو من الحق[4].

تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السموات وما في الأرض على إطلاقه، فتدع القلب يرود آفاق السماوات وأرجاء الأرض مع علم الله المحيط بكل شيء في

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٨

[2] نفس المصدر السابق .

[3] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٤\صـ٣٤٣

[4] يرجع إلى تفسير الشعراوي نقل بتصرف.

هذا المدى الوسيع المتطاول من صغير وكبير، وخاف وظاهر، ومعلوم ومجهول[1]. ومن معيته تعالى بخلقه علمه الكامل بهم وإطلاعه على أحوالهم فهذه الآية أيضا تدور حول علم الله المطلق بخلقه وإطلاعه.

استئناف ابتدائي هو تخلص من قوله تعالى: "أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ " فهذه الآية جميعها تمهيد لقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ"

"أَلَمْ تَرَ " من الرؤية العلمية لأن علم الله لا يرى وسد المصدر مسد المفعول والتقدير: ألم ترى الله عالما[2].

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ" استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ " [البقرة:٢٥٨] وفي قوله تعالى: "يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى" [طه:٧] لا تخفى عليه، فذلك يعلمه كل مؤمن موقنا ومصدقا بكل ما تراه عينه، وكذلك تصديقه بعلم الله كتصديقه لعينه ورؤيتها.

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ" وذلك من علمه الشامل المحيط بكل شيء في السموات السبع العظيمة وكذلك الأرضين السبع وما فيهن.

بأنه تعالى يعلم ما فيها من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما [3].

فإفراده ﷺ بالخطاب بعد أن كان مع المظاهرين ثم المحادين إشارة إلى التعظيم وتأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق الرعي توفية بحق التعليم كما رعته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها (سبحان من وسع سمعه الأصوات)

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٨
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٣
[3] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٦

يعني سماعه مجادلة المرأة وهو في غاية الخفاء أي كليات ذلك وجزئياته، لا يغيب عنه شيء منه، بدليل أن تدبيره محيط بذلك على أتم ما يكون، وهو يخبر من يشاء من أنبيائه وأصفيائه بما يشاء من أخبار ذلك، القاصية والدانية، الحاضرة والغائبة، الماضية والآتية، فيكون كما أخبر [1].

قال ابن عباس ﷺ "أَلَم تَرَ" أي أطلق لفظ الرؤية على هذا العلم، لأن الدليل على كونه عالما هو أن أفعاله محكمة متقنة منتسقة منتظمة، وكل من كانت أفعاله كذلك فهو عالم[2].

ويعم المبصرات والمسموعات فهو أعم من قوله: "وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ" لاختصاصه بعلم المشاهدات[3]. فهذه الآية لا تخلو من أي استثناء فهو يعم كل مسموع ومرئي وغير ذلك لا استثناء البتة.

و اعلم أنه سبحانه قال: "يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ " ولم يقل: يعلم ما في الأرض وما في السموات وفي رعاية هذا الترتيب سر عجيب[4].

افتتحت هذه الآية بالعلم واختتمت بالعلم لإثباته المطلق له عز وجل وتأكيد على علمه المحيط بكل شيء.

"مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ"

واختلفوا في و"لا أكثر" فقرأ يعقوب أكثر بالرفع وقرأ بالنصب [5].

وقرأ الجمهور "وَلَآ أَكۡثَرَ" بنصب "وَلَآ أَكۡثَرَ" عطفا على لفظ "نَّجۡوَىٰ "[1].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٩
[2] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٩
[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٣
[4] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٢٩
[5] النشر في القراءات العشر لابن الجزري صـ٦٤١

فقد بدأ عز وجل السورة بقوله "وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ " أي أنه كان ثالثكما وأنتما تتناجيان. ثم عقب وفصل ذلك في قوله "مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ".

وما زالت الآيات تتحدث عن معية الله تعالى لعباده وخلقه فذكره عاما فيما سبق وذكره خاصا للمرة الثانية في هذه الآية، فكانت المعية الأولى والخاصة في السورة هي معيته تعالى للمجادلة التي جاءت تشكو رسول الله ﷺ ولم تسمعها السيدة عائشة كما ورد في الحديث "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات كلها وأنا في جانب البيت لا أسمع مما تقول "، وها هي ثانية يأتي بذكرها أخرى في التناجي بين المتناجين أيا كان عددهم فهو عليم أين كانت ومتى كانت.

وروى الإمام الطبري: حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثني نصر بن ميمون المضروب، قال: ثنا بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن الضحاك في قوله: "مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ "...إلى قوله "هُوَ مَعَهُمۡ " قال: هو فوق العرش وعلمه معهم "أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ "[٢].

النجوى أو التناجي أصله كما ذكره العلامة الراغب الأصفهاني: نجو: أصل النجاء الانفصال من الشيء ومنه نجا فلان من فلان، وأنجيته ونجيته، قال: "وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ "[النمل:٥٣]، وذكر في مواضع عدة من القرآن، والنجوة والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وقيل: سمي لكونه ناجيا من السيل، ونجيته تركته بنجوة وعلى هذا: "فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ " [النمل:٩٣]، ونجوت قشرة الشجرة وجلد الشاة، واشتراكها في ذلك قال الشاعر:

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنه

---

[١] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٣

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٢\صـ١٣

سيرضيكما منها سنام وغاربه [1].

و ناجيته، أي سارررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض وقيل: أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك، وتناجى القوم، قال: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ "، وقوله: "إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ "، والنجوى أصله المصدر، قال: "إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ".

وقوله: "وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ " [الأنبياء:٣] تنبيها أنهم لم يظهروا بوجه لأن النجوى ربما تظهر بعد، وقال: "يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ"، وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى وهم نجوى، قال: "وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ " [الإسراء:٤٧] والنجي والمناجي ويقال للواحد والجمع، قال: "وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا " [مريم:٥٢] وقال: "فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا" [يوسف:٨٠] وانتجيت فلانا استخلصته لسري، وأنجى فلان أتى نجوة [2].

وفسرها الإمام السعدي في سورة المجادلة: النجوى هي التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون في الخير، وتكون في الشر [3].

والمعنى أن سمع الله محيط بكل الكلام، وقد سمع الله مجادلة المرأة التي ظاهر منها زوجها[1]. أي أن الله تعالى يكون مع المتسارين، إذا كانا اثنين فهو ثالثهما ومعهما في سرهما فهو معهما في التناجي.

---

[1] البيت لأبي العمر الكلابي ،و هو في المجمل :ج١٣ص٨٥٧ و البيت في اللسان بلا عزو .
[2] مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني صـ٥٠٣-٥٠٤ كتاب النون .
[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٤٥

و أوضح الإمام الرازي بتفصيل أكثر في مسألة العدد والحكمة من ذكر تلك الأعداد قائلا: أنه تعالى ذكر الثلاثة والخمسة، وأهمل أمر الأربعة في البين، وذكروا فيه وجوها:

أحدها: أن هذا إشارة إلى كمال الرحمة، وذلك لأن الثلاثة إذا اجتمعوا، وأخذ اثنان في التناجي والمشاورة، بقي الثالث وحيدا فريدا، فيضيق قبله ، وكذا الخمسة إذا اجتمعوا بقي وحيدا فريدا، فهذا إشارة إلى أن كل من انقطع عن الخلق ما يتركه الله ضائعا.

وثانيها: أن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن الله وتر يحب الوتر فخص العدد الفردي بالذكر تنبيها على أنه من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور.

وثالثها: أن أقل ما لا بد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تمهيد مصلحة ثلاثة، حتى يكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث كما المتوسط الحاكم بينهما، فحينئذ تكمل تلك المشورة ويتم ذلك الغرض، وهكذا في كل جمع واجتمعوا للمشاورة، فلا بد فيهم من واحد يكون حكما مقبول القول، فلهذا السبب لا بد وأن تكون أرباب المشاورة عددهم فردا، فذكر سبحانه الفردين الأولين واكتفى بذكرهما تنبيها على الباقي.

ورابعها: أن الآية نزلت في قوم من المنافقين، اجتمعوا على التناجي مغايظة للمؤمنين، وكانوا على هذين العددين، قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمرو، وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم: هل يعلم الله ما تقول ؟ وقال الثاني: يعلم البعض دون البعض، وقال الثالث: إن كان يعلم البعض فيعلم الكل.

---

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٤٥

وخامسها: أن في مصحف عبد الله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا الله رابعهم، ولا أربعة إلا الله خامسهم، ولا خمسة إلا الله سادسهم، ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا أخذوا في التناجي. وقد ذكر مثله الإمام النيسابوري في تفسيره [1].

و هذا رد فيه من البيان الكامل للرد على قول الفراء الذي قال: أن المعنى غير مقصود والعدد غير مقصود لأنه تعالى إنما قصد وهو أنه مع كل عدد قل أو كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا تخفى عليه خافية، فمن أجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض، إذ لا يوجد شيء في القرآن غير مقصود بل كله لحكمة فهو من لدن حكيم خبير.

وإذا كان أكثر وأشمل من ذلك العدد أو أقل منه أو أنقص فإن ذلك لا يغير شيء من علمه التام بخلقه وإحاطته لهم وتفرده بكل أحد في أي زمان ومكان كانوا على أي حال، فلا يثقله خلق عن خلق ولا حال عن حال ولا زمان عن زمان ولا مكان عن مكان فهو صاحب العلم المطلق التام الذي وسع كل شيء برحمته علما.

أي يعلم ما يكون بينهم في أي مكان حلوا، لأن علمه بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة، روى ابن جرير عن الضحاك في الآية قال: هو فوق العرش، علمه معهم أينما كانوا[2].

وأيضا فإن قولهم: في كل مكان خطأ، لأنه لا يلزم بموجب هذا القول، أنه لا يملأ الأماكن كلها، وأن يكون في الأماكن فيه، تعالى عن ذلك، وهذا محال فإن قالوا: هو فيها، بخلاف كون المتمكن في المكان. قيل لهم: هذا لا يعقل، ولا يقوم عليه دليل. انتهى[3].

---

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٠-٢٣١ ،و ينظر إيضا لغرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦\صـ٢٧٢-٢٧٣

[2] محاسن التأويل للقاسمي ج٩\صـ٥٨

[3] محاسن التأويل للقاسمي ج٩\صـ٥٨-٥٩

"مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ "

وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير. صورة تترك القلوب وجلة ترتعش مرة، وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله . وحيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك. وحيثما كانوا أكثر الله هناك. إنما لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز وهو محضر مأنوس. نعم ولكنه كذلك جليل رهيب محضر الله: "هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ "[1].

ولما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث يحفظ الأنس بإدامة الاجتماع لأن الاثنين لا ينفردان عند عرض حاجة لأحدهما ويكونان في التناجي والتشاور كالمتنازعين، والثالث وسط بينهما مع أنه سبحانه وتر يحب الوتر، والثلاثة أول أوتار العدد، كما كان حافظا لها في أزل الأزل قال "ثَلَٰثَةٍ" أي في حال من الأحوال "إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ " أي مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل والمعنى بعلمه وقدرته كما يكون كل من المتناجين عالما بنجوى البعض، فروح النجوى العلم بالسر. ولما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمعنى يخصه من جهة العلم عم بقوله "وَلَآ أَدۡنَىٰ " فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير وهو أخفى منه "مِن ذَٰلِكَ " أي الذي ذكر هو الواحد والاثنان والأربعة الذي هو بعيد عن رتبته وإن كان قد شرفه سبحانه بإطلاق معيته بعد أن لا نسبة له منها. ولما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره، قال:

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٠٥٨

"وَلا " أي يكون من نجوى "أَكۡثَرَ" أي من ذلك كالستة فما فوقها لا إلى نهاية "إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ " أي يعلم ما يجري منهم وبينهم، ويلزم من إحاطة علمه إحاطة قدرته لتكمل شهادته[1]. فعلمه بالعوالم لا يستلزم قربه منها أو بعده عنها.

وهذا إخبار صادق من الله عز وجل وذكر الإمام أبو بكر الجزائري: "مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ " أي من ذوي نجوى أو من متناجين ثلاثة إلا هو رابعهم، أي والله تعالى رابعهم بعلمه بهم وقدرته عليهم وهذه فائدة المعية العلم والقدرة على الأخذ والعطاء، ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك كالاثنين، ولا أكثر إلا هو معهم بعلمه وقدرته وإحاطته أينما كانوا تحت الأرض أو فوقها في السماء أو دونهما، ثم ينبئهم أي يخبرهم ويعلمهم بما عملوا يوم القيامة ليجزيهم به، وقرر لما سبق من علمه بالمحادين له وبالمنافقين المناؤين للمؤمنين وسيجزي الكل بعدله وهو العزيز الحكيم [2].

ومن رغائب الفرقان العظيم للإمام النيسابوري: "أن العدد الفرد أشرف من العدد الزوج لأن الله تعالى وتر ولأن الزوج يحتاج إلى الوتر دون العكس . وأن المتشاورين الاثنين كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث كالمتوسط الحكم وهكذا في كل زوج اجتمعوا للمشاورة فلا بد فيهم من واحد يكون حكما فذكر سبحانه الفردين الأ ولين تنبيها على الأفراد البقية. وأن هذا إشارة إلى كمال المرحمة، وذلك أن الثلاثة إذا أخذ اثنان منهم في التناجي والمسارة بقي الواحد ضائعا وحيدا فيضيق قلبه فيقول الله تعالى: أنا جليسك وأنيسك. وكذا الخمسة إذا اجتمع اثنان منهم بقي الخامس فريدا فنفس الله تعالى عنه ببشارة المعية. وهذا التأويل لا يتأتى في الاثنين والأربعة فأهمل ذكرهما . وفيه أن من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضائعا "[3].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الايات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٨٩-٤٩٠

[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ٥ج\صـ٢٨٧

[3] غرائب القرآن و رغائب الفرقان االنيسابوري ج١٦\صـ٢٧٣

"أَيْنَ مَا" (مركب من أين التي هي ظرف مكان و(ما) الزائدة وأضيف (أين) إلى جملة "كَانُوا"، أي في أي مكان كانوا فيه. و"ثُمَّ " للتراخي الرتبي لأن إنباءهم بما تكلموا وما عملوه في الدنيا في يوم القيامة أدل على سعة علم الله من علمه بحديثهم في الدنيا لأن معظم علم العلمين يعتريه النسيان في مثل ذلك الزمان من الطول وكثرة تدبير الأمور في الدنيا والآخرة. وفي وعيد لهم بأن نجواهم إثم عظيم فنهي عنه ويشمل هذا تحذير من يشاركهم)[1].

ويخبرهم بعملهم وبنجواهم التي كانت سرا عن العباد فهي معلومة من لدن الله، وذلك لحسابهم، وربما لفضحهم وتوبيخهم على معاصيهم وتهديدهم، في يوم الحساب أي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق[2].

وقرئ "يُنَبِّئُهُم" بالتخفيف والهمز[3].

وهذا التعريض بالوعيد على أن النهي عن التناجي كان سابقا على نزول هذه الآية والتي بعدها[4].

" ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ " (تخجيلا وتوبيخا وتشهيرا بحالهم، يتمنون عنده المسارعة بهم إلى النار، لما يلحقهم بهم من الخزي على رؤوس الأشهاد) [5].

"إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"

تفسير لعلمه المطلق بقوله "بِكُلِّ شَيْءٍ " أي لا تخف عليه خافية فهو محيط بعلمه لكل شيء عليم، عظيما كان أو دون ذلك قل أو كثر. لأن نسبة المقتضية للعلم إلى الكل سواء[1]. وهكذا تستقر حقيقة العلم الإلهي في القلوب، بهذه الأساليب التي

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٥
[2] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣١
[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٤
[4] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٥
[5] الكشاف للزمخشري ٤ج\صـ٣٦٨

تعمق هذه الحقيقة في القلب البشري، وهي تدخل بها عليه من شتى المسالك والدروب[٢].

" أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٨"

ولما كان هذا الدليل أيضا تتعذر الإحاطة به قال دالا عليه بأمر جزئي واقع بعلم المحدث عنه حقيقة، فإن عاند بعده سقط عنه الكلام إلا بحد الحسام[٣].

واختلفوا في "يَتَنَٰجَوۡنَ" فقرأ حمزة ورويس بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم من غير ألف على يفتعلون[٤].

ذلك التقرير العميق لحقيقة حضور الله وشهوده في تلك الصورة المؤثرة المرهوبة تمهد لتهديد المنافقين، الذين كانوا يتناجون فيما بينهم بالمؤمرات ضد الرسول ﷺ وضد الجماعة المسلمة بالمدينة مع التعجيب من موقفهم المريب[٥].

(ولما كانت المحادة لله ورسوله ﷺ ، بدايتها التناجي بالإثم، فإن الآية التالية تعالج هذا الموضوع، وتدل المسلم على آداب التناجي الحق، وآداب المجالس، وأدب مناجاة رسول الله ﷺ ، مما يشير إلى أن الله عز وجل إذ يطهر المسلم من أخلاق

---

[١] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٧
[٢] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٨
[٣] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٢ .
[٤] النشر في القراءات العشر لابن الجزري صـ٦٤٢
[٥] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٩

الفاسقين، فإنه يحققه في الوقت نفسه بأخلاق المؤمنين، فالهدم والبناء والتخلية والتحلية كلها تمشي مع بعضها)[1].

(والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة)[2].

وذكر ابن عاشور: (ظاهر قول مجاهد وقتادة: نزلت في قوم من اليهود والمنافقين نهاهم رسول الله ﷺ عن التناجي بحضرة المؤمنين فلم ينتهوا، وفي قوله "نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ " وقوله "وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ " دلالة على أنهم منافقون لا يهود لأن النبي ﷺ ما كان ينهى اليهود عن أحوالهم. وهذا يرد قول من تأول الآية على اليهود وهو قول مجاهد وقتادة، بل الحق ما في ابن عطية عن ابن عباس أنها نزلت في المنافقين)[3].

(وكانت اليهود والمنافقين يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم ويوهموهم في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فنهاهم الرسول ﷺ ، فعادوا لمثل فعلهم، وكان تناجيهم بما هو إثم وتواص بعصية الرسول ومخالفته)[4]. وكان هذا دأب المنافقين وعادتهم في أذية المؤمنين والمكر بهم.

"ثُمَّ " في قوله "ثُمَّ يَعُودُونَ " للتراخي الرتبي لأن عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها أعظم من ابتداء النجوى.

لأن ابتداءها كان آثما لما اشتملت عليه نجواهم من نوايا سيئة نحو النبي ﷺ والمسلمين، فاما عودتهم إلى النجوى بعد أن نهوا عنها فقد أرادوا بها تمردا على النبي

---

[1] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٨٩

[2] تفسير أبي السعود للقاضي أبي السعود ج٦\صـ٢١٧

[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٦-٢٨

[4] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ ٣٤٣-٣٤٤

ﷺ ومشاقة للمسلمين. والاستفهام في قوله "أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ" تعجبي مراد به توبيخهم حين يسمعونه[1].

تدل الآية على أنه تم نزول حكم النجوى وكان النهي عنها وتحريمها، ويدل على ذلك قوله تعالى "نُهُوا" فورود الفعل بصيغة الماضي يدل على أنه قد حدث من قبل فهو تعجب من حال هؤلاء المنافقين الذين يكرهون الإسلام فقد تم نهيهم عن ذلك الحكم وذلك لصدوره منهم، وقيامهم به مرارا وتكرارا لذلك كانت هذه الآية توبيخا لهم على عنادهم وإصرارهم على الذنب.

قال ابن عباس ﷺ : " نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم يوهمونهم عن أقاربهم أنهم أصابهم شر فلا يزالون كذلك حتى تقدم أقاربهم فلما كثر ذلك منهم شكا المؤمنون إلى الرسول ﷺ فنهاهم أن يتناجوا دون المؤمنين فعادوا لمثل فعلهم، وقال مجاهد: نزلت في اليهود.

"ثُمَّ يَعُودُونَ " صيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة "[2].

"وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ "

وما نهوا عنه تم تفصيله في هذه الآية وهي الأمور المنهي عنها في النجوى وهي: قال ابن عاشور: "بِٱلۡإِثۡمِ": المعصية وهو ما يشتمل عليه تناجيهم من كلام الكفر وذم المسلمين.

و "ٱلۡعُدۡوَٰن" بضم العين: الظلم وهو ما يدبرونه من كيد للمسلمين.

---

[1] يرجع إلى المصدر السابق نقل بتصرف .

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٥

"وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ": مخالفة ما يأمرهم به ومن جملة ذلك أنه نهاهم عن النجوى وهم يعودون لها[1]. وهي أمور خفية في صدورهم يبطنونها ويظهرون خلافها لذلك كشفها علام الغيوب وفضحهم ونبئ النبي ﷺ و المؤمنين بمكرهم وعدائهم.

و قرأ حمزة، وطلحة، والأعمش، ويحيى بن وثاب، ورويس "و ينتجون" – بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم مضارع انتجى[2].

(بدأ بالآثم لعمومه، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس إذ هي ظلامات العباد، ثم ترقى إلى ما هو أعظم وهو معصيتهم للرسول ﷺ وفي هذا طعن على المنافقين إذا كان تناجيهم في ذلك)[3].

"وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ "

وهذا من معصيتهم للرسول ﷺ وأنموذجا منها. فكانوا يلقون التحية عليه بغير ما أنزل الله، وكانت دعاءا عليه، عليه الصلاة والسلام – والعياذ بالله - بغير لفظ السلام. فكانوا يحرفون السلام بقولهم السام عليك: أي الموت، أو قولهم بتحايا الجاهلية مثل أنعم صباحا أو غير ذلك، مريدين بذلك معصيته ﷺ ومخالفة أمره. والله تعالى يقول: "وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ " [النمل:٥٩].

وخالف ابن عاشور ذلك الرأي بقوله: (وليس المراد من هذه ما ورد في حديث: أن اليهود كانوا إذا حيوا النبي ﷺ قالوا: السام عليك، وأن النبي ﷺ كان يرد عليهم بقوله "و عليكم" فإن ذلك وارد في قوم معروف أنهم من اليهود. وما ذكر أول

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٨
[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٥
[3] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨\صـ٢٣٦

هذه الآية لا يليق حمله على أحوال اليهود كما علمت آنفا ولو حمل ضمير "جَآءُوك" على اليهود لزم عليه تشتيت الضمائر)[1].

ويجوز أن يكون هذا صحيحا ولكنه لا يخرج من أن الآية منذ بدئها شملت اليهود والمنافقين فقد ذكر الإمام الزمخشري أنها في اليهود والمنافقين حيث كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، يريدون بذلك أن يغيظوهم. ..[2]. وهذا لا يعارض ما ورد في آية النجوى التي شمل خطابها اليهود والمنافقين، وكذلك هذه الآية. وقد ذكر ابن عاشور أن ما اعتمده في هذه الآيات أنها نزلت في اليهود والمنافقين[3]. لذلك لا وجود لتشتيت الضمائر كما ذكر إذا قلنا أنها نزلت في قوم من اليهود.

يخبرنا القرآن عما يدور في خلجات نفوس هؤلاء المتناجين من قولهم بأنفسهم لو كان محمد نبيا حقا لعذبنا الله على هذا الكلام وعجل عقابنا في الدنيا[4].

فبعد أن ذكر حالهم في اختلاء بعضهم ببعض ذكر حال نياتهم الخبيثة عند الحضور في مجلس الرسول ﷺ فإنهم يتتبعون سوء نياتهم من كلمات يتبادر منها للسامعين أنها صالحة فكانوا إذا دخلوا على النبي ﷺ يخفتون لفظ (السلام عليكم) لأنه شعار الإسلام ولما فيه من جمع معنى السلامة، يعدلون عن ذلك ويقولون: أنعم صباحا، وهي تحية العرب في الجاهلية لأنهم لا يحبون أن يتركوا عوائد الجاهلية. نقله ابن عطية عن ابن عباس [5]. وهذا شر منهم أنهم إذا جاءوا رسول الله ﷺ حيوه بغير تحية الله له وبغير ما أمرهم به، فكانوا يلوون ألسنتهم ويحرفونها ويدعون عليه – عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين -

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٩
[2] انظر الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٦٩
[3] يرجع للتحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٦
[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٣
[5] نقل من التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٢٨

"وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ"

(أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره، فلو كان هذا نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا[1]. وذلك من زيادة عنادهم وإصرارهم على المعصية ومن جحودهم بالرسالة وبعلم الله عز وجل، ونكرانهم اطلاعه على أحوالهم).

روى الطبري حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس، قوله "وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ". ..إلى "فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ" قال: كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه: سام عليكم، قال الله: "حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ"[2].

استحقوا هذا العذاب لمعاصيهم التي ذكرت في أول الآية ونفاقهم ومكرهم بالإسلام والمسلمين.

قال ابن عباس: نزلت في اليهود والمنافقين، وإذا حاؤك حيوك هو قولهم: السام عليكم، يريدون الموت، ثم كشف الله تعالى خبث طويتهم والحجة التي إليها يتسرحون، وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان محمدا نبيا لعذبنا بهذه الأقوال التي تسيئه، وجهلوا أن أمرهم مؤخر إلى عذاب جهنم[3]. كان لهم "فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ" مآلهم وخلودهم. لما استعجلوه من العقوبة عليهم في الدنيا فكان لابد من انتظارهم لجهنم التي هي دارهم وقرارهم فهم يصلونها ويقاسون حرها ولهيبها.

---

[1] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩١

[2] الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ج١٢\صـ١٥حديث رقم (٣٣٧٦٤)

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،المتوفى سنة (٥٤٢هـ) ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ج١٥\صـ٤٠٠

و ظاهر من سياق السورة من مطلعها أن الله قد أخبر الرسول ﷺ بما كانوا يقولونه في أنفسهم، وبمجالسهم ومؤامراتهم. فقد سبق في السورة إعلان أن الله قد سمع للمرأة المجادلة، وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم. .الخ. مما يوحي بأنه أطلع رسوله على مؤامرات أولئك المنافقين وهو حاضر مجالسهم أو بما يقولونه كذلك في أنفسهم.

ثم رد عليهم بقوله تعالى: "حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ"

و كشف هذه المؤامرات الخفية، وإفشاء السلام نجواهم التي إليها بعد ما نهوا عنها، وكذلك فضح ما كانوا يقولونه في أنفسهم: "لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ". .هذا كله هو تصديق وتطبيق لحقيقة علم الله بما في السموات وما في الأرض، وحضوره لكل نجوى، وشهوده لكل اجتماع. وهو يوقع في نفوس المنافقين أن أمرهم مفضوح، كما يوحي للمؤمنين بالاطمئنان والوثوق[1].

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٩

و ما نهى عن النجوى وذم على فعلها وتوعد عليه فكان ذلك موضع أن يظن أن النهي عام لكل نجوى وإن كانت بالخير استأنف قوله مناديا بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبرا بأول أسنان الإيمان باقتضاء الحال له[2].

بدأ الخطاب بأداة النداء "يا" التي للبعيد للدلالة على علو منزلة المنادى ووصفوا أجمل الأوصاف "ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" وعبر بأداة التي تجزم بوقوع فعل

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٩
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٣ .

الشرط بعدها للدلالة على أساس البر والتقوى وذلك لأن التقوى هي الدافع إلى فعل الخير واجتناب الإثم[1].

وفي هذه الآيات يلتفت إلى الذين آمنوا يخاطبهم بهذا النداء: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " لينهاهم عن التناجي بما يتناجى به المنافقون من الإثم والعدوان ومعصية الرسول، ويذكرهم بتقوى الله، وبين لهم أن النجوى على هذا النحو هي من إيحاء الشيطان " الذين آمنوا" فلا تليق بالمؤمنين[2]. ونهوا عن النجوى لأن الله كما ذكرنا مطلع على أحوالهم ومحصي أعمالهم، فلا ينبغي للمؤمنين أن يكونوا ممن يتناجون السوء.

قال مقاتل أراد بقوله "ءَامَنُوٓاْ" المنافقين أي بلسانهم، قال عطاء: يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول[3].

(ويجوز أن يكون خطابا للمؤمنين الخلص بأن وجه الله الخطاب إليهم تعليما لهم بما يحسن من التناجي وما يقبح منه بمناسبة ذم تناجي المنافقين فلذلك ابتدئ بالنهي عن مثل تناجي المنافقين وإن كان لا يصدر مثله من المؤمنين تعريضا بالمنافقين، مثل قوله تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ"[آل عمران:١٥٦])[4].

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٤

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥٠٩

[3] معالم التنزيل للبغوي ج٤\صـ٢٨٠

[4] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٠

(كما يفعله المنافقون، فالخطاب للخلص تعريضا بالمنافقين، وجوز جعله لهم وسموا مؤمنين باعتبار ظاهر أحوالهم)[1].

وعزا سيد قطب ذلك إلى أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد بحاسة التنظيم الإسلامي، وكانوا يجتمعون عندما تحزب الأمور، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدا عن قيادتهم الأمر الذي لا تقره طبيعة الجماعة الإسلامية، وروح التنظيم، التي تقتضي عرض كل رأي وكل فكرة وكل اقتراح على القيادة ابتداء، وعدم التجمعات الجانبية في الجماعة كما يبدو أن بعض هذه التجمعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة، وما يؤذي الجماعة المسلمة ولم يكن قصد الإيذاء قائما في نفوس المتناجين – ولكن مجرد إشارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم، قد يؤدي إلى الإيذاء، وإلى عدم الطاعة وهنا يناديهم الله بصفتهم التي تربطهم به، وتجعل للنداء وقعه وتأثيره: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ "[2].

فإن كان ولابد واضطررتم للمناجاة في خير يخصكم ويخص إخوانكم المسلمين فلا بد من توفر قواعد وضوابط لتلك المناجاة تراعوا فيها جانب غيركم من المسلمين.

ويؤخذ من الآيات فائدة عظيمة وهي عدم قذف قلوب المؤمنين بالنفاق والرياء. لأن الله تعالى خاطب المنافقين بقوله "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " باعتبار أنهم أظهروا الإيمان.

كما ذكر المفسرون. فيفهم من ذلك أن الحكم يكون بظاهر الأعمال. وأما السرائر يكون الحكم عليها من المولى عز وجل، فذلك ليس من شأن العباد. والله تعالى أعلم.

"فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ "

---

[1] الجامع للأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٤٩

[2] انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٠ ،نقل بتصرف .

وإذ أخذنا أن الخطاب للمؤمنين فهو أدب لهم مع إخوانهم وقيد للمنكر الذي كانوا معتادين على فعله قبل الإسلام فإن اضطروا لذلك الأمر عليهم توخي الحذر من الإثم والعدوان ومعصية الرسول والبعد وعن كل رذيلة تضرهم وتضر إخوانهم لأنه سبحانه العالم بخلجات نفوسهم وما يدور في ضمائرهم.

نهى تعالى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود وأمرهم أن يتناجوا بالطاعة والتقوى، والعفاف عما نهى عنه [1]. فهو عالم بحالهم في الدنيا وفي الآخرة. وبين لهم ما يليق بهم وبإخوانهم من أحوال يجوز لهم التناجي فيها فيقول لهم "وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ" لتدبير وسائلهما وتحقيق مدلولهما.

(وصى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بأنه لا يكون لهم تناج في مكروه، وذلك عام في جميع الناس إلى يوم القيامة، وخص "ٱلۡإِثۡمِ" بالذكر لعمومه والعدوان لعظمته في نفسه، إذ هي ظلامات العباد، وكذلك معصية الرسول ذكرها طعنا على المنافقين إذ كان تناجيهم في ذلك)[2].

(ولما أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد ذات البين وهو ما لا يريدون اطلاع النبي ﷺ ، صرح بقوله حثا على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد بإصلاحها، وشر الأمور ما عاد بإفسادها: "وَتَنَـٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ" أي الخير الواسع الذي فيه حسن التربية، ولما كان كذلك قد يعمل طبعا، حث على القصد الصالح بقوله: "

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٤٩
[2] المحرر الوجيز لابن عطية ج١٥\صـ٢٧٧

ٱلتَّقۡوَى " وهي ما يكون في نفسه ظاهرا أنه يكون سترة تقي من عذاب الله بأن يكون مرضيا لله ورسوله)[1].

وعلق الرازي قائلا: (واعلم أن القوم متى تناجوا بما هذه صفته قلت مناجاتهم، لأن ما يدعو إلى مثل هذا الكلام يدعو إظهاره، وذلك يقرب من قوله: "لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ" [آل عمران:١١٤] وأيضا متى عرفت طريقة الرجل في هذه لم يتأذى من مناجاته أحد)[2].

(أعلم أن المناجاة إذا كانت على طريقة البر والتقوى فقلما تقع الداعية إلى كتمانها فلا تكره النجوى ولا يتأذى بها أحد إذا عرفت سيرة المناجي فلهذا أمر سبحانه أن لا يقع التناجي إلا على وجه البر)[3].

وكان منذ ذلك مناجاة خولة رضي الله عنها وهي مناجاة البر في أمر زوجها للمحافظة على بيتها وأبنائها ورعايتهم فكانت أنموذجا للرعاية الأسرية المحافظة على أواصر روابط الأسرة التي تنبذ عادات الجاهلية وتقي منها، فكان عرض المثال أولا ومن ثم تفصيل المناجاة وتوضيحها.

"وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ"

تكرار التقوى في أكثر من موضع لعظم شأنها لأن المؤمن سيحاسب عليها عند حشره يوم الحساب لذلك كان لابد على المؤمنين أخذها والعمل بها وجعلها منهاج حياتهم.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٤

[2] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٣

[3] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٧٤

(فلما كانت التقوى أم المحاسن، أكدها ونبه عليها بقوله: "وَٱتَّقُوا " أي اقصد قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعظم وقاية. ولما كانت ذكرى الآخرة هي مجمع المخاوف ولاسيما فضائح الأسرار على رؤوس الأشهاد قال: "ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ " خاصة "تُحۡشَرُونَ " أي تجتمعون بأيسر أمر وأسهله بقهر وكره، وهو يوم القيامة)[1].

في قوله: "ٱلَّذِىٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ " (تذكير بيوم الجزاء. فالمعنى الذي يدعو إليه تحشرون فيجازيكم)[2].

(أي وخافوا الله بامتثالكم أوامره واجتنابكم نواهيه، الذي سيجمعكم للحساب، ويجازي كلا بعمله)[3].

إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٠

ولما شدد سبحانه في أمر النجوى وكان لا يفعلها إلا أهل النفاق، فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين، قال سارا للمخلصين وغاما للمنافقين ومبينا أن ضررها إنما يعود عليهم[4]. و هو أدب رفيع كما أنه تحفظ حكيم لإبعاد كل الريب و الشكوك .

(ثم ها هو ينفرهم من التناجي والمسارة والتدسس بالقول في خفية عن الجماعة المسلمة، التي هم منها، ومصلحتهم مصلحتها، وينبغي ألا يشعروا بالانفصال عنها في شأن من الشؤون فيقول لهم: إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٤
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٣١
[3] صفوة التفاسير للصابوني ج١٣\صـ١٢٩٧
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٤ .

بالحديث تبث في قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جوا من عدم الثقة، وأن الشيطان لن يبلغ فيهم ما يريد)[1].

(تسلية للمؤمنين وتأنيس لنفوسهم يزال به ما يلحقهم من الحزن لمشاهدة نجوى المنافقين لاختلاف مذاهب نفوسهم إذا رأوا المتناجين في عديد الظنون والتخوفات، فالجملة استئناف ابتدائي اقتضته مناسبة النهي عن النجوى)[2].

لذلك هي من الآثم والعدوان ومخالفة الرسول ﷺ ، فهذه النجوى من عمل الشيطان وصنيعه فهو لا يتبعه إلا حزبه وأوليائه الذين ذكرتهم الآيات.

قال ابن كثير: (أي إنما يصدر هذا من المتناجين عن تزيين الشيطان وتسويله)[3].

"لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ"

روى الطبري حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور عن معمر، قال: كان المسلمون إذا رأوا المنافقين يتناجون، يشق عليهم فنزلت "إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ "[4]. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه "[5]. فيه تنبيه على التعليل بقوله: "من اجل أن يحزنه " أي يقع في نفسه ما يحزن لأجله. وذلك بأن يقدر من ألقيات وأحاديث النفس. وحصل ذلك كله من بقائه وحده فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا يستوي في ذلك كل الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد ولا عشرة ولا ألف مثلا، لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٠

[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣١

[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٢.

[4] جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ج١٢\صـ١٦-١٧حديث رقم (٣٣٧٧٢)

[5] اخرجه البخاري ٦٢٩٠ و مسلم ٢١٨٣و مالك ٩٨٨\٢ و الحميدي ٦٤٥ و ابن أبي شيبة ٥٨١\٨ و أحمد ٤٥\١٢ و ابن ماجه ٣٧٧٦ و ابن حبان ٥٨٠ من حديث ابن عمر .

العدد الكثير أمكن وأوقع، فيكون بالمنع أولى، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال، وإليه ذهب ابن عمرو ومالك والجمهور.

وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به. قاله القرطبي[1].

"وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ "

قال الزمخشري: (كيف لا يضرهم الشطيان أو الحزن إلا بإذن الله ؟ قلت: كانوا يوهمون المؤمنين في نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا، فقال: لا يضرهم الشيطان أو الحزن إلا بإذن الله ؟ أي بمشيئته ، وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة)[2].

فالتناجي يوهم الذين آمنوا ما ليس واقعا فأعلمهم أن لا يحزنوا بالنجوى لأن الأمور تجري على ما قدره الله في نفس الأمر حتى تأتيهم الإخبار الصادقة. فالضر والنفع بيد الله تعالى ليس للشيطان أمر فيها، قال تعالى: "إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ" [الحجر:٤٢] فهو مصرف أمور عباده متوكل بها.

ولأن المقصود تسلية المؤمنين وتصبر على أذى المنافقين ولذلك عقب بقوله: " وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا " ليطمئن المؤمنون بحفظ الله إياهم من ضر الشيطان[3].

فهو سبحانه المدبر للكون فهو العالم أن تلك المناجاة ليست سوى غوغاء كلامية لا ضر من ورائها ولا أذية منها، فالسورة لا تزال في شمولها لعلم الله بالوجود وإحاطته بخلقه إذ هو الأعلم بحال المنافقين وخباياهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم وينبه المسلمين ويهذب نفوسهم إلا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة المخادعة.

---

[1] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٠

[2] تفسير الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٠

[3] ينظر إلى التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٢-٣٣ بنقل بتصرف .

(فهم قوم يوكلون أمرهم إليه، ويفوضون جميع شؤونهم إلى عونه، ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر، فهو الذي سلط الشيطان بالوساوس ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شاء لصرفها عنه[1]. ولذا ختمت الآية فاصلة بقوله تعالى: "وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ " ليخصوا من بيده الضر النفع بالتوكل عليه دون غيره)[2].

(فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله، فليس وراء ذلك توكل، وليس من دون الله من يتوكل عليه المؤمنون)[3].

الله الرحمن الرحيم الذي يمنع الضر عن عباده المؤمنين هو الذي عليه التكلان ويجب الوقوف ببابه والاعتصام بحبله المتين فهو ملجأ المؤمنين ولي حزبه وناصره.

"وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ " قال الإمام القاسمي: (أي: بالمضي في سبيله، والاستقامة على أمره، وانتظار النصر على أثره)[4].

(ولما نهى سبحانه عن التناجي والسرار علم منه الجلوس مع الملأ فذكر جل وعلا آداب بعده بقوله عز من قائل)[5]: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ "

---

[1] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٠
[2] التفسير الموضعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج١٨\صـ٤٤
[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥١٠
[4] محاسن التأويل للقاسمي ج١٩\صـ٦٠
[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٧

لما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر وتباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس الذي هو مباعدة الأجسام اللازم عنها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر في الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته وتمام رأفته بمراعاة حسن الأدب بينهم وإن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة، فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا في الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب[1].

حصل الفصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأدب مع رسول الله ﷺ وتلك المرأة أولى من مراعاة اتحاد سياق الكلام[2].

(ولما نهى الله عباده المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر أمرهم بما يكون سببا لزيادة المحبة والمودة والتوافق)[3].

ففي هذه الآية أدب مجلس الرسول ﷺ ، والآية التي بعدها تتعلق بالأدب في مناجاة الرسول ﷺ ، وأخرى تلك عن آيات النجوى العامة ايذانا بفضلها دون النجوى التي تضمنتها الآيات السابقة، فاتحاد الجنس في النجوى هو مسوغ الانتقال من النوع الأول إلى الثاني، والإيماء إلى تميزها بالفضل هو الذي اقتضى الفصل بين النوعين بآية أدب المجلس النبوي. قال الشهاب: وارتباطه بما قبله ظاهر، لأنه لما نهى عن التناجي والسرار، علم الجلوس مع الملأ، فذكر آدابه، ورتب على امتثالهم فسحة لهم فيما يريدون التفسح من المكان والرزق والصدر[4].

و هي أيضا شاملا لكل مجلس من مجالس المؤمنين التي يجتمعون فيها، والله أعلم.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٥ .
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٣ .
[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٧
[4] محاسن التأويل للقاسمي ج٩\صـ٦١

وأيضا قد كان للمنافقين نية مكر في قضية المجلس كما كان لهم نية مكر في النجوى، وهذا مما أنشأ مناسبة الانتقال من الكلام على النجوى إلى ذكر التفسح في المجلس النبوي الشريف. قاله ابن عاشور[1].

فالله تعالى خبير بالأعمال والنوايا، فبرغم من صدق نية المؤمنين وحسنها في القرب من رسول الله ﷺ أو الحرص على الشهادة أو غير ذلك إلى أنه تعالى شرع في تنقيتها وتهذيبها والحث على روح الجماعة والإيثار، فالمؤمن يفكر في نفسه وإخوانه معه ولا يختص بالخير لنفسه فقط بل هو مشارك لإخوانه معه.

مثل ما ذكر في أول السورة من أنه لا يتصرف كيفما يشاء بالضر أو النفع دون التفكير فيمن حوله بل يجب عليه أن يقرر الخير لنفسه ولمن معه من المؤمنين.

وهذا في الآية رد على أكاذيب المنافقين وإشاعتهم للتباغض والتنافر، فهذا مثال آخر لأعمالهم القبيحة فكانت النجوى أولا. وثانيا: إشاعة الفتن بين المسلمين بعضهم لبعض وبينهم وبين رسولهم ﷺ . وهو تكذيب من الله تعالى لهم بهذه الآيات ورد كلامهم.

ويظهر من بعض الروايات التي حكت بسببها نزول الآية أن لها علاقة واقعية بالمنافقين، مما يجعل بينها وبين الآيات قبلها أكثر من ارتباط واحد في السياق. قال قتادة: هذه الآية نزلت في مجالس الذكر ، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض. وعن مقاتل بن حيان " كان ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال الرسول ﷺ فقالوا: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله بركاته، فرد النبي ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقال لبعض من حوله: قم يا فلان ويا فلان، فأقام نفرا مقدار من قدم فشق ذلك عليهم وعرفت كراهيته في وجوههم

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢\صـ٣٣

وقال المنافقون: ما عدل بإقامة من أخذ مجلسه وأحب القرب منه لمن تأخر عن الحضور، فأنزل الله تعالى هذه الآية "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ "[1] .

فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس، كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع وهذا الأمر يجيء من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة لا من القادم.

(أنزل الله هذه الآية تطيبا لخاطر الذين أقيموا، وتعليما للأمة بواجب رعي فضيلة أصحاب الفضيلة منها، وواجب الاعتراف بمزية أهل المزايا، إن تفسح المسلمين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوبا أو ندبا لأن المكارم والإرفاق. فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيه غير هي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده. وعلته هي التعاون على المصالح)[2].

والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان. ومتى رحب القلب اتسع وتسامح، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة، فأفسح لهم في المكان عن رضا وارتياح وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذبيها، وتعليمها الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق والاستجاشة. فالدين ليس بالتكاليف الحرفية، ولكنه تحول في الشعور، وحساسية في الضمير[3].

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَـٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ "

[1] ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٩٧\١٤ ، ونسبه إلى ابن حاتم بغير إسناد على غير عادته ،و أورده السيوطي في الدرر المنثور ١٨٤\١٦-١٨٥ عن مقاتل بن حيان و نسبه ، إلى ابن أبي حاتم ، و أورده الواحدي في أسباب النزول ٣٥ عن مقاتل بغير إسناد .

[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٥

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١١-٣٥١٢

اختلفوا في " ٱلۡمَجَٰلِسِ" فقرأ عاصم المجالس بألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد[1].

فأفادت قراءة الجمع على كثرة مجالسة القوم لرسول الله ﷺ وحرصهم على الانتفاع بما عنده، وأما قراءة الإفراد فدلت على أن المجالس مع كثرتها إلا أنها كانت كمجلس واحد لتآلف هذه الجماعة المؤمنة بالأخذ عن النبي الكريم فجميع هذه المجالس مع تعددها أصبحت كأنها مجلس واحد لتساويها بالانتفاع منها وبعدها عن اللهو والهزل[2].

(أدب الله المسلمين هذا الأدب الرفيع الذي فيه هضم النفس في ذات الله، وبعد أن علمهم كي يكون محور حديثهم في مجالسهم)[3].

وفي هذا البيان يبين الله عز وجل للمسلمين أدبهم في مجالسهم التي يجتمعون فيها، فاجتماع يقابل اجتماعا، وتناج يقابل تناجيا، وللفاسقين طرائقهم وللمسلمين آدابهم في كل[4].

بدأت الآية بنداء المؤمنين بأحب نداء "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " الذين جمعوا الإيمان والتصديق وتطبيق أحكام الله وهذا حكم منها وهو التفسح.

و عرف الأصفهاني التفسح: الفسح والفسيح الواسع من المكان التفسح التوسع، يقال: فسحت مجلسه فتفسح فيه، ومنه قيل: فسحت لفلان أن يفعل كذا كقولك وسعت له، وهو في فسحة من هذا الأمر[5].

من قولهم: افسح، أي تنح، ولا تتضاموا، يقال بلدة فسيحة، ومفازة فسيحة، ولك فيه فسحة، أي سعة. وقال الإمام الرازي: ذكروا في الآية أقوالا:

---

[1] النشر في القراءات العشر لابن الجزري صـ٦٤٢ .
[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٥
[3] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٩١
[4] يرجع للمصدر السابق صـ٥٧٩٠
[5] مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صـ٣٩٦-٣٩٧ ،كتاب الفاء

الأول: أن المراد مجلس رسول الله ﷺ كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه، وحرصا على استماع كلامه، وكان منهم يكره أن يضيق عليه فربما سأله أخوه أن يفسح له فيأبى فأمرهم الله تعالى بأن يتعاطفوا ويتحملوا المكروه. وكان فيهم من يكره أن يمسهم الفقراء، وكان أهل الصفة يلبسون الصوف ولهم الروائح. القول الثاني: وهو اختيار الحسن: أن المراد تفسحوا في مجالس القتال، وهو كقوله تعالى : " مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ"[آل عمران:١٢١].

وكان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة. والقول الثالث: أن المراد بجميع المجالس والمجامع، قال القاضي: فأمروا بالتفسح إذا أمكن لأن ذلك أدخل في التعجب، وفي الاشتراك في سماع ما لابد منه في الدين. وإذا صح ذلك في مجلسه، فحل الجهاد ينبغي أن يكون مثله بل ربما كان أولى، لأن الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الأول والحاجة إلى تقومه ماسة فلابد من التفسح، ثم يقاس على هذا سائر مجالس العلم والذكر[١]. فقد أخرج مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذي عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا "[٢].

فالإيثار بالخير واجب وهو من صفات المؤمن النقي السريرة قال ﷺ : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[٣]". لذلك يجب أن يقسم الخير بينه وبين إخوانه المؤمنين ولا يستأثر به لنفسه استجابة لأمر الله عز وجل.

وخصص الشيخ السعدي هذا الأدب بأنه: تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، احتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس فإن من الأدب أن يفسحوا له [١].

---

[١] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٤

[٢] متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه ٢٣١٣\٥ رقم ٥٩١٤ و مسلم في صحيحه ١٧١٤\٤-٢١٧٧ و الترمذي في سننه ٨٨\٥ رقم ٢٧٤٩ جميعا من طريق نافع عن ابن عمر ...به .

[٣] صحيح البخاري صـ١٣

(الصحيح في الآية أنها عامة في كل مجلس، اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب، أو ذكر، أ وجمعة، وأن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذى بذلك فيخرجه عن الضيق فالإسلام شرع الأدب لعباده في كل مكان وفي أي وقت اجتمع فيه العباد على الخير)[٢].

(أمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس، لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ ، ليتساوى الناس في الأخذ من حظهم من رسول الله ﷺ)[٣].

مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك [٤].

قال صاحب البحر: أمروا أولا بالتفسح في المجلس، ثم ثانيا بامتثال الأمر فيه إذا أمروا [٥].

وكان للإمام ابن تيمية رحمه الله قول في ذلك[٦]: لم يكن من عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، أن يعتادوا والقيام كما يفعله كثير. بل قد قال أنس بن مالك رضي الله عنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك. ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيا له، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ: "قوموا إلى سيدكم [٧] " وكان سعدا متمرضا بالمدينة، وكان قد قدم إلى قريظة شرقي المدينة. والذي ينبغي للناس أن يعتادوا أتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد النبي ﷺ فإنهم خير الخلق، وهدي خير القرون إلى ما دونه. وينبغي للمطاع أن يقرر ذلك مع أصحابه،

---

[١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.صـ٨٤٦

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٢

[٣] لباب التأويل في معاني التنزيل ،المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن المتوفى سنة (٧٤١هـ) ،المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ج١٤\صـ٢٦١

[٤] الكشاف للزمخشري ج١٤\صـ٣٧٠

[٥] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٨ج\صـ٢٣٧

[٦] انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج١\صـ٣٧٤

[٧] المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم: ١٣٩/٦خلاصة حكم المحدث: فيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

بحيث إذا لم يقوموا له ولا يقوم لهم، إلا في اللقاء المعتاد. وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له. فحسن ولو ترك ذلك لاعتقد أن ذلك بخس في حقه، أو قصد لخفضه، ولم يعلم العادة الموافقة للسنة – فالإصلاح ان يقام له، لأن ذلك إصلاح ذات البين، وإزالة للتباغض والشحناء. وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له. وليس هذا القيام هو القيام المذكور في قوله ﷺ : "من سره أن يمتثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار[1]" فإن ذلك أن يقوموا وهو قاعد. ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ولهذا فرقوا بين يقال (قمت إليه) و(و قمت له). والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القيام للقاعد. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدا في مرضه، وصلوا قياما، أمرهم بالقعود، وقال: "لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا"[2]. فقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد، لئلا يشبهوا الأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود. وجماع ذلك، أو لم يعرف أنه العادة، وكان في ترك معاملته بما اعتاده الناس من الاحترام مفسدة راجحة، فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما. انتهى كلام شيخ الإسلام[3].

"يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ"

(ذلك أن الجزاء من جنس العمل)[4].

أي إذا أفسح بعضكم لبعض فإن الجزاء يكون مباشرة ودون تأخير أو انتظار، لأنه وعد من الله تعالى أتى بصيغة المضارع للدلالة استمراره وحصوله – لعباده المؤمنين الممتثلين لأوامره. فكل من وسع وأفسح لأخيه كان مستحقا الفسح له في كل خير.

---

[1] صحيح الترمذي - الرقم: ٢٧٥٥

[2] أخرجه أبو داود (١٤١٨٠)و ابن خزيمة (٤٨٦) و ابن حبان (٢١٢٢) و البيهقي (٦٠٢٩) من حديث أبي أمامة الباهلي .

[3] مجموع الفتاوى لابن تيمية ،ج١\صـ٣٧٤ .

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤\صـ٢٩٢ .

(وهو مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك)[1]. وبمثله قال الزمخشري كما سبق.

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ " حداهم بهذا الوصف على الامتثال "إِذَا قِيلَ لَكُمۡ " أي من أي قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته: "تَفَسَّحُوا " أي توسعوا أي كلفوا أنفسكم في ايساع المواضع "فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ " أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجد مجلسا يجلس فيه، والمراد بالمجلس جنس المكان الذي هم ماكثون به بجلوس أو قيام في صلاة أو غيرها لأنه أهل لمن يجلس فيه. وذلك في كل عصر، ومجلس النبي ﷺ، أولى بذلك وقراءة عاصم بالجمع موضحة لإرادة الجنس ، "فَٱفۡسَحُوا" أي وسعوا فيه عن سعة الصدر "يَفۡسَحِ ٱللَّهُ" أي الذي له الأمر كله والعظمة الكاملة "لَكُم" في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين[2].

(يعم كل ما يتطلب الناس الإفساح فيه بحقيقته ومجازه في الدنيا والآخرة من مكان ورزق أو جنة عرضها السماوات والأرض على حسب النيات، وتقديره الجزاء موكول إلى إرادة الله تعالى)[3].

"وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ "

أدب الله المؤمنين في هذه الآيات بآداب جمة، وها هو أدب آخر من الآداب التي حرص الإسلام على تخليق أبنائه بها، وهو في المجالس أيضا، فذكر أولا التوسع في المجالس وعدم التضييق فيها، وثانيا: أنه إذا طلب منكم المغادرة المجلس والتنحي يجب عليكم ذلك وهذا في كل أمر من أمور الخير. قال ابن حيان: أمروا أولا بالتفسح في المجلس ثم ثانيا: بامتثال الأمر فيه إذا أمروا وألا يجدوا في ذلك غضاضة.

---

[1] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٣٤٥ .و ينظر أيضا للكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٠ .
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٦
[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٤

(النشوز نشز: النشز المرتفع من الأرض، ونشز فلان إذا قصد نشزا ومنه فلان عن مقره نبا وكل ناب ناشز، "وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ " ويعبر عن الإيحاء بالنشز والإنشاز لكونه ارتفاع بعد اتضاع)[1].

("فَٱنشُزُواْ " فانهضوا ولا تتثبطوا، وأصله من النشز وهو المرتفع من الأرض فإن مريد التوسعة على المقبل يرتفع إلى فوق فيتسع الموضع، أو لأن النهوض نفسه ارتفاع)[2].

و قد فسر الامام القرطبي هذه الآية تفسيرا شاملا ملما حيث قال:

قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما، وكسر الباقون، وهما لغتان "يَعْكُفُون" [آل عمران:١٣٨] و"يَعْرِشُون" [آل عمران:١٣٧] والمعنى انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير، قاله أكثر المفسرين.

و قال الضحاك ومجاهد: أي انهضوا إلى الحرب. وقال ابن زيد: هذا بيت النبي ﷺ ، وكان كل منهم يحب أن يكون آخر عهده بالنبي ﷺ فقال الله تعالى: "وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ " عن النبي ﷺ "فَٱنشُزُوا" فإن له حوائج فلا تمكثوا، وقال قتادة: المعنى أجيبوا إذا دعيتم إلى أمر بمعروف. وهذا الصحيح، لأنه يعم[3]. انتهى.

فالآية تأمر بالاستجابة لكل نداء خير وصلاح في الأرض، لا تخص أمرا دون آخر فكل الأمور المحمودة واجب الاستجابة لها دون تردد، أو تأخير إذ هي رفعة للمؤمن من الأنا إلى روح الجماعة والجسد الواحد فكانت النشز أنسب تعبير لها

---

[1] مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صـ٥١٢ ، كتاب النون .
[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٨
[3] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٣

يناسب مقام العلو عن التفكير المجرد بالذات بل العمل والتفكير بالجماعة والإنسانية جميعها.

لذلك كانت الآية التالية لها وعد من الله عز وجل بالرفعة والخير في الدنيا والآخرة لمن استجاب لنداء مولاه من الإيمان الذي هو يشمل كل خصال الخير والفلاح وخص منها العلم لما له من فضل لا يخفى على لبيب.

"يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ"

قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على غير العالم. ورفعة الدرجات تدل على الفضل، إذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الآخرة بعلو في الجنة[1].

هذا وعد من الله عز وجل للمؤمنين والعالمين الممتثلين لأوامره والمنفذين لها،

- وهم المؤمنون الذين خوطبوا في أول الآية وها هم ينادون ثانية بنفس النداء تأكيدا له
- ولأوامر رسوله ﷺ ، فإذا الخطاب للمؤمنين الذين قاموا من مجالسهم بأمر من الرسول ﷺ من أجل إخلاصهم فهذا وعد من الله لهم في الدنيا والآخرة بالثواب الجزيل والشرف في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة.

عطف "ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ" على "ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ" من عطف الخاص على العام، تعظيما لهم بعدهم كأنهم جنس آخر، ولذا أعيد الموصول في النظم الكريم، فلما كان المتمثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزي على تواضعه برفع الدرجات ، عن عابس بن ربيعة قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر : يأيها الناس تواضعوا فلأني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من تواضع لله رفعه ..."[2]

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المكتبة العصرية صيدا –لبنان طبعة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، ج١ص- ١٨٦-١٨٧

[2] الأماني المطلقة لبن حجر – حديث رقم ٧٥ ، حديث مرفوع

هذا حديث غريب و رفعه منكر . أخبرنا الطبراني في الأوسط عن موسى بن زكريا عن إبراهيم بن المستمر عن سعيد بن سلام و أخرجه البيهقي في الشعب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن المؤمل . عن محمد بن يونس فوقع لنا عاليا ، قال الطبراني لم يروه عن الأعمش إلا الثوري تفرد به سعيد بن سلام و كذلك قال الدار قطني في الإفراد قلت و رجاله رجال الصحيح إلا سعيد بن سلام الذي تفرد

وقيل أنه تعالى خص أهل العلم ليسهل عليهم ترك ما عرفوا بالحرص عليه من رفعة المجالس وحبهم للتصدير، وهذا من مغيبات القرآن لما ظهر من هؤلاء في سائر الإعصار من التنافس في ذلك[1]. قال الناصر[2]: لما علم أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم، وعند الناس ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء، ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس، وتواضعا لله تعالى. انتهى[3].

قال بعض أهل العلم: المراد به الرفعة في مجلس النبي ﷺ وهو مناسب للمقام لقوله: "ليليني منكم أولو الأحلام والنهى"[4].

وهذا رؤية من مذظورا، وأيا كانت فهي دليل ثواب ومدح للمؤمنين العالمين فالمؤمن العالم أرفع وأفضل من المؤمن غير العالم. أخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أنه قال: ما خص الله تعالى العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية – فضل الله الذين آمنوا وأتوا على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم بدرجات، وفي رواية أخرى عنه يا أيها الذين آمنوا افهموا معنى هذه الآية ولترغبكم في العلم فإن الله تعالى يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذي لا يعلم، إنه تعالى خص أهل العلم ليسهل عليهم ترك ما عرفوا بالحرص عليه من رفعة المجالس وحبهم للتصدير [5].

فمزية العلم لا تخفى على عاقل بصير وفضله لا يسعه مداد ولا ورق وقد أكثر العلماء من الحديث وأجزلوا، ولكن يظل الباحث في الفيض من ذلك الفيض إذا هو بحر لا آخر له فأوله معرفة الله عز وجل ثم ليس له آخر ولا حد.

به فإنه ضعيف و قد أخبرنا أبو عبيد في غريب الحديث و من طريقه الخرئطي في مكارم الأخلاق و من رواية بكير بن الأشج ،عن عبيد الله بن عدي عن عمر موقوفا و لم يسمعه بكير من عبيد الله .

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢٩٩-٣٠٠-٣٠١

[2] في الانتصاف ج٩\صـ٦٢ مطبوع على حاشية الكشاف .

[3] محاسن التأويل للقاسمي ج٩\صـ٦٢

[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة حديث ١٢٢-١٢٣،و أبو داود في كتاب الصلاة باب ٩٥ ،و النسائي في كتاب الصلاة باب ٥٤،و ابن ماجه في كتاب الإقامة باب٤٥ ،و الدرامي في كتاب الصلاة باب ٥١ ،و أحمد في مسنده (١\٤٥٧)(٤\١٢٢)

[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠١

وذكر الإمام الغزالي في كتابه القيم إحياء علوم الدين عن فضيلة العلم ومزيته وأجزل بذلك فهو من أكثر الكتب القيمة ويكاد يكون أعظمها.

قيل لبعض الحكماء: أي الأشياء تقتني ؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت بسفينتك سبحت معك، يعني العلم. وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت[1].

والقرآن خير شاهد على فضيلة العلم ومزيته، ومن ذلك بعض الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: " رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا " [طه: ١١٤]واضح الدلالة في فضل العلم، لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم، والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه[2].

قوله عز وجل: "شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ " [آل عمران: ١٨]. كيف بدأ سبحانه وتعالى بشهادته، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم وماذا بعد هذا الشرف الذي تكون شهادة العلماء بعد شهادة الملائكة وشهادته عز وجل.

وقال تعالى: "هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ " الزمر:٩]. فهذا استفهام استنكاري تعجبي، إذ يستحيل توافق الذين يعلمون وأصحاب العلم مع غيرهم ممن هم لا يملكون العلم فالإيمان بالله يكون عند أصحاب العلم أقوى

[1] إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) تحقيق و توثيق و مراجعة أحمد عناية ،أحمد زهوة دار الكتاب العربي –بيروت ،١٤٣١هـ-٢٠١٠م ،صـ١٦ .

[2] فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المكتبة العصرية صيدا –لبنان طبعة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، ج١صـ ١٨٦-١٨٧

وأكمل ممن هو عند دونهم فهم أعلم خلق الله بالله إذ علمهم به عن يقين خالص لا يشوبه شك أبدا.

قال تعالى: "وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ" العنكبوت:٤٣] رد حكمه في الوقائع إلا استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.

والمصطفى ﷺ أخبر بفضيلة العلم ورفقة العالم في الكثير من الأحاديث الشريفة وعرضه بأكثر من أسلوب وبين فضله وفضل الأخذ وجزاءه عند المولى عز وجل.

قال ﷺ : "يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء[١]".

وقال ﷺ : " أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم "[٢]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه[٣].

وقيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل ؟ فقال: "العلم بالله عز وجل" فقيل: أي العلم تريد ؟ "إن العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير من العمل لا ينفع مع الجهل بالله"[٤].

قال ﷺ : " العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر[٥]" ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة.

---

[١] ابن عبد البر(إحياء علوم الدين ١/١٠) إسناده ضيعف ،روضة المحدثين ج١٣\صـ١٤٠

[٢] ابن عبد البر في العلم قال : روي عن النبي ﷺ ، فذكره بغير إسناد : قاله ابن حجر .

[٣] الديلمي في الفردوس بدون إسناد .

[٤] الإحياء - الصفحة أو الرقم: ٢٢/١خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

[٥] سنن أبي داود ،رقم: ٣٦٤١: سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح] .

وقال ﷺ : " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[1] "، وقال ﷺ في تفضيل العلم على العبادة والشهادة " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم [2]"

وأخرج الدرامي عن عمر بن كثير عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : "من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبين درجة[3] " وعنه ﷺ: "بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة[4] "

وقال ﷺ : "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[5] " فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ورد في فضل الشهادة.

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رفعه: "من التمس طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى جنة " ولم يخرجه البخاري لأنه اختلف فيه على الأعمش، والراجح أنه بينه وبين أبي صالح فيه واسطة، والله أعلم [6].

وأما من الآثار ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ لكميل: " يا كميل، العلم خير من المال، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق" وقال علي ﷺ أيضا: " العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العلم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه". وقال ابن مسعود ﷺ: " عليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه موت رواته، فو الذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم،

---

[1] أصحاب السنن الأربعة من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

[2] سنن الترمذي ،رقم: ٢٦٨٥ ،غريب .

[3] إسناده ضعيف : أخرجه الدرامي في المقدمة ج١\صـ٩٦ ،رقم ٣٥٤ من طريق محمد بن إسماعيل عن يحيى بن كثير عن الحسن ... به ،و التبريزي في مشكاة المصابيح ج١\صـ٨٣ ، رقم ٢٤٩ و ضعفه الألباني لإرساله و أورهد العجلوني في كشف الخفا ج٢\صـ٣١٨ رقم ٢٤٥٠ ،و قال رواه الدارمي عن الحسن رفعه مرسلا .

[4] أورده العجلوني في كشف الخفا و الإلباس ج٢\صـ١١٢ و قال رواه أبو يعلى و ابن عدي عن أبي هريرة بلفظه .

[5] إسناده ضعيف جدا أخرجه ابن ماجه في سننه (٢١٤٤٣) رقم ٤٣١٣ و ابن عدي في الكامل ٥\٢٦٢ و العقيلي في الضعفاء ٣٦٧\٣ جميعا من طريق عنبسة بن عبد الرحمن عن أبان بن عثمان بن عفان ...به ،و في إسناده عنبسة بن عبد الرحمن ، قال ابن عدي : قال البخاري : عنبسة منكر الحديث ، و قال النسائي : متروك الحديث .

[6]. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، ج١\صـ ١٨٦-١٨٧

فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم ". وقال الأحنف رحمه الله: " كل عز لا يوطد بعلم فإلى ذل مصيره[1]".

عن ابن مسعود قال: يا أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يرفع فإن من رفعه أن يقبض أصحابه وإياكم والتبدع والتنطع وعليكم بالعتيق فإنه سيكون في آخر هذه الأمة أقوام يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد تركوه وراء ظهورهم [2].

نعم فأي عز من دون العلم وكيف يصان العز بدون العلم وهل يستطيع صاحبه صونه من دون التسلح بسلاح العلم. كلا فإنه السياج للإنسانية يحيمها من الخروج إلى الهيمية. والفضل الغير منتهي في أي زمان ومكان ولأي أحد من البشر وهو نور لمن يشاء ويختار.

وجمع القرآن الدرجات لتعددها وتنوعها في الدنيا والآخرة، وخص أهل العلم بالذكر مع أنهم جزء من المؤمنين من باب عطف الخاص على العام تعظيما له وكأنه جنس آخر[3].

"دَرَجَٰتٍ " عالية بما جمعوا من أثرتي العلم والعمل فإن العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح، ولذلك يقتدي بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث: " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب[4]"، وقال ايضا: فلما كان المتمثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزي على تواضعه برفع الدرجات كقوله: من تواضع لله رفعه[5].

"وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ"

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي صـ٧-١٨-١٩-٢٠-٢١

[2] جامع الأحاديث مسند عبد الله ابن مسعود ، (يعقوب بن سفيان، وابن عساكر) ،أخرجه ابن عساكر ج١٣٧\صـ٢٣٢

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج١٨\صـ٤٦

[4] أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب (١) ،و ابن ماجه في المقدمة باب(١٧)، و أحمد في المسند (١٩٦\٥) .

[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٢١٨ ، و ينظر ايضا صـ٣٠١

ولا شك ان من أراد أن يرفع قوما دون قوم لا بد من أن يكون عليما بمختلف أحوالهم، خبيرا بها لذا جاءت فاصلة الآية "وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ"[1].

بعلمه وخبره بأحوال العباد. خبير وعالم بمن يستحق الرفعة والدرجات. ويجوز ان تكون الآية تهديد لمن لم ينفذ أوامر الله وينصاع لها.

"دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ" قرئ بالتاء والياء[2].

"خَبِير" أي عالم بظاهره وباطنه فإن العلم مزينا بالعمل بامتثال الأوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه، وإن كان على غير ذلك فكذلك، وقدم الجار ومدخوله وإن كان علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبيها على مزيد الاعتناء بالأعمال، لا سيما الباطنة من الإيمان والعلم اللذين هما الروح الأعظم، لأن المقام لنزول الإنسان عن مكانه بالتفسح والانخفاض والارتفاع، ولا يخفى ما في ذلك من حظ النفس الحامل على الجري مع الدسائس، فكان جديرا لمزيد الترهيب[3].

"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢"

قال تعالى معظما لرسوله ﷺ و ناهيا عن إبرامه ﷺ بالسؤال والمناجاة، ونافعا للفقراء والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا، ولما نهى عما يحزن من المقال والمقام، وكان المنهي عنه من التناجي إنما هو لحفظ قلب رسول الله ﷺ عما يكدره فهو منصرف إلى مناجاتهم غيره، وكان ذلك مفهما أن مناجاتهم له ﷺ لا حرج فيها، وكان كثير منهم يناجيه ولا قصد له إلا الترفع بمناجاته فأكثروا في ذلك

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ، ج١٨\صـ٤٦
[2] الكشاف للزمخشري ج١٤\صـ٣٧٠
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٧

حتى شقا عليه ﷺ ، وكان النافع للإنسان إنما هو كلام من يلائمه في الصفات ويشاكله في الأخلاق، وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل بغض الله لها، أما من أراد أن يناجيه بالتصدق ليكون ذلك إمارة على الاجتهاد في التخلق بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن الدنيا والإقبال على الله، ومظهرا له عما سلف من الإقبال عليها فإن الصدقة برهان على الصدق في الإيمان، وليخفف عنه ﷺ ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا يناجيه إلا من قد خلص إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة[1].

(استئناف ابتدائي عاد به إلى ذكر أحوال النجوى وهو من أحوالها المحمودة. والمناسبة هي قوله تعالى: "وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ " فهذه الصدقة شرعها الله تعالى وجعل سببها مناجاة الرسول، فذكرت عقب آي النجوى لاستيفاء أنواع النجوى من محمود ومذموم)[2].

"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ " ما زال الخطاب الحاني من رب العزة لعباده المؤمنين وها هو يناديهم بأحب النداءات التي يحبونها ويفتخرون بها، وتشعرهم بالأمن والأمان، وأقربهم لقلوبهم ونفوسهم لترغبهم في الاستجابة، وذلك بنعتهم بالصفة التي يجب أن يمتثلوا بها فهم الذين آمنوا لذلك كان يجب عليهم تطبيق هذا الإيمان قولا وفعلا واعتقادا.

وأيضا تأصيل وتأكيد عرى الإيمان بين المؤمنين وأنها هي الرابط الأقوى والأول فيما بينهم، إذا أن المؤمن الحق هو الذي يرعى مصالح إخوانه كما لو كانت مصالحه فلا يثأر بالخير لنفسه بل يجلبه له ولإخوانه المؤمنين.

وهنا يعلمهم القرآن أدبا آخر في علاقتهم برسول الله ﷺ – فيبدو انه كان هناك تزاحم على الخلوة برسول الله ﷺ ليحدثه كل فرد في شأن يخصه، ويأخذ في توجيهه ورأيه، أو ليستمتع بالانفراد به مع عدم التقدير لمهام رسول الله ﷺ الجماعية، أو عدم

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٤٩٨ .
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٨

الشعور بقيمة وقته، وبجدية الخلوة به، وأنها لا تكون إلا لأمر ذي بال فشاء الله أن يشعرهم بهذه المعاني بتقرير ضريبة للجماعة من مال الذي يريد أن يخلو برسول الله ﷺ ويقتطع من وقته الذي هو من حق الجماعة. في صورة صدقة يقدمها قبل أن يطلب المناجاة والخلوة[1].

"إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً "

(أي إذا أردتم المناجاة معه ﷺ لأمر من الأمور)[2]. وقال القرطبي: "نَـٰجَيْتُمُ" أي ساررتم[3]. وقد ذكر العلماء ضروب عدة لمناجاته ﷺ ، وقد ذكر معظمها الإمام الفخر الرازي قائلا: قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، وأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما نزلت هذه الآية شح كثير من الناس فكفوا عن المسألة. قال مقاتل بن حيان: إن الأغنياء غلبوا الفقراء على مجلس النبي ﷺ وأكثروا من مناجاته حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة، فأما الأغنياء فامتنعوا وأما الفقراء فلم يجدوا شيئا.

و يحتمل أن يكون المراد منه التخفيف عليه، ﷺ لأن أرباب الحاجات كانوا يلحون على الرسول، ويشغلون أوقاته التي هي مقسومة على الإبلاغ إلى الأمة وعلى العبادة ويحتمل أنه كان في ذلك ما يشغل القلب بعض المؤمنين، لظنه أن فلانا إنما ناجى رسول الله ﷺ لأمر يقتضي شغل القلب فيما يرجع إلى الدنيا. ويجوز أنه يميز محب الآخرة عن محب الدنيا، فإن المال محك الدواعي[4].

قال علي ﷺ : هذه آية من كتاب الله ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم وسألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها، قلت يا رسول الله ما الوفاء ؟ قال: "التوحيد وشهادة أن لا

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٢
[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠١
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٥
[4] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٦

إله إلا الله" قالت: وما الفساد ؟ قال: "الكفر والشرك بالله " قلت: وما الحق ؟ قال: "الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك" قلت: وما الحيلة ؟ قال: "ترك الحيلة " قلت: وما علي ؟ قال: "طاعة الله ورسوله" قلت: وكيف أدعو الله تعالى ؟ قال: "بالصدق واليقين" قلت: وماذا أسأل الله ؟ قال: "العافية" قلت: وما أصنع لنجاة نفسي ؟ قال: " كل حلالا وقل صدقا" قلت: وما السرور ؟ قال: "الجنة" قلت: وما الراحة ؟ قال: "لقاء الله" فلما فرغت منها نزل نسخها[1].

وقد أضاف على ذلك الإمام القرطبي قول زيد بن أسلم: نزلت بسبب أن المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي ﷺ ويقولون أنه أذن يسمع كل ما يقال له، كان لا يمانع أحدا مناجاته. فكان ذلك يشق على المسلمين، لأن الشيطان كان يلقي في أنفسهم أنهم ناجوه بأن جموعا اجتمعت لقتاله . قال فأنزل الله تبارك وتعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ " الآية. فلم ينتهوا فأنزل الله هذه الآية فانتهى أهل الباطل عن النجوى لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة[2].

ونظل هنا في سياق السورة المدني إذ كان الخطاب للمنافقين لأن الله تعالى يكشف ما في نفوسهم و يفضح خبثهم و سوء نياتهم .

و بهذه الآية المباركة كانت مزية لعلي ﷺ من مزاياه الكثيرة. الذي هو من حزب الله وأنصاره وجنده وخاصته الذين رضي الله عنهم – إذ لم يعمل بهذه الآية غيره ﷺ، وكذلك عندما استفتاه رسول الله ﷺ حين سأله عن مقدار صدقة المناجاة.

عن ابن عمر ﷺ: كان لعلي ثلاث ولو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم: تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

---

[1] الحاكم و ابن أبي شيبة .

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٥

(وفي هذا الأمر تعظيم الرسول ﷺ ونفع للفقراء وتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا ودفع للتكاثر عليه ﷺ من غير حاجة مهمة)[1].

"فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً "

في الكلام استعارة تمثيلية، أصل التركيب يستعمل فيمن له يدان أو كناية بتشبيه النجوى بالإنسان، وإثبات اليدين تخييل، وفي "بَيْنَ" ترشيح على ما قيل، ومعناه قبل.

"فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً " قال الزحيلي: استعارة، استعار اليدين لما يكون قبل الشيء، أي قبل نجواكم، وهي استعارة بالكناية، حيث شبه النجوى بالإنسان وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو اليدان ويصح أن يكون في التركيب استعارة تمثيلية[2].

هذا أمر من الله تعالى بتقديم صدقة قبل مناجاته ﷺ الفاء للمسارعة أي أنه قبل المناجاة يجب تقديم الصدقة وذلك تطهير للنفس وتهذيبا لها، قال تعالى: "صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا "[التوبة:١٠٣] . قال ابن كثير: (يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم مناجاة رسول ﷺ أي: يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام)[3].

قال علي ﷺ: لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال: "ما تقول في دينار ؟ " قلت: لا يطيقونه. قال: " كم " ؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: " إنك لزهيد ". فلما رأوا

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠١
[2] التفسير المنير للزحيلي ج١٢٨\صـ٤٤
[3] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٤

ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا. أما الفقير فلعسرته، وأما الغني فلشحه[1]. وقيل: كان ذلك عشر ليال ثم نسخ. وقيل: ما كان إلا ساعة من نهار. وعن عليﷺ: إن في كتاب لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم[2].

قال ابن عباس: هي منسوخة بالآية اتي بعدها وقيل: هي منسوخة بالزكاة[3].

ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآية لم يعمل بها أحدا غير علي رضي الله عنه لما روي عنه، والله أعلم.

أخرج الحاكم وصححه، وابن المنذر، وعبد بن حميد، وغيرهم رضي الله عنه أنه قال: إن في كتاب الله تعالى لأية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها بعدي، آية النجوى "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً " كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت "ءَأَشْفَقْتُمْ" الآية[4].

فكان عمله ﷺ بهذه الآية مزية من مزاياه العظام الكثيرة، إذ خص بها وحده وعلى ذلك أجمعت كتب التفسير وهو المشهور كما ذكره الإمام الألوسي [5].

وظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لأن الأمر للوجوب، ويتأكد ذلك بقوله في آخر الآية "فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " فإن ذلك لا

---

[1] أخرجه الترمذي (٣٣٠٠)و ابن حبان (٦٩٤١) و أبو يعلى (٤٠٠)و البزار من رواية علقمة الأنماري به و أتم منه .و قال بعد قوله :"إنك لزهيد ":"فنزلت أأشفقتم الآية ،قال :متى خفف الله عن هذه الأمة "قال الترمذي :حسن غريب :إنما نعرفه من هذا الوجه .و قال البزار :لا يحفظ عن علي إلا بهذا الإسناد .و أما أوله و أخره فأخرجه الطبري (٣٣٧٩٥) و ابن مردويه من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية قال :إن المسلمين ...سبق ذكر الحديث .

[2] أخرجه الحاكم (٢\٤٨١-٤٨٢) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن علي به و أتم منه .و أخرجه ابن أبي شيبة من رواية ليث بن أبي سليم عن علي بلفظ المصنف .

[3] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٢

[4] أخرجه الحاكم في المستدرك (٢\٥٢٤) حديث رقم ٣٧٩٤ و ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٣١٦) حديث رقم ٣٢١٢٥ من طريق مجاهد عن علي ...به،و قال الحاكم :هدا حديث صحصح عاى شرط الشيخين و لم يخرجاه .

[5] ينظر في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ، نقل بتصرف ج١٤\صـ٣٠٢.

يقال إلا فيما بفقده يزول بوجوبه، ومنهم من قال إن ذلك ما كان واجبا، بل كان مندوبا واحتج عليه بوجهين:

الأول: أنه تعالى قال "ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ " وهذا إنما يستعمل في التطوع لا في الفرض. والثاني: أنه لا يلزم من كون الآيتين متصلتين في التلاوة، كونهما متصلتين في النزول، وإن كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ، ثم اختلفوا في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ، فقال الكلبي: ما بقي ذلك التكليف إلا ساعة من نهار ثم نسخ، وقال مقاتل بن حيان: بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ[1].

ذكر الإمام النيسابوري في تفسيره: قال بعضهم: هذه الصدقة مندوبة لقوله: "ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ" ولأنه أزيل العمل به بكلام متصل وهو قوله "ءَأَشۡفَقۡتُمۡ" والأكثرون على أنها كانت واجبة لظاهر الأمر، والواجب قد يوصف بكونه خيرا ولا يلزم من اتصال الآيتين في القراءة اتصالهما في النزول[2].

وعن قتادة أنه ساعة من نهار، ولم يحدد مقدار تلك الصدقة لينفق كل ذي سعة من سعته، فكلا بما تجود به نفسه وتستطيعه يداه.

وعن ابن عباس: أن صدقة المناجاة شرعت قبل الزكاة ونسخت بوجوب الزكاة، وظاهر قوله في الآية التي بعدها "فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ " إن الزكاة حينئذ شرع مفرد معلوم، ولعل ما نقل عن ابن عباس إن صح عنه أراد أنها نسخت بالاكتفاء بالزكاة[3].

فالحكمة ظاهرة من هذه الصدقة وجلية فحكمة الصدقة عموما لا تخفى على لبيب، أما صدقة مناجاته فكانت لحاجتها في ذلك الوقت إذ كانت المدينة مليئة بالفقراء وأهل الصفة والمهاجرين كثر وكان حرص المسلمون على سؤال النبي ﷺ شديد

---

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٦
[2] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٧٥
[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٣٩

لاهتمامهم بأمور دينهم وتعلم كل ما يفيدهم، فكانت الصدقة نفعا يومي لهؤلاء الفقراء والمحتاجين.

"ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ "

"ذَٰلِكَ" أي هذه الصدقة التي أمرتم بها.

"خَيۡرٞ لَّكُمۡ " (أي لأنفسكم لما فيه من مضاعفة الأجر والثواب والقيام بحق الإخاء، بالعود على ذوي بالمسكنة بالمواساة والإغناء. "وَأَطۡهَرُۚ " أي لأنفسكم من رذيلة البخل والشح ومن حب المال ولإيثاره الذي قد يكون من شعار المنافقين وكان الأمر بالتصدق المذكور، نزل لتمييز المؤمن من المنافق، فإن المؤمن تسخو نفسه بالإنفاق كيفما كان، والثاني يغص به ولو في أضر الأوقات)[1]. وذكر ابن عاشور: (وأما "وَأَطۡهَرُۚ " فهو اسم تفضيل لا محالة، أي أطهر لكم بمعنى: أشد طهرا، والطهر هنا معنوي، وهو طهر النفس وزكاؤها لأن المتصدق تتوجه إليه أنوار ربانية من ﷻ فتكون نفسه زكية كم قال تعالى: "تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا" [التوبة:١٠٣] ومنه سميت الصدقة زكاة)[2]. وقال الإمام السيوطي: "أَطۡهَر" لذنبوكم [3]. فهي طهر للنفس والمال.

فهذه الآية كما هي السابقة من الآيات في هذه السورة في آيات لتهذيب نفس المؤمنين وتأديبهم والتوسعة بين المؤمنين بعضهم البعض في مجالسهم وحديثهم وصدقتهم كذلك وقبل ذلك كله التوسعة في قلوبهم على بعضهم البعض.

[1] محاسن التأويل للقاسمي ج١٩\صـ٦٥
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤١
[3] تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي صـ٥٤٤

فالآيات جميعها تنمي روح الجماعة والعمل كفريق واحد بل كجسد واحد، في نفس المؤمنين بل تحثهم وتأمرهم بذلك وهي حريصة لجعل مجتمعها جسد واحد يشعر ببعضه البعض ويحنو على بعضه، يعامل الفرد فيها الجماعة على أنها ذاته، وهي كذلك تبادله ذات المشاعر والمعاملة.

إن هذا التكليف كان له من الفائدة إعظام الرسول ﷺ وإعظام مناجاته فإن الإنسان إذا وجده الشيء مع المشقة استعظمه، وإن وجده بالسهولة استحقره[1].

وهذه لطيفة رائعة من لطائف الرازي التفت إليها هو الإمام الألوسي وهي إعظام حق رسول الله ﷺ . وإعطائه حقه في كل زمان ومكان، إذ المؤمنون في ذلك الوقت حديثو عهد بالإسلام وكان لابد لهم من دروس في توفير وإجلال نبيهم ﷺ ، وغيرهم من المنافقين الذين كانوا يجب أن يعلموا قدر ومكانة نبي الأمة ﷺ ، عند ربه سبحانه وتعالى، ومن ثم عند المؤمنين.

"فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"

روي عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً " قال لي النبي ﷺ : "دينار"، قلت: لا يطيقونه. قال: "نصف دينار " قلت: لا يطيقونه. قال: " فكم" قلت: شعيرة. قال: "إنك لزهيد" فنزلت "ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ" قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة[2]. وذكر القرطبي: ومعنى قوله : شعيرة. يريد وزن شعيرة من ذهب[3].

(وعرف الله أن أهل الباطل لا يقدمون بين يدي نجواهم صدقة، فانتهى أهل الباطل عن النجوى، وشق ذلك على أصحاب الحوائج والمؤمنين، فشكو ذلك إلى

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٥ ،و يرجع لتفسير الألوسي أيضا ج١٤\صـ٣٠١-٣٠٢

[2] أخرجه الترمذي ٣٣٠٠ بهذا اللفظ و الطبري ٣٣٧٩٦ من حديث علي ،و قال الترمذي :حسن غريب انتهى .و مداره على علي بن علقمة الأنماري قال البخاري :في حديثه نظر .فالخبر غير قوي .

[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٦

رسول الله ﷺ ، وقالوا: لا نطيقه فخفف الله ذلك عنهم ونسختها آية " فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ")[1].

(أي فإن لم تجدوا ما تتصدقون به قبل النجوى غفر الله لكم المغفرة التي كانت تحصل لكم لو تصدقتم لأن من نوى أن يفعل الخير لو قدر عليه كان له أجر على نيته واتفق العلماء على أن حكم هذه الآية منسوخ)[2].

وهذا من كمال رحمته على عباده المؤمنين إذ هو العالم بحالهم إذ كان الفقراء كثر لا يستطيعون دفع تلك الصدقة وكان هذا الحكم حزنا لهم، وأيضا كان تصفية لنفوس المؤمنين من الشح وحب المال، وإذ يأخذ الفقير الثواب والأجر على نيته إن أراد دفعها، وردع للغني الذي امتنع عن الدفع لتلك الصدقة لشح في نفسه وعدم بذل العطاء في سبيل الله ومرضاته.

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ "

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ " (عتاب لطيف رقيق من المولى عز وجل إلى عباده المؤمنين، يخبرهم بعلمه الواسع واطلاعه على قلوبهم التي خشيت الإنفاق وشق عليها ذلك وثقل. فبعد أن شق الأمر عليهم وعلم الله منهم وكان الأمر قد أدى غايته، وأشعرهم بقيمة الخلوة التي يطلبونها. فخفف عنهم ونزلت هذه الآية برفع هذا التكليف، وتوجيههم إلى العبادات والطاعات المصلحة للقلوب)[3].

---

[1] أحكام القرآن لابن العربي ج٤\صـ١٤٨

[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٤١

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٢

لما دل ختم الآية على التخفيف، وكان قد يدعي مدعون عدم الوجدان كذبا فيحصل لهم حرج، وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الأمة، دالا على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه فقال موبخا لمن يشح على المال نادبا إلى الخروج عنه من غير إيجاب: "ءَأَشْفَقْتُمْ "[1].

وفيها من علم الله وإحاطته بما يدور في خلجات نفوس عباده.

(قال المفسرون: على أن هذه الآية ناسخة للتي قبلها فقط وجوب تقديم الصدقة لمن يريد مناجاة الرسول ﷺ وروي ذلك عن ابن عباس واستبعده ابن عطية. والاستفهام مستعمل في اللوم على تجهم تلك الصدقة مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء)[2].

قال ابن عباس: "ءَأَشْفَقْتُمْ" أي بخلتم بالصدقة والإشفاق الخوف من المكروه.

(وحاصل قول أبي مسلم أن ذلك التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة، فوجب انتهاؤه عند الانتهاء إلى الغاية المخصوصة، فلا يكون هذا نسخا، وهذا الكلام حسن ما به بأس، والمشهور عند الجمهور أنه منسوخ بقوله "ءَأَشْفَقْتُمْ" ومنهم من قال: إنه منسوخ بوجوب الزكاة. انتهى) [3].

قال ابن عطية: الإشفاق: الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به أو من ذهاب المال في الصدقة وله وجوه كثيرة يقال فيها الإشفاق[4].

أي أيها المؤمنون هل خفتم العيلة والفقر إذا امتثلتم للأمر وقدمتم النجوى قبل نجواكم لرسول الله ﷺ ، أليس الذي أمركم وشرع لكم تلك الصدقة هو أعلم بحالكم من أنفسكم وهو علام الغيوب.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٠ .
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٢
[3] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٧
[4] المحرر الوجيز لابن عطية ج١٥\صـ٢٨٠

"فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ " ما أمرتم به وشق عليكم. "وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ" أي خفف عنكم وأزال عنكم المؤاخذة بترك الصدقة على المناجاة كما أزال المؤاخذة بالذنب عن التائب عنه، قاله النسفي[1]. رفع الحكم ونسخ لأن المؤمنين وعوا الحكمة من تشريع الصدقة فكفوا المناجاة التي تثقل على رسول الله ﷺ .

قال المفسرون على أن هذه الآية ناسخة للتي قبلها فسقط وجوب تقديم الصدقة لمن يريد مناجاة الرسول ﷺ وروي ذلك عن ابن عباس واستبعده ابن عطية[2].

قال الزحيلي: وليس في الآية إشارة إلى وقوع تقصير من الصحابة في تقديم الصدقة، فقد يكون عدم الفعل، لأنهم لم يناجوا، ولا يدل أيضا قول: "وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ " على أنهم قصروا، لأن المعنى أنه قد تاب عليهم برفع التكاليف عنهم تخفيفا، ومثل هذا لا يجوز أن يعبر عنه بالتوبة، لأن حزب الله الذي يطيعه فيما أمر ويطبق شرائعه ولا يخالف حدوده[3]. قال ابن عباس: نسخت بالآية التي بعدها آية "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ. .." نسخت بقوله تعالى: "ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ".

وهذا من عظيم رحمته تعالى بعباده المؤمنين إذا رفع عنهم هذا الحرج قال تعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ " [الحج:٧٨]. رفع التكاليف والمشقة عن عباده المؤمنين. قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: "ۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ " أي نسخ الله ذلك الحكم. وهذا الخطاب لمن وجده ما يتصدق به "فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ " فنسخت فرضية الزكاة هذه الصدقة، وهذا يدل على جواز

---

[1] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٤\صـ٣٤٦

[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٤٢ .

[3] التفسير المنير للزحيلي ج١٢٨\صـ٤٨

النسخ قبل الفعل، وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف، لأن الله تعالى قال: "فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ " وهذا يدل على أن أحدا لم يتصدق بشيء[1]. انتهى.

ولكن هذا الرأي اختص به الإمام القرطبي وحده. ولم يقول به غيره من أئمة التفسير. وهو مخالف لما ذكر آنفا من أن الإمام علي وحده من عمل بهذه الآية.

والظاهر أن النسخ إنما وقع بعد الصدقة، فقد تصدق علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما تقدم، ولم يوجد مقتضى للمناجاة لدى بقية الصحابة الذين تريثوا وفهموا علة التكليف[2]. قاله الزحيلي.

"فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ "

هذا أمر من الله تعالى بعد العفو عن صدقة المناجاة لعلو همة المؤمنين في إقامة شرائع هذا الدين الحنيف، إذ لا ينبغي أن يتبادر إلى أذهان المسلمين أن العفو في كل أمرا استصعبوه وثقل على نفوسهم. فإقامة الصلاة ودفع الزكاة من أركان الإسلام الأولى المفروضة عليهم فرضا واجبا مؤكدا.

"ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ " مستعمل في العتاب على تجاهلهم تلك الصدقة مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء والمعنى إذا وقع منك التثاقل عن امتثال الامر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فيما تؤمرون به وتنهون عنه[3].

"فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ " أي إذا أفرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة "وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ" في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك التفريط[4].

---

[1] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٧
[2] التفسير المنير للزحيلي ج٢٨\صـ٤٨
[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٢٨\صـ٤٧
[4] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢١٩

علم الله تعالى ضيق صدر كثير منهم عن إعطاء الصدقة في المستقبل، مع كثرة المسائل، لدوام الوجوب، فخفف الله عنهم، وأمر بمتابعة إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله تعالى في فرائضه، ورسوله ﷺ في سننه، والله محيط بأعمال عباده ونياتهم[1].

فإنها دعوة منه سبحانه وتعالى وأمر في عدم التساهل في العبادات المفروضة والتي خص بالذكر منها إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة وسائر الشعائر. والحرص عليها وخصت بالذكر أولا لعظم شأنها الذي لا يخفى على مؤمن يعرف حقوق ربه وواجبات دينه.

"فَأَقِيمُوا" بسبب العفو عنكم شكرا على هذا الكرم والحكم "ٱلصَّلَوٰةَ" التي هي طهرة لأرواحكم ووصلة لكم بربكم "وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ " التي هي نزاهة لأبدانكم وتطهير ونماء لأموالكم وصلة بإخوانكم وتعين على نوائب الدارين، والصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة. ولما خص أشرف العبادات البدنية وأعلى المناسك المالية، عم فقال حاثا على زيادة النور والبرهان الذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن أعظم إقبال وإنفاق فقال: "وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ " أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إبداعه لكم على ما أنتم عليه أحد، "وَرَسُولَهُۥ" الذي عظمته من عظمته في سائر ما يأمر به فإنه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم ﷺ إلا بالحنيفية السمحة، وجعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به ، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على النجوى[2].

"وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ " هذا أمر عام بعد تخصيص الصلاة والزكاة، يشمل كل ما أمر به الله تعالى ونهى عنه وذلك في كتابه الكريم من أوامر ونواهي.

---

[1] التفسير المنير للزحيلي ج١٢\صـ٤٩

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٠

"وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ"

فهو العالم بحال عباده وهي الحقيقة التي من أول السورة وهي حقيقة علمه عز وجل المطلق والتام، فهو خبير بما يعمل عباده لأنه العالم بكل خلقه ظاهرا وباطنا.

وعن أبي عمرو "يعملون" بالتحتية[1]. أي بالياء.

فهو الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلما محيطا بأعمالكم ونياتكم. فهو وعد ووعيد.

(وفي هاتين الآيتين والروايات التي ذكرت أسباب نزولها نجد لونا من ألوان الجهود التربوية لإعداد هذه الجماعة المسلمة في الصغير والكبير من شؤون الشعور والسلوك)[2].

فالآيات منذ بداية السورة تدور حول روح الجماعة والعمل والجماعي وتخلص النفس المؤمنة من العمل الفردي والأنانية المطلقة وتهذب النفس بالتفكير بالآخرين وترتقي بها إلى السمو، وعدم العمل على المصلحة الذاتية فقط بل العمل بروح الجسد الواحد والفريق المتكامل الذي لا ينفك جزء منه عن كله.

"أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤"

و لما أخبر بإحاطة علمه ردعا لمن يفتر بطول حلمه، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين قال الإمام برهان الدين البقاعي: الذي هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق ﷺ تنبيها على أنه لا

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤ص٣٠٣
[2] في ظلال القريب لسيد قطب ج١٦ص٣٥١٣

يفهم ذلك حق فهمه غيره: "أَلَمۡ تَرَ" ودل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال: " إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ"[1].

(بدأت أول السورة بالكلام عن عقوبة الذين يحادون الله ورسوله، ثم أكد على موضوع علم الله بكل شيء، ومن ذلك حديث الناس، ثم كان الحديث عن مناجاة، وأدب خطاب رسول الله ﷺ ، ثم يأتي الكلام عن تولي الكافرين الذي هو قطع لما أمر الله به أن يوصل من موالاة أهل الإيمان، وبهذا تكون الآيات قد تحدثت عن أهم مظهرين من مظاهر محادة الله ورسوله، التناجي الظالم، والموالاة للكافرين)[2].

ولا تزال السورة في شمولها لعلم الله المطلق بالوجود وإحاطته بخلقه إذ هو الأعلم بحال المنافقين وخباياهم حيث يعرض حالهم ويفضح أمرهم ويكشف سرهم.

وينبه المسلمين ويهذب نفوسهم بأن لا يحذوا حذو هذه الفرقة الضالة.

(الجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا لأنها عود إلى الغرض الذي سيقت فيه آيات "إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ" بعد أن فصل بسمتطردات كثيرة بعده)[3].

والاستفهام للتعجب من حال هؤلاء المنافقين الذي والوا واجتمعوا مع اليهود بدون رابط بينهما سوى الكره والعداء للإسلام والمسلمين ولرسول الله ﷺ .

وها هي الآيات تفضح أولئك المنافقين وتهتك استارهم للمؤمنين وتبين خيانتهم، إذ في تلك الأيام التي نزلت فيها الآيات الكريمة كان النفاق في المدينة بالغا أشده، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحزبين ضد الإسلام والمسلمين وذلك قبل إجلائهم من المدينة ففي هذه الآية ليحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معا ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنين فيقول تعالى:

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠١

[2] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٩٢

[3] اللتحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٣

"أَلَمۡ تَرَ " أي تنظر يا رسولنا إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود تولاهم المنافقون ولاية نصرة وتحزب ضد الرسول والمؤمنين [1]. وما حملهم على ذلك إلا اشتراك الفريقين في عداوة الإسلام والمسلمين [2].

واجتماعهم مع بعضهم البعض كان اجتماع فساد وضلال ترأسهم الشيطان وضل أعمالهم وجمعهم على الشر والفتنة يسيرهم كيفما شاء ولما شاء وهم بذلك لا يعقلون ولا يفقهون. قال تعالى: "قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا " [الإسراء:٦٣] .

فهم في جملة من هو أذل خلق الله، لأن ذل أحد الخصمين على حسب عز الخصم الآخر، فلما كانت عزة الله غير متناهية، كانت مذلة من ينازعه فير متناهية أيضا. وقال النسفي: (هم في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم)[3].

قال قتادة: هم المنافقون تولوا اليهود. وقال السدي ومقاتل: وهم اليهود تولوا

المنافقين، ويدل على الأول قوله: "غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ " فإن المغضوب عليهم هم اليهود، ويدل على الثاني قوله: "مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ " فإن هذه صفة المنافقين كما قال الله فيهم: "مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ " [النساء:١٤٣][4]. ودل على القول الأول قوله تعالى في فاتحة الكتاب "غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ " [الفاتحة:٧] وذكر المفسرون بأن المغضوب عليهم هم اليهود. وفي الحديث "مثل المنافق مثل الشاة العثرة بين غنيمين – أي

[1] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥\صـ٢٩٦
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٣
[3] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٣٤٨
[4] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٨

المترددة بين قطيعين- لا تدري إيهما تتبع"[1].

"وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ"

أي يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الإخبار إلى اليهود، والجملة عطف على تولوا داخلة في حكم التعجيب من فعلهم[2].

و كلا الأمرين من أكاذيبهم المفتراة فإذا حلفوا على أنهم مسلمون فهم كاذبون بشهادة الله تعالى "مَّا هُم مِّنكُمْ" وإذا حلفوا أنهم ما نقلوا أخبار المسلمين لليهود فهم كاذبون بدليل حديث رسول الله ﷺ عن ابن عباس. كأن كثرة إيراد حلف المنافقين في القرآن مقصودها صرف المؤمن عن تصديق الكلام إلى تأمل الأفعال.

"يَحْلِفُون" مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح، واستدل به على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر بمطابقته للواقع وما لا يعلم مطابقته له، وبحيث فيه بأنه يجوز الكذب أن يراد بالكذب ما خالف اعتقادهم – حيث أن الله تعالى يعلم ما في نفوسهم وتضمره قلوبهم – والكذب الذي حلفوا عليه ودعواهم الإسلام حقيقة، وقيل إنهم ما شتموا النبي ﷺ بناء على ما روي " أن كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين، قال: إنكم سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان فإذا جاءكم فلا تكلموه، فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه (٤\٢١٤٦\١٧\٢٧٨٤) و أحمد في مسنده (٢\٤٧) حديث ٥٠٧٩ و القضاعي في مسند الشهاب (٢\٢٨٦) حديث ١٣٧٤ جميعا من طريق عبيد الله نافع عن ابن عمر ...به ،و ايضا القضاعي في مسند الشهاب (٢\٢٨٥) حيث رقم ١٣٧٢ من طريق سلم بن قتيبة عن إبراهيم بن الحارث بن حاطب عن نافع عن ابن عمر ..به ،و النسائي في سننه (٨\١٢٤) حديث رقم ٥٠٣٧ من طريق يعقوب عن موسى بن عقبة عن نافع ابن ..به ،جميعا عبيد الله ،إبراهيم بن الحارث ،موسى بن عقبة ،عن نافع عن ابن عمر ..به .

[2] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٨

فقال ﷺ حين رآه: علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فقال: ذرني آتك بهم، فانطلق فدعاهم فحلفوا" فنزلت[1].

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وابن مردويه، والحاكم وصححه عن ابن عباس إلا أن آخره فأنزل الله "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ " الآية. قال الألوسي: ولعله يؤيد ايضا اعتبار كون الكذب دعواهم أنهم ما شتموا، وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف[2].

وقال ابن عاشور: الكذب الخبر المخالف للواقع وهي الإخبار التي يخبرون بها عن أنفسهم في نفي ما يصدر منهم في جانب المسلمين[3].

و كان المنافقون يحلفون على الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبين فيما حلفوا وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم – عياذا بالله منه - فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، إذا جاءوا الرسول ﷺ حلفوا له بالله إنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقا، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك[4].

قال الإمام الزمخشري: فإن قلت: فما فائدة قوله: "وَهُمْ يَعْلَمُونَ " ؟ قلت: الكذب: أن يكون الخبر على وفاق المخبر عنه، أو لم فالمعنى: أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه، وهم عالمون بذلك متعمدون له، كمن يحلف بالغموس[5].

---

[1] إسناده صحيح :أخرجه أحمد في مسنده(٣٥٠١١) حديث رقم ٣٢٧٧و الحاكم في المستدرك (٥٢٤١٢)حديث ٣٧٩٥و الضياء في المختارة (١٨١١١٠)حديث١٨٢ جميعا من طريق سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس و قال الحاكم :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ،و قال الهيثمي في المجمع(١٢٢١٧) و قال :رواه أحمد و البزار و رجال الجمع رجال الصحيح .

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٤-٣٠٥

[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٤

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤\صـ٢٩٥

[5] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٢

"أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥"

بعد أن عاد السياق إلى المنافقين الذين يتولون اليهود، يصور بعض أحوالهم ومواقفهم، ويتوعدهم بافتضاح أمرهم، وسوء مصيرهم، وانتصار الدعوة الإسلامية وأصحابهم على الرغم من كل تدابيرهم[1].

قول الإمام البقاعي: فلما أخبر عن حالهم، أتبعه الإخبار عن مآلهم فقال: دالا على أن من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه، فمن تولى مغضوبا من قبل الله استوجب غضب الله وكفى بذلك هوانا وحزنا وحرمانا[2].

و هذا الجزاء المخصص لهم، هو حساب على عملهم المخزي المشين وهو نفاقهم و– أيضا - كذلك موالاتهم لليهود ومعاداتهم للإسلام والمسلمين، فاستحقوا عليه هذا العذاب المتفاقم لأن ذنبهم كان عظيما ومتفاقما في الكفر وهو أسوء وأضر من الكفر ذاته، وقد بين الله عز وجل نوع عذابهم الشديد في محكم تنزيله: "إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا "[النساء:١٤٥]. "إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ "

تعليل لإ عداد العذاب الشديد لهم، أي أنهم عملوا فيما مضى أعمالا سيئة متطاولة متكررة كما يؤذن به المضارع من قوله "يَعۡمَلُونَ"[3].

(أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة، وهي موالاة الكافرين ونصحهم، ومعاداة المؤمنين وغشهم)[4].

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥١٣

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٢

[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٤٤

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤\٢٩٤

"مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "

(أي يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين ونصحهم للكافرين وعيبهم للإسلام وأهله، واجترائهم على الأيمان الكاذبة، وأصروا على ذلك حتى زادهم التمرن عليه جرأة على جميع المعاصي)[1].

و قيل هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة. قاله الزمخشري[2].

"ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦"

لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم ومداومتهم عليها، أكد ذلك بقوله "ٱتَّخَذُوٓاْ"[3].

(هذه الحملة القوية على المنافقين الذين يتولون قوما غضب الله عليهم –اليهود- تدل على أنهم كانوا يمنعون في الكيد للمسلمين، ويتآمرون مع ألد أعدائهم عليهم، كما تدل على أن سلطة الإسلام كانت قد عظمت، بحيث يخافها المنافقون، فيضطرون – عندما يواجههم رسول الله ﷺ والمؤمنون بما يكشفه الله من تدابيرهم ومؤامراتهم – إلى الحلف بالكذب لإنكار ما ينسب إليهم من مؤامرات وأقوال، وهم يعلمون أنهم كاذبون في هذه الأيمان. إنما يتقون بأيمانهم ما يتوقعونه من مؤخذاتهم بما ينكشف من دسائسهم: "ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ " أي وقاية. وبذلك يستمرون في دسائسهم للصد عن سبيل الله[4]. وقرأ الحسن "إيمانهم" بكسر الهمزة أي إيمانهم الذي أظهروه للنبي ﷺ وخلص المؤمنين)[5].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٢

[2] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٣

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٢ .

[4] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٣

[5] روح المعني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٥

والآية جملة مستأنفة استئنافا بيانيا عن جملة "وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" لأن ذلك يثير سؤال سائل أن يقول: ما ألجأهم إلى الحلف على الكذب، فأجيب أن ذلك لقضاء مآربهم وزيادة مكرهم. ويجوز أن تجعل الجملة خبرا ثانيا لأن في قوله: "إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ " وتكون داخلة في التعليل. وهذا الجزاء على صدهم الناس عن سبيل الله وهذا معنى شديد العذاب لأجل عظيم الجرم، كقوله تعالى: "ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ" [النحل:٨٨][1].

(وقرأ الجمهور "أَيْمَـٰنَهُمْ" بفتح الهمزة جمع الأيمان بفتح الهمزة جمع يمين، وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم، من المسلمين توقيا من القتل، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمائهم كما يجعل المقاتل الجنة وقاية له من أن يصاب بسيف أو رمح أو سهم)[2].

"جُنَّة": جن أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال: جن الليل وأجنه وجن عليه فجنه ستره وأجنه جعل له ما يجنه كقولك قبرته وأقبرته وسقيته وأسقيته. وجن عليه وكذا ستر عليه قال عز وجل: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا " [الانعام:٧٦] والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والمجنة الترس الذي يجن صاحبه قال عز وجل: "ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً"[المنافقون:٢][3].

فسواء كانت أيمانهم التي كانوا يحلفون بها أو إيمانهم الذي ادعوه ونافقوا به، فهو مخالف لما في قلوبهم، وكان هذا أو ذاك فإنه لحمايتهم وحماية دمائهم وأموالهم

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٤-٤٥
[2] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٨
[3] مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهاني ،كتاب النون صـ٢٥٥

من القتل والقصاص، ولذلك استحقوا هذا العذاب المتفاقم المخزي المذل لهم يذهب بعزهم وكبرهم جراء عملهم المخزي – والعياذ بالله -.

"فَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ " (وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل: الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة)[1]. بذلهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة[2].

"لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧ "

لما كان لهم أموال وأولاد يعتزون بها، قال مستأنفا دالا على أن من استتر بجنة دون لتسلم دنياه وراءه تكشف لسهام التقدير من حيث لا يشعر، ثم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم[3].

وهو مناسب لقوله "ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ " فكما لم تقهم أيمانهم العذاب لم تغن عنهم أموالهم ولا أنصارهم شيئا يوم القيامة.

و عن مقاتل: أنهم قالوا: إن محمدا يزعم أن ينتصر يوم القيامة لقد شقينا إذن فوالله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة فنزلت هذه الآية[4]. هؤلاء هم المنافقون - والعياذ بالله - الذين غرتهم الدنيا والمال، وظلوا عاكفين على عهد الكفر والنفاق فهم مصرين على عملهم الخبيث لذلك مستحقون في كل آية هذا التنكيل والخزي والوعيد بأشد صنوف العذاب. قال ابن كثير: لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم[5].

فعزهم وكبرهم الذي استبدوا ومارسوا طغيانهم به في الدنيا وغرورهم سيكون وبالا عليهم يوم القيامة، لا يرد بأس ذلك اليوم ولا يدفعه، بل سيكون حسرة عليهم

[1] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج٦\صـ٢٢٠
[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٩
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٥٠٣ .
[4] ذكره القرطبي في الجامع لاحكام القرآن ج١٩\صـ٢٥٨
[5] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٥

ووبالا مقيمون في دار العذاب أذلاء مخذولين ليسو بخارجين من النار مقيمون بها أبد الآبدين. فهم أصحاب النار، أي حق عليهم أنهم أصحاب النار. وصاحب الشيء ملازمه فلا يفارقه إذ قد تقرر من قوله: "أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا ". ومن قوله: "فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ" أنهم لا محيص لهم عن النار[1].

"يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٨"

لما كان إفسادهم لذات البين سرا، وحلفهم على نفي ذلك جهرا مع الإلزام بقبول ما ظهر منهم في دار العمل يأمر الجزاء، قال نافيا لذلك معزيا للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد كشف الغطاء وتحقيق الأمور، لأن الإنسان يبعث على مات عليه، لأن ذلك جبلته التي لا ينفك عنها، ولا ينفعهم ذلك، ذاكرا ظرف الخلود وإظهار التعذيب[2].

يصور مشهدهم يوم القيامة في وضع مزر مهين، وهم يحلفون لله كما كانوا يحلفون للناس: "يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ". .. مما يشير إلى النفاق قد تأصل في كيانهم، حق ليصاحبهم إلى يوم القيامة. وفي حضرة الله ذي الجلال الذي يعلم خفايا القلوب وذوات الصدور "وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ". .. وهم لا يستندون إلى شيء. أي ويدمغهم بالكذب الأصيل الثابت:

"أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ "[3].

(ثم أخبر عن حالهم العجيبة الشأن وهو أنهم يحلفون يوم المحشر لعلام الغيوب كما يحلفون لكم في الدنيا وأنتم بشر يخفى عليكم السرائر)[1].

---

[1] انظر التحرير و التنوير لابن عاشور نقل بتصرف ،ج١٢\صـ٤٥-٤٦.
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٣ .
[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٣

فيبين الله حال هؤلاء المنافقين يوم يبعثهم الله يوم القيامة بأنه لا يختلف عن حالهم في الدنيا من الحلف الكاذب[٢]. لأن الإنسان طبعه الذي كان به وهو شاب يظهر في آخر عمره – في شيبه -، وكذلك يظهر يوم القيامة، لأنه طبع على قلبه وتملكه.

يوم القيامة هو يوم الحساب فهم من قالوا "لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ " فهذا يوم جزاؤهم وحسابهم كلهم جميعا لم يغادر منهم أحدا. هذا متصل بقوله: "وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ " إلى قوله: "ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً " وحلفهم لله في الآخرة إشارة إلى ما حكاه الله عنهم في قوله: "ثُم لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ " [الانعام:٢٣].

(وهذا يقتضي توغلهم في النفاق ومرونتهم عليه وأنه باق في أرواحهم بعد بعثهم لأن نفوسهم خرجت من عالم الدنيا متخلقة به، فإن النفوس إنما تكتب تزكية أو خبثا في عالم التكليف وحكمة إيجاد النفوس في الدنيا هي تزكيتها وتصفية أكدارها لتخلص إلى عالم الخلود والطهارة، فإن هي سلكت مسلك التزكية تخلصت إلى عالم الخلود زكية يزيدها الله زكاء وارتياضا يوم البعث وإن انغمست مدة الحياة في حمأة النقائص وصلصال الرذائل جاءت يوم القيامة على ما كانت عليه تشويها لحالها لتكون مهزلة لأمر المحشر)[٣].

وفي حديث جابر بن عبد الله بن مسلم أن النبي ﷺ قال: " يبعث كل عبد على ما مات عليه[٤] ". قال عياض في الكمال: هو عام في كل حالة مات عليها المرء. قال: السيوطي: يبعث الزمار بمزماره . وشارب الخمر بقدحه. قلت ثم تتجلى لهم الحقائق على ما هي عليه إذا تصير العلوم على الحقيقة. فالمراد أن كذبهم عليكم لا

---

[١] غرائب القرآن و رغائب الفرقان ج٦\صـ٢٧٧
[٢] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٩
[٣] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٥
[٤] صحيح مسلم - الرقم: ٢٨٧٨

يماثله كذب، حتى قصرت صفة الكاذب عليهم بضمير الفصل في قوله: "إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ" وهو قصر ادعائي للمبالغة لعدم الاعتداد بكذب غيرهم[1].

فيحلفون على الكذب كما كانوا يحلفون للمؤمنين في الدنيا، فتجاسروا على الكذب بين يدي علم الغيوب، وظنوا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب بين يدي الله عز وجل كما كانت تروجه عند المؤمنين[2].

قال ابن عباس: إن المنافق ليحلف لله يوم القيامة كذبا كما يحلف لأوليائه في الدنيا كذبا. أما الأول: كقوله: "وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ" [الأنعام:٢٣] وأما الثاني: فهو كقوله: "وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ" [التوبة:٥٦] والمعنى أنهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيامة أنه يمكنهم ترويج كذبهم بالأيمان الكاذبة على علام الغيوب، فكان هذا الحلف الذميم يبقى معهم أبدا، وإليه الإشارة بقوله: "وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ "[الأنعام:٢٨][3].

"فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ" (أي يحلفون لله يوم القيامة على الكذب كما يحلفون لكم في الدنيا، وهذا من شدة شقاوتهم ومزيد الطبع على قلوبهم، فإن يوم القيامة قد انكشفت الحقائق وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، فكيف يجرؤن على أن يكذبوا في ذلك الموقف ويحلفون على الكذب)[4].

"كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ" (في الدنيا أنهم مسلمون مثلكم، والتشبيه بمجرد الحلف لهم في الدنيا)[5].

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٧-٤٨

[2] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٤٩

[3] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٣٩

[4] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٩

[5] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٦

"لَكُمۡۖ" (لكونكم لا تعلمون الغيب مع توقعهم أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مرارا، وحلفهم ناشئ عن اعتقاد بعدهم من القبول فإنه لا يحلف ذلك إلا من يظن أنك تكذبه.

ولما أفهم ذلك أن أمورهم لا حقائق لها إلا في أخبارهم ولا في إيمانهم ولا في حسبانهم، "أَلَآ إِنَّهُمۡ " أي خاصة "هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ " أي المحكوم بكذبهم في حسبانهم وفي أخبارهم في الدارين لعراقتهم في وصف الكذب حيث لا يستحون من الكذب عند الله)[1].

(فهم كاملون في الكذب المتهالكون عليه البالغون فيه إلى حد لم يبلغ غيرهم إليه بإقدامهم عليه والأيمان الفاجرة في موقف القيامة بين يدي الرحمن)[2].

"ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩"

ولما كان هذا الانهماك فيما لا يغني مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرة الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا: " ٱسۡتَحۡوَذَ"[3].

(ثم يكشف علة حالهم هذه فقد استولى عليهم الشيطان كلية "فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ" والقلب الذي ينسى ذكر الله يفسد ويتمحض للشر: "أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ " الخالص للشيطان الذي يقف تحت لوائه، ويعمل باسمه، وينفذ غايته. وهو الشر الخالص الذي ينتهي إلى الخسران الخالص. وهي حملة شديدة تناسب الشر والأذى

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٤
[2] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٣٩
[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٤ .

والفتنة التي يدبرونها للمسلمين مع أعدائهم الماكرين. وتطمئن قلوب المسلمين. والله سبحانه وتعالى يتولى عنهم الحملة على أعدائهم المستورين)[1].

(استولى "عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ " بطاعتهم له)[2].

هذا استمرار لوصف عذابهم الذي استحقوه، وصف أعمالهم الشنيعة وهذا هو السبب لأعمالهم تسير الشيطان وسيطرته عليهم، فهو المحرض لهم.

والاستحواذ: الاستيلاء والغلب، وهو استفعال من حاذ حوذا، إذا حاط شيئا وصرفه كيف يريد. يقال: حاذ البعير إذ جمعها وساقها غالبا لها. فاشتقوا منه استفعل للذي يستولي بتدبير ومعالجة، ولذلك لا يقال: استحوذ إلا في استيلاء العاقل لأنه يتطلب وسائل استيلاء. ومثله. والسين والتاء للمبالغة في الغلب مثلها في: استجاب. والأحوذي: القاهر للأمور الصعبة. وقالت عائشة: "كان عمر أحوذيا نسيج وحده"[3].

قال الشاه الكرماني[4]: علامة استحواذ الشيطان على العبد أن يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والمشارب والملابس، ويشغل قلبه عن التفكر في آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها، ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان، ويشغل قلبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها [5].

أي ملكهم الشيطان لم يبق لهم معه اختيار فصاروا رعيته وأقطاعه، وصار هو محيطا بهم من كل جهة، غالبا عليهم ظاهرا وباطنا، من قولهم حذت الإبل أي استوليت عليها، وحاذ الحمار العنة – إذ جمعها وساقها غالبا لها، والحوذ: السوق

---

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٣

[2] تفسير الجلالين للمحلي و السيوطي صـ٥٤٤

[3] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٨

[4] الشاه الكرماني :هو عبد الرحمن بن محمد إميرويه ،أبو الفضل الكرماني ،فقيه حنفي انتهت إليه رئاسة المذهب بخرسان مولده بكرمان عام ٤٥٧هـ ،و وفاته بمرو عام ٥٤٣هـ (الاعلام ج٣\صـ٣٢٧).

[5] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٣٤٨

السريع، منه الأحوذي: الخفيف في المشي لحدقه، وجاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبن على حاذ كافتقر فإنه لا مجرد له [1].

(في معنى لم يمكنهم من ذكره عز وجل بما زين لهم من الشهوات فهم لا يذكرونه أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم)[2].

"فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِ " (أي أوامره في العمل بطاعته. وقيل: زواجره في النهي عن معصية. والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا "أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ " طائفته ورهطه)[3].

(والذكر يطلق على نطق اللسان باسم اللسان أو كلام ويطلق على التذكر بالعقل. وقد يخص هذا الثاني بضم الذال وهو هنا مستعمل في صريحه وكنايته، أي مستعمل في لازمه وهو العبادة والطاعة لأن المعنى أنه أنساهم توحيد الله بكلمة الشهادة والتوجه إليه بالعبادة. والذي لا يتذكر شيئا لا يتوجه إلى واجباته)[4]. وإنما عبر بالنسيان على مدى إهمالهم لهذا الذكر[5].

"حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِ" (أي أتباعه وجنده وجماعته وطائفته وأصحابه والمحدقون به والمتحيزون إليه لدفع ما حزبه أي نابه واشتد عليه، المبعدون المحترقون لأنهم تبعوه، ولم يخافوا في مجازيته وإنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص ومعايب، وهم مطبوعون على بغضه وتركوا له الكمال كله)[6].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٤ـ٥٠٥
[2] روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٦
[3] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٩
[4] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٩
[5] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٥٠
[6] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٥

(جملة "أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ " نتيجة وفذلكة لقول: "ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ " فإن الاستحواذ يقتضي أنه صيرهم من أتباعه. واسم الإشارة لزيادة تميزهم لئلا يتردد في أنهم حزب الشيطان)[1].

"أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ " (في بيعهم، لأنهم باعوا الجنة بجهنم، وباعوا الهدى بالضلالة)[2].

"أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ "

(أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم، وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق وإظهار المتضايقين معا في موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى)[3].

(أي الكاملون في الخسران حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران لأنهم باعوا الجنة والهدى بالضلالة وكذبوا على الله وعلى نبيه وحلفوا الإيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة)[4].

(يشير القرآن للمنافقين بـ"أُوْلَٰٓئِكَ" الذي للبعيد في قوله "حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ" للدلالة على بعدهم عن الله، وحزب الشيطان طائفته وأنصاره وجنده ورهطه فخسروا بناء على ذلك السعادة في الدارين)[5].

ولذا أكد القرآن خسارتهم ألا وإن التي للتنبيه وعمم القرآن خسارتهم دون تحديد للخسارة في جانب دون جانب لإفادة شمول خسارتهم وذلك قوله تعالى: " ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون".

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٤٩
[2] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٩
[3] روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٦
[4] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٣٩
[5] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٥٩

"إِنَّ ٱلَّذِينَ تُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ "

هذه الآيات في هذا المقطع عبارة عن استئناف لبيان علة خسارة حزب الشيطان، وذلك أنهم حادوا الله ورسوله فعادوه وخالفوا أمره فهم في ناحية والهدى في ناحية أخرى لأنهم في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة[1].

ولما بين ما أوصلهم إليه نسيان الذكر من الخسار، بين أنه أوقعهم في العداوة، فقال معللا الخسار والنسيان والتحزب، وأكد تكذيبا لحالفهم على نفي ذلك مظهرا موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقع للهلاك[2].

أخبر تعالى عباده المؤمنين مرشدا لهم إلى أقوم طريق وأكمل الأحوال فيقول: "إِنَّ ٱلَّذِينَ تُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ " أي يخالفونهما في أمرهما ونهيهما وما يدعون إليه من دين الحق، أي المخالفون في زمرة الاذلين في الدنيا والآخرة [3].

موقع هذه الآية بعد ما ذكر من أحوال المنافقين يشبه موقع آية "إِنَّ ٱلَّذِينَ تُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ". فالذين يحادون الله ورسوله المتقدم ذكرهم المشركون المعلنون بالمحادة. وأما المحادون المذكرون في هذه الآية فهم المسرون للمحادة المتظاهرون بالموالاة، وهم المنافقون فالجملة استئناف بياني بينت شيئا من الخسران الذي قضى به على حزب الشيطان الذي هم في مقدمته. وبهذا تكتب هذه الجملة معنى يدل البعض من مضمون جملة "أَلَآ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ "، لأن الخسران يكون في الدنيا والآخرة، وخسران

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٥١
[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٥ .
[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج١٦\صـ٢٩٩

الدنيا أنواع أشدها على الناس المذلة والهزيمة، والمعنى: أن حزب الشيطان في الأذلين المغلوبين.

وكونهم أذلين لأنهم أعداء رسول الله ﷺ فهم أعداء القادر على كل شيء فعدوه لا يكون عزيزا. قاله ابن عاشور[1].

(ولما كان أولئك المنافقون يأوون إلى اليهود شعورا منهم بأنهم قوة تخشى وترجى. ويطلبون عندهم العون والمشورة. فأن الله ييئسهم منهم، ويقرر أنه كتب على أعدائه الذلة الهزيمة، وكتب لنفسه ولرسوله الغلبة والتمكين، وهذا وعد الله الصادق الذي كان والذي لابد أن يكون على الرغم مما قد يبدو أحيانا من الظاهر الذي يخالف هذا الوعد الصادق)[2].

فنتيجة بعدهم ومشاقتهم لله ورسوله أنهم بعدوا عن كل خير وصلاح ولذلك هم في الخسران، بل أشد الخسران وهو الذل والمهانة، فكل من دانت رأسه للأرض خشوعا وذلا لربه ورغبة ورهبة إليه، زادت رفعته وعلوه عند ربه عز وجل وعلا ذكره في السماء والأرض.

و كل من بعد رأسه عن الأرض وعلت تكبرا وكفرا خزاه الله وحط من قدره في السماء والأرض.

"إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ" (استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان وعبر عنهم بالموصول ذما لهم بما في حيز الصلة، وإشعارا بعلة الحكم "أُوْلَٰٓئِكَ" الموصوفون بما ذكر في "فِى ٱلْأَذَلِّينَ " أي في جملة من هو أذل خلق

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٥٠
[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٤

الله عز وجل من الأولين والآخرين معدودون في عدادهم لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر، وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من حاده كذلك)[1].

قال عطاء: يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة.

"فِي ٱلۡأَذَلِّينَ " (في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم)[2]. وعلل الإمام برهان الدين البقاعي فعلهم هذا بأنهم لما كانوا لا يفعلون ذلك إلا كثرة أعوانهم وأتباعهم، فيظن من رآهم أنهم الأعزاء الذين لا أحد أعز منهم، قال تعالى نافيا لهذا الغرور الظاهر: "أُوْلَٰٓئِكَ " أي الأباعد الأسافل في "ٱلۡأَذَلِّينَ" أي الذين يعرفون أنهم أذل الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه الاذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم كل من يمكن منه ذل، وذلك في الدنيا والآخرة. قال الحسن: إن للمعصية في قلوبهم لذلا، وإن طقطقت بهم اللجم[3].

(أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الذلين في الدنيا والآخرة)[4].

"كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ "

لما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك بما يدل على أن سبحانه لا شريك له بإتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم وخذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه غيب محض لا دلالة عليه إلا بأفعاله[5].

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع للمثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٦
[2] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ٣٧٣
[3] نظم الدرر في التناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ٥٠٥-٥٠٦
[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤\صـ٢٩٦
[5] نظم الدرر في التناسب الآيات و السور للبقاعي ج٧\صـ ٥٠٦

فقد حوت هذه الآية من المهابة والعزة ما الله به عليم، إذا ذكر عز وجل لفظ الجلالة مرتين. والأول: أي قضى فهو كائن لا محالة، لأن الله كتبه وقضاه وأمر به. والثاني: للتأكيد بحرف إن ذكر بعده لفظ الجلالة الله الشامل لكل عظمة وقدرة. أي أن الله العظيم الذي ملك كل شيء والقاضي بما يريد هو الغالب المنتصر الذي تكون العزة له ولمن تبع طريقه وابتغاؤه وسلك خطى نبيه ﷺ .

ولما تبين ذلهم، بين عز المؤمنين فقال تعالى: "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ"

وهذه الآية تكون لحزب الله الذي وصفه في الآية الأخيرة من السورة، فلما كانت عزة المؤمنين لأنهم عبيد الله وأتباعه المؤمنين الموحدين به، كانت لهم العزة والمنعة وإن طال الأمد. فهو تعالى مانع حزبه من أن يذل [1].

والمؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو وقعة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل. الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم.

وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعده هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسله هم الغالبون، وأن هذا الكائن والذي لا بد أن يكون. ولتكن الظواهر غير هذا ما تكون.

فالذي وقع بالفعل أن الإيمان والتوحيد قد غلبا على الكفر والشرك، واستقرت العقيدة في الله في هذه الأرض ودانت لها البشرية بعد كل ما وقف في طريقها من عقبات الشرك والوثنية، وبعد الصراع الطويل مع الكفر والشرك والإلحاد. وإذا كانت هناك فترات عاد الإلحاد والشرك إلى الظهور في بقاع الأرض - كما يقع الآن – فإن العقيدة في الله ظلت هي المسيطرة بصفة عامة. فضلا على أن فترات الوثنية والإلحاد

[1] زارد المسير في علم التفسير لابن الجوزي صـ١٤١٠

إلى زوال مؤكد. لأنها غير صالحة للبقاء والبشرية تهتدي في كل يوم إلى أدلة جديدة تهدي إلى الاعتقاد في الله والتمكين لعقيدة الإيمان والتوحيد.

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان في صورها المتنوعة، من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة، بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع الكناية، ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين، يحميهم من الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تقضي عليه وتحطمه حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى. يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل[1]. وما يحدث في العالم الإسلامي خير شاهد على ذلك، فكأن العلامة سيد قطب قرء الأحداث وتنبئ بها، من حال ذلك الزمن الذي يعيش فيه.

"كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ" قال القاسمي: أي حزب الشيطان المحادين[2].

"كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ" قال الزحيلي: . ..كَتَب : أجرى مجرى القسم، ولذا أجيب بجواب القسم فهي قوله: "لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ": في موضع رفع بالعطف على الضمير في "لَأَغۡلِبَنَّ". وإنما جاز العطف على الضمير المرفوع المستتر لتأكيده بقوله: أنا. وإذا أكد الضمير المنفصل أو المستتر، جاز العطف عليه[3].

(جملة "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ " علة لجملة "أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ " أي لأن الله

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥١٤
[2] محاسن التأويل للقاسمي ج١٩\صـ٦٩
[3] التفسير المنير للزحيلي ج١٢٨\صـ٥٦

أراد أن يكون رسوله ﷺ غالبا لأعدائه وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على أعدائهم، فغلبتهم من غلبة الله إذ قدرة الله تتعلق بالأشياء على وفق إرادته، وإرادة الله لا يغيرها شيء، والإرادة تجري على وفق العلم ومجموع توارد العلم والإرادة والقدرة على الموجود هو المسمى بالقضاء. وهو المعبر عنه هنا "كَتَبَ ٱللَّهُ " لأن الكتابة استعيرت لمعنى: قضى الله ذلك وأراد وقوعه في الوقت الذي علمه فهو محقق الوقوع لا يتخلف)[1].

"كَتَبَ ٱللَّهُ " (أي أثبت في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم، وعن قتادة قال: وأيا ما كان فهو جار مجرى القسم فلذا قال سبحانه: "لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ " أي بالحجة والسيف وما يجري مجراه أو بأحدهما، ويكفي في الغلبة بما عدا الحجة تحققها للرسل عليهم السلام في أزمنتهم غالبا فقد أهلك سبحانه الكثير من أعدائهم بأنواع العذاب كقوم نوح، وقوم صالح، وقوم لوط، وغيرهم، والحرب بين نبينا محمد ﷺ وبين المشركين وإن كان سجالا طويلا إلا أن العاقبة كانت له ﷺ وكذا لأتباعهم بعدهم ملك وسلطنة وأغراض دنيوية فلا تكاد تجد مجاهدا كذلك إلا منصورا غالبا ، وخص بعضهم الغلبة بالحجة لاطرادها وهو خلاف الظاهر، ويبعده سبب النزول، فعن مقاتل: لما فتح الله تعالى مكة للمؤمنين، والطائف وخيبر، وما حولها قالوا: نرجو أن يظهرنا الله تعالى على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبي: أتظنون الروم فارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك، فنزلت "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ"[2]. وهذا لا يمنع من أن يغلب الأعداء في الدنيا فترة من الزمن لكن العاقبة في النهاية للمؤمنين،

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٥١

[2] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٦-٣٠٧

فدولة الباطل ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، والفاصلة القرآنية "إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ" تعليل لهذه الغلبة فالله قوي صاحب قوة غير متناهية عزيز قاهر لا يغلب)[1].

(لأن الله أراد أن يكون رسوله ﷺ غالبا لأعدائه، وذلك من آثار قدرة الله التي لا يغلبها شيء وقد كتب لجميع رسله الغلبة على أعدائهم، فغلبتهم من غلبة الله إذ قدرة الله تتعلق بالأشياء على وفق إرادته وإرادة الله لايغيرها شيء)[2].

(قرء نافع وابن عامر "أنا ورسلي" بفتح الياء، والباقون لا يحركون، قال أبو علي: التحريك والإسكان جميعا جائزان)[3].

(أي قد حكم وكتب وكتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة)[4].

(جملة "إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ" تعليل لجملة "لَأَغْلِبَنَّ" لأن الذي يغالب الغالب مغلوب)[5]. "قَوِى" قال البقاعي: (فهو يفيض من باطن قوته ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه، فإن القوي من له استقلال باطن بما يحمله القائم في الأمر ولو ضوعف عليه ما عسى أن يضاعف وحمايته مما يتطرق إلى الإجلال بشدة وبطش منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن، وما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة، فلا اقتدار يظهر من الخلق إلا باستناد إلى القوة بالله، الذي بيده ملكوت كل شيء، فلذلك كان بالحقيقة لا قوي إلا هو. ولما كان القوي من المخلوقات قد يكون غيره أقوى من غيره ولو في

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم لمصطفى مسلم ج٨\صـ٥١
[2] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٥١
[3] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٤٠
[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٤\صـ٢٩٦
[5] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٥١

وقت، نفى ذلك بقوله "عَزِيز" أي غالب غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات، ثابت له هذا الوصف دائما)[1].

"لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" ذكر البغوي في تفسيره: نظير قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ" [الصافات:١٧١-١٧٢] قال الزجاج: غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة[2].

و لما ظهر كالشمس أن من والاه سبحانه كان فائزا، ومن عاداه كان خاسرا، كانت نتيجته قطعا التحذير من موالاة أعداء الله في سياق النفي المفيد للمبالغة في النهي والزجر عن قربانه[3].

ثم في آخر السورة تجيء القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس:

"لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ "

الخطاب للنبي ولعامة المؤمنين ولكل أحد يصلح له.

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٦

[2] معالم التنزيل للبغوي ج١٤\صـ٢٨٥

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٦

وقد بسطت آيات الموالاة في القرآن في عدة مواضع، وذكرت مرارا وتكرارا بصور شتى تبين عقيدة الولاء لله وحزبه، والبراء من أعداء الله وأولياءه الشيطان، وما ذلك إلا لعظم هذه العقيدة التي هي محك إيمان المؤمن، إذ لا يكون المرء إلا مع من أحب في الدنيا وكذلك في الدار الآخرة كما ذكر ذلك في الحديث: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[1]".

وقال ﷺ : "المرء مع من أحب يوم القيامة"[2].

(والمراد تجد قوما كاملي الإيمان على هذه الحال، فالنفي باقي على حقيقته، والمراد بموادة المحادين موالاتهم ومظاهرتهم)[3].

(المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع وداد أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه وهذا على وجهين أحدهما: أنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله، لم يحصل فيه الإيمان، فيكون صاحبه منافقا، والثاني: أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة، وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد بل كان عاصيا في الله، فإن قيل: أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومعاشرتهم، فما هذه المودة المحظورة ؟؟

قلنا المودة المحظورة هي إرادة منافسه دينا ودنيا مع كونه كافرا، فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه، ثم إنه تعالى بالغ في المنع من هذه المودة من وجوه: أولها: ما ذكر أن هذه المودة مع الإيمان لا يجتمعان. وثانيها قوله: " وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ " والمراد أن الميل إلى هؤلاء أعظم أنواع الميل مع هذا يجب أن يكون هذا الميل مغلوبا مطروحا بسبب الدين. وثالثها: أنه تعالى عدد نعمه على المؤمنين، فبدأ بقوله: "أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ "

---

[1]: تخريج أحاديث المصابيح - الصفحة أو الرقم: ٣١٧/٤خلاصة حكم المحدث: رجاله رجال الصحيحين إلا موسى بن وردان قال الذهبي صدوق .

[2] الراوي: صفوان بن عسال المرادي المحدث: الترمذي : سنن الترمذي - الصفحة أو الرقم: ٣٥٣٥حسن صحيح

[3] روح المعاني في تفسير القرآن و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٧

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المعنى أن من أنعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة كيف يمكن أن يحصل في قلبه مودة أعداء الله.

المسألة الثانية: والنعمة الثانية قوله: "وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ " وبه قولان. الأول: قال ابن عباس: نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لأن بها يحيا أمرهم والثاني: قال السدي: الضمير في قوله "مِّنْهُ" عائد على الإيمان. والمعنى أيدهم بروح من الإيمان يدل عليه قوله: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا " [الشورى:٥٢]. النعمة الثالثة: "وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ". وهو إشارة إلى نعمة الجنة. النعمة الرابعة : قوله تعالى: "رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ " وهي نعمة الرضوان، وهي أعظم النعم وأجل المراتب، ثم لما عدد هذه النعم ذكر الأمر الرابع من الأمور التي توجب ترك الموادة مع أعداء الله، فقال: "أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " وهو في المقابلة قوله فيهم "أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ")[1].

قال الأصفهاني: (والود محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود لأن التمني هو تشتهي حصول ما توده، في المودة التي تقتضي المحبة المجردة في قوله: "قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ "[الشورى:٢٣]. وقوله: "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ " فنهي عن موالاة الكفار وعن مظاهرتهم كقوله: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ " إلى قوله: "بِٱلْمَوَدَّةِ "

[1] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي ج١٥\صـ٢٤٠-٢٤١

[الممتحنة:١] أي بأسباب المحبة من النصيحة ونحوها. وفلان وديد فلان: مواده. والود الوتد وأصله يصح أن يكون وتد فأدغم وأن يكون لتعلق ما يشتد به أو لثبوته في مكانه فتصور منه معنى المودة والملازمة)[١].

(المراد بنفي الوجدان: نفي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه، والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب، في مجانبة أعداء الله ومباعدتهم، والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم)[٢].

(ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله تعالى أن يهديهم. وقال عمر: لا أرى ما أرى يا رسول الله. هلا تمكنني من فلان – قريب لعمر- فأقتله، وتمكن عليا من عقيل، وتمكن فلانا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين)[٣].

(قد كان للمنافقين قرابة بكثير من أصحاب النبي ﷺ ، وكان نفقاهم لا يخفى على بعضهم فحذر الله المؤمنين الخالصين من موادة من يعادي الله ورسوله ﷺ . ورويت ثمانية أقوال متفاوتة قوة الأسانيد استقصاها القرطبي في نزول هذه الآية وليس يلزم أن يكون للآية سبب نزول فإن ظاهرها أنها متصلة المعنى بما قبلها وما بعدها من ذم المنافقين وموالاتهم اليهود، فما ذكر فيها من قصص لسبب نزولها فإنما هو من أمثلة لمقتضى حكمها. وافتتاح الكلام بـ "لَّا تَجِدُ " يثير تشويقا إلى معرفة حال هؤلاء القوم وسيساق في شأنهم من حكم والخطاب للنبي ﷺ . والمقصود منه أمره بإبلاغ المسلمين أن مودة من يعلم أنه محاد لله ورسوله هي مما ينافي الإيمان ليكف عنها عسى أن يكون متلبسا بها. والموادة أصلها: حصول المودة في جانبين والنهي هنا إنما هو عن مودة المؤمنين الكافرين لا عن مقابلة الكافر المؤمنين بالمودة،

[١] مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني صـ٥٤٩-٥٥٠ ،كتاب الواو
[٢] محاسن التأويل للقاسمي ج١٩\صـ٧٠
[٣] ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره ، ج١٤\صـ٢٩٦

وإنما جيء بصيغة المفاعلة كناية عن كون الود صادقا لأن الواد الصادق يقابله المودود بمثله ويعرف ذلك بالشواهد المعاملة.

وسواء كان ذلك المحارب كافرا أصليا أو منافقا، وذلك في سياق السورة التي تتحدث في سياقها الرئيسي عن المنافقين الذين يحادون الله ورسوله من خلال التناجي بالباطل وموالاة الكافرين، لتبين أن الإيمان لا يجتمع مع الموالاة لأعداء الله)[1].

"يُوَآدُّونَ"قال البقاعي: (أي يحصل منهم ودا لا ظاهرا ولا باطنا بما أشار إليه الإدغام وأقله الموافقة في المظاهرة)[2].

وأكد ذلك الإمام سيد قطب بقوله: "(مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ " [الأحزاب:٤]، وما يجمع إنسان في قلب واحد ودين: ودا لله ولرسوله، وودا لأعداء الله ورسوله، فإما إيمان أو لا إيمان أما هما معا فلا يجتمعان[3]. وقال القاضي أبو السعود: الجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد قبله باعتبار لفظهما)[4].

(استدل مالك رحمه الله من هذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم. قال أشهب بن مالك: لا تجالس القدرية وعادهم في الله، لقوله تعالى: "لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ". وقلت: في معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان. وعن الثوري أنه قال كانوا يرون أنها نزلت في من كان يصاحب السلطان - وبمثله قال ابن كثير- عن عبد العزيز بن أبي رواد[5] أنه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها. وعن النبي ﷺ

---

[1] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٩٦

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٦

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥١٤

[4] تفسير أبي السعود للقاضي أبو السعود ج١٦\صـ٢٢١

[5] عبد العزيز بن رواد ،أبو عبد الرحمن حدث عن عدة من كبار التابعين ،و أعلاهم منهم عطاء و عكرمة و نافع و صدقة بن يسار و الضحاك و غيرهم عاش إلى زمن المنصور ت١٥٨هـ (حلية الأولياء ١٩١\٨) .

أنه كان يقول: "اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فأني وجدت فيما أوحيت ". "لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ " إلى قوله "أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ"[1]".)[2].

(وروي أن سهلا قال: من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ، ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن، ومن أجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا أو غناها أذله الله بذلك العز وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع نزع الله نور الإيمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب[3]).

و بين الإمام القاسمي أيضا أنه يفهم من قوله تعالى: "يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ" وقوله في آية أخرى: "لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ" [الممتحنة:١]. (أخبر عنهم قبل التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول. فتشمل الآية المشركين وأهل الكتاب المحاربين المحادين لنا، أي الذين على حد منا، ومجانبة لشؤوننا، تحقيقا لمخالفتنا، وترصدا للإيقاع بنا. وأما أهل الذمة الذين أظهرنا، ممن رضي بأداء الجزية لنا بالمعنى الذي ذكرناه، ولذا كان لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وجاز التزوج منهم، ومشاركتهم، والاتجار معهم، وعيادة مرضاهم[4].

يقول ابن عاشور: (إن الذي يحاد الله ورسوله إن كان متجاهرا بذلك معلنا به، أو مجاهرا بسوء معاملة المسلمين لأجل إسلامهم لا لموجب عداوة دنيوية، فالواجب على المسلمين إظهار عداوته قال تعالى: "إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن

---

[1] أخرجه الديلمي ٢٠١١ من طريق الحسن عن معاذ مرفوعا ،و هذا منقطع الحسن لم يدرك معاذا .و أخرجه ابن مردويه كما في الدر٦\٢٧٤ عن كثير بن عطية عن ر جل مرفوعا به و هذا رواه لجهالة ذلك الرجل .و قال العراقي :أسانيده كلها ضعيفة .راجع الإحياء ٢\١٤٩ و ٤\٢٩٨

[2] نقله الإمام القرطبي في الجامع ،ج١٩\صـ٢٦١

[3] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٣٤٩

[4] محاسن التأويل للقاسمي ج١٩\صـ٧١

يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ " [الممتحنة:٩] ولم يرخص في معاملتهم بالحسنى إلا لاتقاء شرهم إن كان لهم بأس قال تعالى: "لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ " [آل عمران:٢٨] وأما من عدا هذا الصنف فهو الكافر الممسك شره عن المسلمين، قال تعالى: "لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ" [الممتحنة:٨] [١].

"وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ"

فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يحشر المرء فيه مع من أحب أن يهجروا الجميع بالمرة وليس المراد بمن ذكر خصوصهم وإنما المراد الأقارب مطلقا، وقدم الآباء لأنه يجب على أبنائهم طاعتهم ومصاحبتهم في الدنيا بالمعروف، وثنى بالأبناء لأنهم أعلق بهم لكونهم أكبادهم، وثلث بالإخوان الناصرون لهم.

أخاك أخاك من لا أخ له كساع إلى الهيجاء بغير سلاح.

وختم بالعشيرة لأن الاعتماد عليهم والتنصر بهم بعد الأخوان غالبا.

وقرأ أبو رجاء (و عشائرهم) بالجمع[٢]. قرء أبو العلية وزر بن حبيش "و عشيراتهم" بألف وكسر التاء على الجمع، ورواها الأعمش عن أبي بكر عن عاصم "وَأَيَّدَهُم" قواهم ونصرهم بروح منه، قال الحسن: أو بنصر منه. وقال الربيع بن أنس: بالقرآن وحججه. وقال ابن جريج: بنور وايمان وبرهان وهدى. وقيل برحمة من الله. وقال بعضهم: أيدهم بجبريل عليه السلام[٣].

---

[١] التحرير و التنوير لابن عاشور ج٢٨\صـ٥٣

[٢] روح المعاني في تفسير القرآن و السبع للمثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٨-٣٠٩

[٣] الجامع لاحكام القرآن للقرطبي ج١٩\صـ٢٦١

فالمؤمن يطيع ربه ويقيم شعائر دينه، ولكن ربما يظل قلبه معلق بمن يحب من بني جلدته، ويكون هذا الأمر غصة مريرة في قلبه، وهما حامله في نفسه وحيرة بين بقاء محبة أهله وخلانه في قلبه وبين محبة ربه ودينه، وكل ذلك الله مطلع عليه وعالم به.

فمن رحمته عز وجل التي وسعت كل شيء حسم سبحانه ذلك الأمر ونهاه وشفا صدور القوم المؤمنين وقدم لهم الأمر الفاصل في تلك المشاعر وذلك القلب الذي يكاد يزيغ بصاحبه عن طريق الحق والصواب. فرده الله عز وجل إلى صف المؤمنين واختاره للصلاح والخير للعبد المؤمنين ولدينه القويم فكانت التخلية مما سوى الله ومن ثم التحلية بالله لا شريك له في المحبة والعمل إذ أن جميع الحركات مبناها على المحبة فالمحبة أساس العمل لذلك- كانت محبة الله تعالى هي المحرك في جميع العبادات والشعائر للمؤمنين.

(وقد رتبت أصناف القرابة في هذه الآية على طريقة من الأقوى إلى من دونه لئلا يتوهم أن النهي خاص بمن تقوى فيه ظنة النصيحة له والائتمار بأمره)[1].

(روابط الدم والقرابة هذه تقطع عند حد الإيمان: إنها يمكن أن ترعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء الله، ولواء الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطعت تلك الأواصر التي تربط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد)[2].

و حيث أن حزب الله المؤمنون حقا تركوا المحبين ومن بهم العزة والتعاضد ووجهوا طاعتهم وقلوبهم ومحبتهم وتعاضدهم بالله وحده، لذلك استحقوا أن يكونوا حزبه وأهله وخاصته، واستحقوا الجزاء الذي بشرهم به ووعدهم إياه، وكذلك النصر الذي بشرهم به.

---

[1] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢\صـ٥٣

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٥

وهؤلاء هم حزب الله تعالى وجنده وعبيده الذين سلموا له ووحدوه بالتوحيد الخالص، الذين توكلوا عليه حق التوكل فنصرهم وأيدهم وتبادل الرضا معهم.

فهم ليسوا فقط تاركين لأهلهم وذويهم وأقاربهم، بل هم كارهون وغاضبون عليهم يعادونهم ويحاربونهم حتى يكونوا معهم في حزب الله الذي ارتضاه لهم، أو يظلوا أعدائهم في الدنيا والدين.

(فلا مكان فيها لوداد أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا أمتنع أن يحب مع ذلك عدوه وهذا على وجهين:

أحدهما: أنهما لا يجتمعان في القلب فإذا حصل في القلب وداد أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان فيكون صاحبه منافقا.

والثاني: أنهما يجتمعان ولكنه معصية وكبيرة، وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب الوداد، بل كان عاصيا في الله) [1].

لأن تلك القلوب المؤمنة أصبحت مليئة بمحبة ربها عز وجل لا فراغ بها لغيره فهي ملاذا للايمان وأهله.

فأصبحت جميع الحركات مبناها على المحبة فالمحبة أساس العمل [2].

فإن الجمع بين الإيمان الخالص وموادة من حاد الله ورسوله غير ممكن ولو كان المحادون أقرب الأقربين، قال جار الله: هذا من باب التمثيل والغرض أنه لا ينبغي أن يكون وحقه أن يمتنع ولا يوجد [3].

ووضح الإمام الشوكاني السبب لذلك فقال:(فإن الإيمان يزجر ذلك ويمنع منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة، فهم جنده الذين يمتثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أوليائه وفي إضافتهم إلى الله سبحانه تشريف لهم

[1] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ج١٥\صـ٢٤٠

[2] القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين دار ابن الجوزي ،الطبعة الثانية ،طبعة مصححةو منقحة ١٤٢٤هـ -ج١\صـ١٥٥

[3] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج١٦\صـ٢٧٧

عظيم وتكريم فخيم [1]. فمودة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن كان مؤمنا لم يوال كافرا وإن كان أباه أو ابنه أو أحدا من عشيرته)[2].

فلا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا إذا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه فلا تجد شيء أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه، بل هو الإخلاص بعينه أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح لهم صدورهم [3].

وفي محبة من آمن وموالاته، وبغض من لم يؤمن ومعاداته، _ ولو كان أقرب الناس إليه_. فهذه هي حقيقة الإيمان الذي يجد ثمرته من كان به. والمقصود منه أهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا طيبا لا يتزلزل ولا يتأثر بالشبه والشكوك، هم الذين قواهم الله بروح منه أي: وحيه ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني.

وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لابد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها [4].

قال في البحر: (بدأ بالآباء لأن طاعتهم واجبة للأولاد، ثم بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب، ثم بالإخوان لأن بهم التعاضد، ثم بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة والتغلب على الأعداء كما قال قائل:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا)[5].

يقول تعالى أن أولئك العالون في كمالاتهم الروحية هم جند الله وأولياؤه، الفائزون يوم القيامة بالنجاة من النار ودخول الجنة [1].

---

[1] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٤٠
[2] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي صـ ١٤١١
[3] الكشاف للزمخشري ج٤\صـ ٣٧٤
[4] تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن للسعدي صـ٨٤٨
[5] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج٨\صـ٢٣٩

فهم لا يجدون في أنفسهم عوجا عنه، ولا يجدون في خطاهم تخلفا عن خطاه، ولا يجدون في قلوبهم شيئا إلا الله. ..كانوا كما جاء عنهم في هذه السورة "لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ...".

"أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ" كتابة الإيمان في القلوب نظير قوله: "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ " وهي التقدير الذي لا تختلق آثاره، أي هم المؤمنون حقا الذين زين الله الإيمان في قلوبهم فاتبعوا كماله وسلكوا شعبه.

(أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة. وقيل حكم لهم بالإيمان فذكر القلوب لأنها موضعه – موضع الإيمان)- [٢]. (فهم استكملوا أجزاء الإيمان بحذافيرها ليسوا ممن يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض)[٣].

"أُوْلَٰٓئِكَ" أي الذين لم يوادوهم، كتب في قلوبهم الإيمان أثبت الإيمان في قلوبهم، وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الإيمان لأن أعمال الأعضاء لا تثبت في القلب[٤]. وأكد ذلك قوله تعالى: "قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ "[الحجرات:١٤] كما ذكر القاضي أبو السعود في تفسيره .

(أي أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم في وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا، فقهروا بالدلائل والحجج، وظهروا بالسيف المغني للمنهج، وعملوا الأعمال الصالحة فكانوا للدنيا كالسرج، فلا تجد شيئا، أدخل في الإخلاص من

---

[١] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري ج٥\صـ٣٠٠

[٢] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج٤\صـ٢٨٥

[٣] غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ج٦\صـ٢٧٨

[٤] التفسير المنير للزحيلي ج٢٨\صـ٥٦ ،و يرجع إيضا إلى تفسير القاضي أبي السعود ج٦\صـ٢٢١

موالان أولياء الله ومعادة أعدائه بل هو عين الإخلاص)[1]. يبين سيد قطب سبب إخلاصهم ذلك بأن ما يكون أن يعزموا هذه إلا بروح من الله. وما يمكن أن تشرق قلوبهم بهذا النور إلا بهذا الروح الذي يمدهم بالقوة والإشراق ويصلهم بمصدر القوة والإشراق.

"وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ " قال الزحيلي: (مجاز مرسل، لأنه سبب للحياة الطيبة الأبدية)[2].

"وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ "

(الجنة. .الجنة..الجنة هي جزاءهم وثوابهم، دار لهم في الآخرة دار الخلد المقيم التي وعد المتقون، هي لهم دار القرار بأنوارها التي تروي قلوبهم التي قطعت كل أواصر كانت متعلقة بها في الدنيا فقد تركوا الفاني في الدنيا فكان جزاءهم الخلد في النعيم المقيم. وبعد دخولهم لتلك الجنان جعلنا الله من أهلها وساكينها – جاءهم رضوان الله عز وجل عليهم بأن أكرمهم بما يفوق خيالهم وعقولهم وبالذي وعدهم به فكان وعده حقا وصدقا، كان منهم الرضا عما أثابهم به فكان الرضا بين الله وعباده المؤمنين هو ذلك الخلق يوم القيامة)[3].

وفي ذكر الرضا المتبادل سر بديع فسره الإمام ابن كثير بقوله: (ولما سخطوا على القرائب والعشائر في الله، عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم، والفضل العظيم)[4].

و لما كان ذلك لا يلذ إلا بالدوام قال: "خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ "[5].

---

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٧ـ٥٠٨

[2] التفسير المنير للزحيلي ج١٢٨\صـ٥٦

[3] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\ص٣٥١٦

[4] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٧ .

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ج١٧\صـ٥٠٨

"رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ" يقول النسفي: بتوحيدهم الخالص وطاعتهم "وَرَضُواْ عَنۡهُ" بثوابه الجسيم في الآخرة أو بما قضى عليهم في الدنيا[1].

(فهذه صورة وضيئة راضية مطمئنة، ترسم حال المؤمنين هؤلاء، في مقام عال رفيع، وفي جو راض وديع ربهم راض عنهم وهم راضون عن ربهم. انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به فتقبلهم في كنفه، وأفسح لهم جنابه، وأشعرهم برضاه فرضوا. رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه)[2].

(وقوله تعالى: "رَضِيَ ٱللَّهُ" عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض سبحانه عليهم من آثار رحمته عز وجل العاجلة والآجلة، وقوله تعالى: "وَرَضُواْ عَنۡهُ" بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا، وقوله تعالى: "أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ" تشريف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى وقوله سبحانه: "أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ" بيان لاختصاصهم بسعادة الدارين والكلام في تحلية الجملة- بإلا. وإن-)[3].

(رضى الله عنهم حاصل من الماضي ومحقق الدوام فهو مثل الماضي في قوله "وَأَيَّدَهُم"، ورضاهم عن ربهم كذلك حاصل في الدنيا بثباتهم على الدين ومعاداة أعدائه، وحاصل في المستقبل بنوال رضى الله عنهم، ونوال نعيم الخلود. وأما تحويل التعبير إلى مضارع في قوله "وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ" فلأنه الأصل في الاستقبال)[4].

"حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ"

فهم جماعته المتجمعة تحت لوائه المتحركة بقيادته المهتدية بهديه المحققة لمنهجه. وحرف التنبيه يحصل منه تنبيه المسلمين إلى فضلهم وتنبيه من يسمع ذلك

---

[1] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٤\صـ٣٤٩
[2] في ظلال القرآن لسيد قطب ج١٦\صـ٣٥١٥
[3] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للألوسي ج١٤\صـ٣٠٩
[4] التحرير و التنوير لابن عاشور ج١٢٨\صـ٥٥

من المنافقين إلى ما حبا الله به المسلمين من خير الدنيا والآخرة لعل المنافقين يغبطونهم فيخلصون للإسلام[1].

لأن من عادى أعداء الله وأقام حدود الله وشرعه، وأطاعه فيما أمر هو ورسوله ﷺ كان لابد أن يكون في زمرة الحق، وهذا نوع آخر من أنواع الجزاء الوفي الذي أعده عز وجل لعباده المؤمنين، ذكر أوله "جَنَّـٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ۚ " ثم ها هو سبحانه وتعالى يجازيهم بهذا الشرف العظيم الذي لا يكون بعده شرف، إذ يكون المؤمن في حزب ربه العظيم ذو الجلال والإكرام، وغيضا بعد ذلك وعد منه تعالى بالفلاح لعباده، وجزاء لهم ولعملهم وطريقهم الذي اختار سلوكه هو طريق الخير الذي انتهى بهم إلى الفلاح في الدنيا والآخرة وأكد ذلك بفنون التأكيد وحلى الجملة بها.

(أي عباد الله وأهل كرامته)[2]. أي جنده وأنصار الحق الذي أنزل ودعاة الخلق إليه[3]. (فهم جنده الذين يتمثلون أوامره ويقاتلون أعدائه، وينصرون أوليائه، وفي إضافتهم إلى الله تعالى تشريف عظيم لهم وتكريم فخيم)[4].

(فهم الباقون في النعيم المقيم، الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب. قاله النسفي)[5].

وهذا طباق آخر في السورة، إذ بعد ما ذكر في الآيات السابقة حزب الشيطان وصفاته – والعياذ بالله - ها هو يذكر هنا في هذه الآية حزب الله تعالى – جعلنا الله منهم - وصفاته.

---

[1] يرجع للمصدر السابق .
[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١٤\صـ٢٩٧
[3] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٩٦
[4] فتح القدير للشوكاني ج٥\صـ٢٤٠
[5] مدارك التنزيل و حقائق التأويل للنسفي ج١٤\صـ٣٤٩

فالشيطان أخزاه الله – قد ترأس حزب أهل النار الضالين الهالكين وترأس العمل بها، وعمل عليها ايضا، فقد حاد الله عز وجل ووقف موقف المعاند المتحدي لربه جلا وعلا.

وأما الفرقة الناجية حزب المؤمنين الأتقياء الذين شرفهم ربهم عز وجل بإضافة حزبهم إليه وسماهم "حِزۡبَ ٱللهِ " أي حزب الهداية والصلاح والخير، حزب وفرقة الذين تبعوا دين ربهم وأطاعوه وكانوا على الحنيفية التي شرعها ورضيها لهم.

وهو ختام السورة بهذا المحك موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه هو المحك والاختبار لإيمان المؤمنين، بل هو البوابة للدخول في حزب الله والانضمام له والكنف تحت لوائه والسير في طريق الفلاح والحياة به.

سواء كان ذلك المحارب كافرا أصليا، أو منافقا، وذلك في سياق السورة التي تتحدث في سياقها الرئيسي عن المنافقين الذين يحادون الله ورسوله من خلال التناجي بالباطل، وموادة الكافرين لتبين أن الإيمان الحقيقي لا يجتمع مع الموالاة لأعداء الله[1].

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين أثنين: حزب الله وحزب الشيطان. وعلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب الله فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف، تحت راية الباطل (و هما صفان متوازيان لا يختلطان ولا يتميعان).

لا نسب ولا صهر، ولا قرابة ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية. إنما هي العقيدة، والعقيدة وحدها. فمن انحاز إلى حزب الله وقف تحت راية الحق فهو وجميع الواقفين تحت هذه الراية إخوة في الله، تختلف ألوانهم وتختلف أوطانهم، وتختلف عشائرهم وتختلف أسرهم، ولكنهم يلتقون في الرابطة التي تؤلف حزب الله،

[1] الاساس في التفسير لسعيد حوى ج١٠\صـ٥٧٩٦

فتذوب الفوارق كلها تحت الراية الواحدة. ومن استحوذ عليه الشيطان فوقف تحت راية الباطل فلن تربطه بأحد من حزب الله رابطة. لا من وطن، ولا من لون، ولا من عشيرة ولا من نسب ولا من صهر " لقد أنتجت الوشيجة الأولى التي تقوم عليها هذه الوشائج فانبتت هذه الوشائج جميعا.

وهذه الصورة هي أنسب ختام للسورة التي بدأت بتصوير رعاية الله وعنايته بهذه الأمة في واقعة المرأة الفقيرة التي سمع الله لها وهي تجادل رسول الله ﷺ في شأنها وشأن زوجها. فالانقطاع لله الذي يرعى هذه الأمة مثل هذه الرعاية هو الاستجابة الطبيعية. والمفاضلة بين حزب الله وحزب الشيطان هي الأمر الذي اختارها الله للدور الكوني الذي كلفها إياه[1].

و الله أعلم بكل دقيق وجليل وإليه المصير وبيده التوفيق والإتمام بالصواب.

[1] في ظلال القرآن لسيد قطب ج٦\صـ٣٥١٥-٣٥١٦

الخاتـــــمة

إن التناسق الموضوعي من العلوم الجليلة المتعلقة بكتاب الله تعالى، يتناول جانبا مهما من جوانب الإعجاز القرآني، وهو جانب الربط بين موضوعات القرآن الكريم بشكل عام، أو الربط بين موضوعات السورة الواحدة، مما يشكل نسقا متكاملا للسورة القرآنية بحيث تبدو وكأنها حلقة عقد منتظم أوله بآخره.

و تبدو أهمية هذه الدراسة من خلال الرد على أولئك النفر الحاقدين من أعداء الإسلام الذين ما إن تسنح لهم الفرصة لبث سمومهم في هذا الدين، وقولهم أن القرآن الكريم عبارة عن خليط متنافر لا يقوم على أساس منهج البحث العلمي، والترتيب المنطقي لمحتوياته.

وقد تجلى هذا البحث من خلال بيان:

- التناسق الموضوعي، تعريفه لغة واصطلاحا، أنه: هو بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته.

- هناك علاقة متكاملة بين التناسق الموضوعي وعلم المناسبات القرآنية، لكن لا يصح أن يعرف التناسق بمعنى المناسبات على إطلاقه.

- يعتبر علم المناسبات من العلوم القائمة على أساس أن ترتيب سور القرآن الكريم وآياته من الأمور الثابتة عن النبي ﷺ بالتوقيف، وهذا هو الرأي الراجح الذي عليه أكثر أهل العلم.

- تبين لي من خلال دراسة المناسبة الخارجية بين سورة المجادلة، والسورة التي قبلها، والتي بعدها، عظمة هذا الكتاب الكريم الذي لا يمكن أن ترى فيه تفاوتا أو اختلافا، بل كله يكاد أن يكون وحدة موضوعية متكاملة لا تنافر فيه ولا اضطراب، مناسب بعضه لبعض من أوله إلى آخره، في منتهى الترابط

والائتلاف، وكأن كل سورة من هذه السور تستدعي ما بعدها، وأن ما بعدها قد اقتضاها ما قبلها، تتكامل في موضوعاتها، وتتناسب في سياقاتها، وأساليبها.

- المحور الرئيسي لسورة المجادلة كما ذكر أهل العلم بيان حكم الظهار وذكر النجوى والأمر بالتوسع في المجالس وبيان فضل العلم وأهله، والشكاية من المنافقين، والفرق بين حزب الرحمن وحزب الشيطان.

- من خلال دراسة التناسق بين موضوعات سورة المجادلة، تبين لي عظمة الترابط بين موضوعاتها التي تعالج قضايا مختلفة، وكيف تلتقي تلك الموضوعات برمتها في محور واحد يسمى (الموضوع الكلي للسورة)، فهو يمثل نقطة انطلاق لكل مقاطع السورة، وبهذا فإن السورة تمثل وحدة موضوعية تعالج الموضوع الأساسي الذي سيقت من أجله.

- كما تبين من خلال هذا البحث أن السورة القرآنية الواحدة يتناسق أولها مع آخرها، ومطلعها مع خاتمتها، ومعنى هذا أن السورة التي تعالج قضية من القضايا في مطلعها، فإنها لا شك تختم بنفس الأمر الذي بدأته في أولها.

- كما تناولت بالدراسة مناسبة آيات الآداب الرفيعة والتنظيمات لآيات المجادلة ، التي تضمنتها آيات السورة المباركة.

- توصلت في بحثي هذا من الفائدة العظيمة من ذكر لفظ الجلالة في كل آية من آيات سورة المجادلة، والمعاني العظيمة التي تهدف إليها الآيات الكريمة المتضمنة لهذا الاسم العظيم.

وعليه فأن القرآن الكريم بحر لا ساحل له، فمهما بحث في علومه الباحثون، وولج في أعماقه المفسرون، فإنه يظل غضا طريا، ربما تنقضي الأعمار، ويأتي الجيل بعد الآخر، دون أن يستطيع أحد أن يلم بعلومه، مما يدل دلالة عظيمة انه من لدن عليم خبير، فهو بحق معجزة الله الخالدة.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديم بعض الشيء لخدمة كتاب الله من خلال هذه الرسالة، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من تابعني فيها وأرشدني، ومن قرأها فنفعني بما يصحح خطأها، أو يقيم بناءها، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا بما ابتدأنا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثا: فهرس الأعلام.

رابعا: المصادر والمراجع.

خامسا: فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
١	"غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ " "	٧	الفاتحة	٢٢٦
٢	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ "	٢١	البقرة	١٠٣
٣	"سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةم"	٢١١	البقرة	٤٢
٤	"إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمۡ "	٢٤٨	البقرة	٤٢
٥	"أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ "	٢٥٨	البقرة	١٦٩
٦	"وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ"	٢٨١	البقرة	٣٥
٧	"وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً "	٣٠	البقرة	١٠٣
٨	"يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ"	٧٤	ال عمران	٥٦
٩	"يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا "	١٠٢ - ١٠٣	آل عمران	٨٤ - ٨٥

١٠	"يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡ"	١٥٦	آل عمران	١٨٦
١١	"لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ"	١١٤	آل عمران	١٨٩
١٢	"مَقَـٰعِدَ لِلۡقِتَالِ"	١٢١	آل عمران	١٩٨
١٣	"يَعۡكُفُونَ" "يَعۡرِشُونَ"	١٣٨ ١٣٧	آل عمران	٢٠٢
١٤	"شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ "	١٨	آل عمران	٢٠٦
١٥	"لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَـٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ"	٢٨	آل عمران	٢٥٣
١٦	" وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَـٰفٗا كَثِيرٗا "	٨٢	النساء	١٢
١٧	"لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ "	١١٤	النساء	١٢٢
١٨	"وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ	٢١	النساء	١٤٥

	مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا "			
١٩	"مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ "	١٤٣	النساء	٢٢٦
٢٠	"إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا "	١٤٥	النساء	٢٢٩
٢١	"وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ " "	٥٦	المائدة	٨٧
٢٢	"ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ "	١٠٦	الأنعام	٨٤
٢٣	"فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبًاۖ "	٧٦	الأنعام	٢٣١
٢٤	"ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ "	٢٣	الأنعام	٢٣٤ - ٢٣٥
٢٥	"وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ "	٢٨	الأنعام	٢٣٥
٢٦	"وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ "	٢٥	الأنفال	٥٦
٢٧	"وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ "	٦	التوبة	٨٢
٢٨	"صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا "	١٠٣	التوبة	٢١٣ - ٢١٧

٢٩	"وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ"	٥٦	التوبة	٢٣٥
٣٠	"بِبَدَنِكَ نُنَجِّيكَ فَٱلْيَوْمَ "	٥٣	يونس	١٩١
٣١	"أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ "	١٣ - ١٤	هود	١١٥
٣٢	"وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا "	٩٢	هود	١٤٢
٣٣	"إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً "	١٠٣	هود	٤٢
٣٤	"فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا"	٨٠	يوسف	١٧٣
٣٥	"إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ "	٨٦	يوسف	١٣٨
٣٦	"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ "	٩	الحجر	٣٥
٣٧	"إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ"	٤٢	الحجر	١٩٢
٣٨	"وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ "	٨٧	الحجر	٤٠
٣٩	"ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ"	٨٨	النحل	٢٣١
٤٠	"وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا "	٨	الإسراء	١٥٠
٤١	"وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ "	٤٧	الإسراء	١٧٣
٤٢	"قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ	٦٣	الإسراء	٢٢٦

	إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَـٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً "			
٤٣	"إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ"	٢٠	الكهف	١٤٢
٤٤	"وَوُضِعَ ٱلۡكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ"	٤٩	الكهف	١٦٦
٤٥	"وَقَرَّبۡنَـٰهُ نَجِيًّا "	٥٢	مريم	١٧٣
٤٦	"إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ	٤٦	طه	١٣٩
٤٧	"يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى"	٧	طه	١٦٩
٤٨	" رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمًا "	١١٤	طه	٢٠٥
٤٩	"لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ	٣	الأنبياء	٨٦ - ١٧٣
٥٠	"وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٍۚ "	٧٨	الحج	٢٢١
٥١	"أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلاً "	٤٣	الفرقان	١٦١
٥٢	"وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا "	٥٥	الفرقان	١٤٣
٥٣	"وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ "	٥٣	النمل	١٧٢
	"وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ"	٥٩	النمل	٧٣ –

				١٨٢
٥٤	"فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ"	٩٣	النمل	١٧٢
٥٥	"وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ"	٤٣	العنكبوت	٢٠٦
٥٦	"وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ"	٢٢	الروم	٤٢
٥٧	"وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ"	٢١	الروم	٨٥
٥٨	"وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ"	٢٧	لقمان	٢٦
٥٩	"وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ"	٣	الأحزاب	٨٦ - ٨٩
٦٠	"ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ"	٤	الأحزاب	١٤٦
٦١	"(مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ"	٤	الأحزاب	٢٥١
٦٢	"وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ"	٢٢	سبأ	١٤٣
٦٣	"مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ"	٤٥	فاطر	١٤٢
٦٤	"حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ"	٣٩	يس	١٥٠

٦٥	"وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ"	١٧١ - ١٧٢	الصافات	٢٤٧
٦٦	" كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "	٢٩	ص	١٥
٦٧	"هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ "	٩	الزمر	٢٠٦
٦٨	" تَنزِيلٞ مِّنَ حَٰمٓ عسٓقٓ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "	٤٢	فصلت	١٢
٦٠	"وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا "	٥٢	الشورى	٢٤٩
٧٠	"قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ "	٢٣	الشورى	٢٥٠
٧١	"قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ "	١٤	الحجرات	٢٥٨
٧٢	"وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ "	٤	الحديد	٥٨ - ١١٣
٧٣	"يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ كُنتُمۡ مَا"	٤	الحديد	١٠٠
٧٤	""سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ "	١	الحديد	١٠٢
٧٥	""ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ "	٧	الحديد	١٠٢ - ١٠٣
٧٦	"يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن	١٢	الحديد	٩٩

	تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ "			
٧٧	"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ "	١	الحشر	١٠٤
٧٨	"۝٢١ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ "	٢١- ٢٢- ٢٣- ٢٤	الحشر	١٠٥
٧٩	"لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ"	٨	الممتحنة	٢٥٣
٨٠	"إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ "	٩	الممتحنة	٢٥٣
٨١	" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ " إلى قوله: "بِٱلۡمَوَدَّةِ "	١	الممتحنة	٢٥٠ - ٢٥٢

٨٢	" وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ"	٤	التحريم	١٤٣
٨٣	"ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ"	٢	المنافقون	٢٣١
٨٤	"وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ"	١٠	الانشقاق	١٤٢
٨٥	"وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ "	١٠	البلد	٣١
٨٦	"ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ "	٣	الشرح	١٤٢

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	الصفحة
١	من يرد الله به خيرا يفقه في الدين	٨
٢	لا يشكر الله من لا يشكر الناس.	٢٢
٣	ضعوا آية كذا في موضع كذا	٢٥-٤٠
٤	ضعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة	٣٥
٥	من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"	٣٨
٤	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت خولة إلى الرسول...	١٠٠
٥	"من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة"	٣٩
٦	ما منعك أن تأتني" فقلت كنت أصلي .	٤٠
٧	من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف .	٤٠
٨	عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لا أسمع كلام خولة ...	٦٨
٩	خولة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة، قالت ...	٦٨
١٠	لما روي عن خولة بنت ثعلبة قالت: والله في وفي أوس بن الصامت أنزل الله – عز وجل- صدر سورة المجادلة ...	٦٩
١١	عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضي الله عنها قالت: " ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت ﷺ فجئت رسول الله ...	٧٠
١٢	أن خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها رآها زوجها وهو أوس بن الصامت ...	٧٠
١٣	كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لمم	٧١

١٤	" كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة جلسوا يتناجون ...	٧٢
١٥	أن يهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليكم ...	٧٢
١٦	أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم ...	٧٣
١٧	عن عائشة قالت: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك ...	٧٤
١٨	كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر ...	٧٥
١٩	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس ولكن أفسحوا يفسح الله لكم .	٧٦
٢٠	إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه ...	٧٧
٢١	عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود، فبينا رسول الله ﷺ في حجرة ...	٧٨
٢٢	كان رسول الله ﷺ في ظل حجرة وقد كاد الظل أن يتقلص، فقال:...	٧٨
٢٣	أن النبي ﷺ قال: لأصحابه: " يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان ...	٧٩
٢٤	فقال له رسول الله ﷺ : "متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري .	٨٠
٢٥	أن أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها ...	٨٠
٢٦	عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، جلس إلى النبي ...	٨١
٢٧	" أن أناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام	٧٣

	عليك يا أبا القاسم، فقال ﷺ : وعليكم، قالت عائشة...	
٢٨	الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه ...	١٣٤
٢٩	أن خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت، أراد زوجها مواقعتها يوما فأبت، فغضب وظاهر منها ...	١٣٤
٣٠	أن رجلا ظاهر من امرأته، ثم واقعها قبل أن يكفر فأتى النبي ...	١٥٣
٣١	عن خويلة بنت ثعلبة قالت: في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر المجادلة ...	١٥٦
٣٢	"إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه .	١٩١
٣٣	كان ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر ...	١٩٥
٣٤	لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ولكن تفسحوا وتوسعوا .	١٩٨
٣٥	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .	١٩٨
٣٦	"قوموا إلى سيدكم .	٢٠٠
٣٧	من سره أن يمتثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار .	٢٠٠
٣٨	" لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا .	٢٠٠
٣٩	من تواضع لله رفعه ..	٢٠٤
٤٠	ليليني منكم أولو الأحلام والنهى .	٢٠٤
٤١	يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء .	٢٠٦
٤٢	أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام: يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم .	٢٠٧
٤٣	وقيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل ؟ فقال: "العلم بالله عز وجل" فقيل: أي العلم تريد ...	٢٠٧

٤٤	العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما،...	٢٠٧
٤٥	فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب .	٢٠٧
٤٦	فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .	٢٠٧
٤٧	من جاءه الموت و هو يطلب العلم ليحيى به الإسلام ...	٢٠٧
٤٨	بين العالم و العابد مائة درجة بين كل درجتين حضر ...	٢٠٧
٤٩	يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .	٢٠٨
٥٠	من التمس طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة .	٢٠٨
٥١	من تواضع لله رفعه .	٢٠٩
٥٢	سألت رسول الله ﷺ عشر مسائل فأجابني عنها ...	٢١٢
٥٣	لما نزلت دعاني رسول الله ﷺ فقال : "ما تقول في دينار ...	٢١٤
٥٤	مثل المنافق مثل الشاة العثرة بين الغنمين ...	٢٢٦
٥٥	أن رسول الله جاسا في ظل حجرة من حجره و عنده ...	٢٢٧
٥٦	يبعث كل عبد على ما مات عليه .	٢٣٥
٥٧	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل .	٢٤٨
٥٨	المرء مع من أحب يوم القيامة .	٢٤٨
٥٩	اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة ...	٢٥٢

فهرس الأعلام

م	الاسم	الصفحة
١	محمد ﷺ	٣-٨-١١-١٢-٢٣-٢٥-٣١-٣٥-٣٨-٤٠-٤١-٤٣-٤٧-٤٨-٥٠-٥١-٥٨-٥٩-٦٠-٦٢-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٧-٨٨-٨٩-٩١-٩٢-١٠٠-١٠٨-١١٢-١١٣-١١٤-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٧-١٢٨-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤٥-١٥٣-١٥٥-١٥٧-١٦٤-١٧٠-١٧١-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٩١-١٩٣-١٩٥-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٨-٢٢٠-٢٢١-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٣٠-٢٣٥-٢٤١-٢٤٣-٢٤٨-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٦٢-٢٦٤
٢	أبو بكر الصديق	٢٥١
٣	عمر بن الخطاب	٢٧-٨٠-٢٠٥-٢٠٨-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٨-٢٢٢-٢٣٨-٢٥١

٤	علي بن أبي طالب	٦١-٧٧-٢٠٩-٢١٩-٢٢٣
٥	عائشة رضي الله عنها	٦٨-٧٣-٧٤-١٠٠-١٠٩-١٣٤-١٤٠-١٤٩-١٧١-١٧٢-٢٣٨
٦	أبي بن كعب	٣٦
٧	أنس بن مالك	٧٠-٧٣-٢٠٠
٨	عبد الله بن مسعود	٥٠-٥٩-٨٠-١٩٢-٢٠٦-٢٠٩
٩	حمزة بن أبي طالب	٨٠
١٠	مصعب بن عمير	٨٠
١١	عبيدة بن الجراح	٨٠
١٢	ابن عمر	١٩٩-٢١٤
١٣	عبد الله بن عمرو	٧٢-٧٤
١٤	عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول	٨١
١٥	الربيع بن أنس	٢٥٥
١٦	ابن عباس	٣٥-٥١-٥٢-٥٣-٦١-٧١-٧٣-٧٧-٧٨-٩٠-١٢٧-١٣٥-١٥١-١٥٣-١٧١-١٧٥-١٨٠-١٨١-١٨٤-١٨٥-٢١٣-٢١٦-٢١٧-٢٢١-٢٢٢-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٦-٢٥٠
١٧	ابن الزبير	٥٢-٥٣-٩٠
١٨	عبادة بن الصامت	٧٠-١٣٥
١٩	خولة بنت ثعلبة	٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-١٠٨-١١٢-١١٨-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٨-١٥٦-١٩٠
٢٠	أوس بن الصامت	٥٨-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-١١٢-١٣٤-

		١٣٥-١٣٦
٢١	الثوري	٢٥٣
٢٢	مجاهد	٥١-٥٣-٦١-٧٣-١٥٣-١٨٠-١٨١-٢٠٤-٢٠٨-٢٤٧
٢٣	مقاتل بن حيان	٧٢-٧٦-٨٠-١٧٢-١٩٦-٢١٣-٢١٥-٢١٧-٢٢٧
٢٤	قتادة	٥٢-٦١-١٦٢-١٨٠-١٩٦-٢٠٤
٢٥	الضحاك	١٧٢-١٧٥-٢٠٤
٢٦	ابن جرير	١٧٥
٢٧	أحمد ابن حنبل	١٢١
٢٨	ابن حجر	٨٠-٨١
٢٩	أبو بكر الانباري	٥٢
٣٠	ابن جريج	٦١-٨١-٢٥٥
٣١	ابن فارس	٩٦
٣٢	أبو عمرو	٤٣-٤٥-٥١-١٣٥-٢٢٥
٣٣	الكسائي	١٣٥
٣٤	ابن محيصن	١٣٥
٣٥	ابن تيمية	٦٦-٢٠٠
٣٦	أبو جعفربن الزبير	٥٢-٥٣-٩٠
٣٧	الشافعي	١٥١-١٥٥-١٥٦
٣٨	أبو مسلم الأصفهاني	٧٤-١٦١
٣٩	المبرد	١٦١-١٦٣
٤٠	الفراء	١٥١-١٥٧
٤١	الطبراني	٦٨-٧٢-٧٤

٤٢	يحيى بن وثاب	١٨٢
٤٣	عياض	٢٣٦
٤٤	ابن عامر	٢٠٣-٢٤٧
٤٥	سعد بن معاذ	٢٠١
٤٦	أشهب بن مالك	٢٥٣
٤٧	زر بن حبيش	٢٥٥
٤٨	أبو العالية	٧١-١٥١
٤٩	البيهقي	٥١-٦٨-٧٠-٩٠-١٣٥-٢٢٩
٥٠	ابن الضريس	٥٢-٩٠
٥١	أبو الشيخ	٩٠
٥٢	ابن فرس	٥٣
٥٣	ابن المنذر	٦٨-٥٦-٢١٦-٢٢٩
٥٤	أبي عمرو الداني	٤٥
٥٥	عكرمة	٥٢-٥٣-٦١-١٥٣-٢٠٠
٥٦	أبي حاتم	٧٢-٧٨-٢٢٩
٥٧	ابن مردويه	٥٣-٦٨-٩٠-١٣٥-٢٢٩
٥٨	البزار	٧٢-٧٤-٢٢٩
٥٩	السدي	٧٨-٨١-٢٢٧-٢٥٠
٦٠	الشاه الكرماني	٢٣٩
٦١	الكلبي	٥٢-١١٩-٢١٧
٦٢	أبو قلابة	١٤٥
٦٣	الثوري	٢٥٢
٦٤	عبد العزيز بن رواد	٢٨٢
٦٥	محمد بن الهمداني	٣٦

٦٦	الزجاج	١٥٨-٢٤٧
٦٧	الطيبي	٣٥
٦٨	سهل	٥١
٦٩	عز الدين عبد السلام	١٠
٧٠	عبد الحميد الفراهي	٢٦
٧١	ابن عمرو	١٩١
٧٢	الخفاجي	٣٦
٧٣	ولي الدين الملوي	٩
٧٤	القزويني	٣٦
٧٥	ابن المنذر	٦٨-٢٠٥-٢١٥-٢٢٨
٧٦	أبي حنيفة	١٤٤-١٥٦
٧٧	يعقوب عليه السلام	١٣٨
٧٨	إبراهيم عليه السلام	١٥٩-٢٠٧
٧٩	رويس	١٧٩-١٨٢
٨٠	الماوردي	١٣٥
٨١	النسائي	١٠٠
٨٢	الترمذي	٧٧-١٩٨

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة –بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٤- سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٥- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر –بيروت.

٦- المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة –القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧- مسند الشهاب: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨- مسند أبي يعلى الموصلي، المؤلف: أبو يعلى الموصليK المحقق: حسين سليم أسد ، طبعة دار المأمون للتراث.

٩- الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠- الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد

بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
١١- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.
١٢- العلل ابن أبي حاتم المؤلف: ابن أبي حاتم الرازي المحقق: سعد بن عبد الله الحميد - خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦
١٣- المنتقى من السنن المسندة: أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ)المحقق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت.
١٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.
١٥- المستدرك على الصحيحين المؤلف: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري أبو عبد الله، المحقق: مقبل بن هادي الوادعي،الناشر: دار الحرمين سنة النشر: ١٤١٧ - ١٩٩٧الطبعة الأولى.
١٦- سنن النسائي الكبرى المطبوع: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ).
١٧- الثقات: المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية.

١٨- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

١٩- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد ود/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.

٢٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢١- صحيح ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٢٢- أخبار وأشعار لأبي عبد الله الحميدي عن شيوخه (مطبوع ضمن مجموع باسم الفوائد لابن منده!): أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (المتوفى: ٤٨٨هـ)، تحقيق: خلاف محمود عبد السميع، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٣- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)،المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)

٢٤- مسند الحميدي المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)حقق نصوصه وخرج أحاديثه: حسن سليم أسد الداراني، الناشر: دار السقا، دمشق – سوريا.
٢٥- الآحاد والمثاني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ) المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية – الرياض.
٢٦- المغني عن حمل الأسفار في تخريج مافي الأحياء من الأخبار، المؤلفعبدالرحيمبن الحسين العراقيالناشر : دار صادر - الطبعةالأولى ٢٠٠٠م.
٢٧- التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه: د. زياد خليل الدغامين، دار عمان –الأردن، ط ١،١٤٢٨هـ\٢٠٠٩م.
٢٨- مباحث في التفسير الموضوعي بقلم: أ.د مصطفى مسلم. طباعة دار القلم – دمشق. الطبعة السادسة. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٢٩- تراثنا الفكري في ميزان الالشرع والعقل: محمد الغزالي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي –الولايات المتحدة الأمريكية.
٣٠- القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين طباعة: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٤هـ. الطبعة الثانية.
٣١- مقاصد القرآن وأهميتها في التفسير الموضوعي للموضوع القرآني لمحمد عبد السلام الحضيري. جامعة الشارقة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١١-١٢ جماد الأولى ٤-٢٥-٢٦-١٤٢٣هـ - ٢٠١٠م. (٢).
٣٢- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ\٢٠٠٥م

٣٣- لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل ابن منظور (٧١١هـ)،ط١، دار صادر –بيروت.
٣٤- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا.
٣٥- المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.
٣٦- مفردات ألفاظ القرآن تصنيف العلامة الراغب الأصفهاني. (٤٢٠هـ). راجعه وعلق عليه: نجيب الماجدي. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان-بيروت. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٣٧- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر –بيروت ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٣٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٣٩- تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزبيدي، المطبعة المحمدية – مصر.
٤٠- الصحاح، تاج اللغة، وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطاء، دار العلم –بيروت ١٤٠٧هـ.
٤١- الإتقان في علوم القرآن. تأليف: الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. حققه وعلق عليه وأخرج أحاديثه: فواز أحمد زمرلي. دار الكتاب العربي لبنان –بيروت ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٤٢- مناهل العرفان في علوم القرآن بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني. دار المعرفة المعرفة للطباعة وللنشر والتوزيع.لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. الطبعة الثالثة.

٤٣- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية لبنان-بيروت. ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. الطبعة الأولى.
٤٤- البيان في عد آي القرآن: المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤٥- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية "نقد مطاعن ورد شبهات": د. فضل حسن عباس، دار البشير للنشر والتوزيع.
٤٦- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة: أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، تحقيق: غزوة بدير، الناشر: دار الفكر، دمشق – سوريا.
٤٧- كتاب دلائل النبوة: المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، المحقق: محمد محمد الحداد، الناشر: دار طيبة – الرياض.
٤٨- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تأليف: الإمام الأجل أبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري المعروف بأبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ). ورواية أبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأدوفي النحوي، نسخة مصححة ومقروءه على العلامة أحمد بن الأمين الشنقيطي. طباعة مؤسسة الكتب الثقافية لبنان –بيروت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. الطبعة الأولى.
٤٩- دراسات في علوم القرآن الكريم. تأليف: أ.د\ فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي أستاذ الدراسات القرآنية كلية المعلمين بالرياض مكتبة التوبة. المملكة العربية السعودية. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. الطبعة التاسعة.

٥٠- أسباب النزول للامام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. اعتنى به: وليد الزكري. شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع لبنان-بيروت. ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. الطبعة الأولى.
٥١- النشر في القراءات العشر، تأليف: الامام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (٨٣٣هـ). اعتنى به: نجيب الماجدي. طباعة المكتبة العصرية لبنان –بيروت ١٤٢٩هـ\٢٠٠٩م.
٥٢- إحياء علوم الدين، للإمام: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)،و بذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للإمام: زين الدين أبي الفضل العراقي. (٨٠٦هـ). تحقيق وتوثيق ومراجعة: أحمد عناية أحمد زهوة.
٥٣- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م
٥٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل: المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.
٥٥- فقه السنة، تأليف: سيد سابق، طباعة مكتبة الخدمات الحديثة، الموزعون شركة دار القبلة للثقافة الإسلامية. الناشر: دار الكتاب العربي بيروت – لبنان. ١٤٤١هـ-٢٠١٠م.
٥٦- موقع ملتقى أهل الحديث الالكتروني –الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم-د\احكمت الحريري.
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=3787.
٥٧- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ). طباعة دار الكتب العلمية –بيروت-٢٠٠٩م.

٥٨- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير، المكتبة الشاملة الإصدار الأول.
٥٩- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
٦٠- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، (٥١٦هـ): طباعة دار الكتب العلمية لبنان-بيروت ٢٠١٠م، الطبعة الثانية.
٦١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للإمام محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ).و بذيله "الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال" لابن منير الاسكندراني. "الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف "لابن حجر العسقلاني. ضبط وتوثيق: أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي. طباعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٦٢- الانتصاف على حاشية الكشاف، ابن المنير المرزوقي، المحقق: عادل أحمد - علي معوض - فتحي حجازي، الناشر: مكتبة العبيكان: ١٤١٨ - ١٩٩٨الطبعة: الأولى.
٦٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
٦٤- أحكام القرآن للامام أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٣هـ).تحقيق تخريج: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي لبنان-بيروت ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٦٥- زاد المسير في علم التفسير، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، طباعة ونشر وتوزيع: دار ابن حزم. لبنان –بيروت. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. الطبعة الأولى الجديدة.
٦٦- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري الرازي الشافعي. (٦٠٤هـ) طباعة دار الكتب العربية بيروت –لبنان. ٢٠٠٩م.
٦٧- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طباعة دار الكتاب العربي لبنان- بيروت١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٦٨- تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: الإمام عبد الله بن أحمد النسفي (٧١٠هـ)، تحقيق: الشيخ مروان محمد الشعار. طباعة دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان. الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٦٩- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل إبن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ).طباعة دار الجيل لبنان-بيروت.
٧٠- البرهان فى تناسب سور القرآن: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٧١- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (٧٢٨هـ). ضبط وخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية لبنان –بيروت. ١٤١٦هـ-١٩٩٦م. الطبعة الأولى.
٧٢- لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى:

٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٧٣- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٧٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد علي النجار، جمهورية مصر العربية، وزارة الأوقاف، المجلي الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٧٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٧٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ). تحقيق: خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي. طباعة دار الكتب العلمية لبنان-بيروت. ٢٠١١م-١٤٣٢هـ. الطبعة الرابعة.
٧٧- تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي (٨٦٤هـ). وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ). مذيلا بكتاب: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. مؤسسة الريان. لبنان-بيروت. ١٤٣١هـ-٢٠١٠م. الطبعة الخامسة.
٧٨- حاشية على تفسير الجلالين للشيخ أحمد بن محمد الخلوتي المالكي، الشهير بالصاوي (١٢٤١ هـ) ،طبعة المطبعة الأهرية بمصر الطبعة الأولى ١٣٤٥ هـ ١٣١٨ هـ.

٧٩- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.
٨٠- تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للقاضي أبي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٩٨٢هـ). وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن. دار الكتب العلمية. لبنان –بيروت ١٤١٩هـ-١٩٩٩م. الطبعة الأولى.
٨١- فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير، تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ).راجعه وعلق عليه: الشيخ هشام بخاري، والشيخ خضر عكاري. طباعة المكتبة العصرية لبنان –بيروت ١٤١٩هـ\١٩٩٨م. الطبعة الثانية.
٨٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ).تحقيق وتخريج: د\السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران. طباعة ونشر وتوزيع: دار الحديث مصر –القاهرة. ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
٨٣- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل تأليف: الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٢هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح. طباعة دار الحديث مصر –القاهرة. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٨٤- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم .تحقيق محمد سالم هاشم . الناشر : دار الكتب العلمية .سنة النشر ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م . عدد المجلدات ٢ .
٨٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف الإمام العلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ)، قدم له: الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، والشيخ: محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به تحقيقا ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مركز الفجر للطباعة والنشر

والتوزيع مصر- القاهرة، بالتعاون مع أولى النهى للإنتاج الإعلامي والتوزيع. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. الطبعة الأولى.
٨٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف: الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي. طباعة دار الكتب العلمية لبنان- بيروت-٢٠٠٦م -١٤٢٧هـ. الطبعة الثالثة.
٨٧- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. مؤسسة التاريخ لبنان- بيروت. الطبعة الأولى
٨٨- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.
٨٩- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه "نهر الخير على أيسر التفاسير" تأليف: أبي بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة الأولى الخاصة بالمؤلف: طبعة مزيدة ومنقحة ومصححة وبهامشها نهر ١٤١٤هـ -١٩٩٣م. المدينة المنورة.
٩٠- الأساس في التفسير لسعيد حوى. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. مصر –القاهرة. الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٩١- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، تأليف: السيد الإمام محمد رشيد رضا (١٩٣٥م). حرج أحاديثه وشرح غريبه: إبراهيم شمس الدين. طباعة دار الكتب العلمية. لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ\٢٠٠٥م. الطبعة الثانية.
٩٢- صفوة التفاسير بقلم: خادم الكتاب والسنة الشيخ محمد علي الصابوني. طباعة شركة أبناء شريف الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر لبنان-بيروت ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م. الطبعة الأولى.
٩٣- في ظلال القرآن لسيد قطب. طباعة دار الشروق. مصر-القاهرة. الطبعة الشرعية التاسعة والثلاثون. ١٤٣٢هـ\٢٠١١م.

٩٤- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم. إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن. بإشراف أ. د مصطفى مسلم. جامعة الشارقة. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي . ١٤٣١هـ\٢٠١٠م.
٩٥- تفسير المراغي، المؤلف صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى المراغي أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقا، خرج أحاديثه باسل منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية بيرت – لبنان.
٩٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.
٩٧- تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وحقق أحاديثه: د. أحمد عمر هاشم، أخبار اليوم- قطاع الثقافة – القاهرة.
٩٨- الهويمل: التركي بن سعد بن فهيد. خواص القرآن الكريم، رسالة علمية للدكتوراه، بإشراف دابدر بن ناصر البدر، دار ابن الجوزي١٤٢٩هـ.
٩٩- بطاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الباز، دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ .
١٠٠- القنوجي: صديق بن حسن. أبجد العلوم، دار ابن حزم –بيروت ١٤٢٣هـ.
١٠١- من كتاب نساء حول الرسول للدكتور بسام محمد حمامي . دار دانية للطباعة و النشر ، سنة ١٩٩٣ م .

فهرس المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	ملخص الرسالة	٣
٢	مقدمة البحث	٥
٣	أهمية الموضوع	١٢
٤	أسباب اختيار الموضوع	١٥
٥	الدراسات السابقة	١٦
٦	هيكل الرسالة	١٩
٧	شكر وتقدير	٢٢
٨	الإهداء	٢٣
٩	الباب الأول: التناسق الموضوعي في سورة المجادلة. مقدمة تعريفية.	٢٤
١٠	تمهيد: التعريف بالتناسق الموضوعي لغة واصطلاحا.	٢٥
١١	الفصل الأول: التعريف بسورة المجادلة واسم السورة وفضلها وعدد آياتها وتاريخ نزولها وفيه مباحث:	٣٠
١٢	المبحث الأول: التعريف بالسورة.	٣١
١٣	المبحث الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء.	٣٢
١٤	المبحث الثالث: ما ورد في فضل سورة المجادلة من أحاديث.	٣٨
١٥	المبحث الرابع: عدد آيات سورة المجادلة واختلاف العلماء في ذلك.	٣٩
١٧	الفصل الثاني: المكي والمدني في سورة المجادلة ووجه اختصاصها بما اختصت به.	٤٦

١٨	المبحث الأول: المكي والمدني في السورة.	٤٧
١٩	المبحث الثاني: وجه اختصاص السورة بما اختصت به.	٥٥
٢١	الفصل الثالث: أسباب نزول سورة المجادلة والجو العام فيها، ومقاصد السورة وأهدافها.	٦٣
٢٢	المبحث الأول: أسباب النزول التي وردت في السورة.	٦٤
٢٣	المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.	٨٢
٢٤	الباب الثاني: التناسق الموضوعي دراسة تطبيقية	٩٣
٢٥	الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، والموضوع الكلي فيها	٩٥
٢٦	المبحث الأول: تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح.	٩٦
٢٧	المبحث الثاني: مناسبة سورة المجادلة لما قبلها، ولما بعدها.	٩٨
٢٨	المبحث الثالث: مناسبة عنوان السورة لموضوعها.	١٠٥
٢٩	المبحث الرابع: مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها.	١٠٩
٣١	الفصل الثاني: الموضوع الكلي للسورة.	١١١
٣٢	الفصل الثالث: موضوعات السورة وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	١١٤
٣٣	المبحث الأول: المرأة التي جادلت رسول الله ﷺ ، وحكم الظهار وكفارته، والوعيد لمن حاد الله ورسوله، وكل ذلك أحاطه الله علما بعلمه الواسع المحيط بكل شيء، ومن ذلك التناجي وبيان آدابه. ويشمل الآيات (١-١٠) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	١١٧
٣٤	المبحث الثاني: تأديب وتهذيب المؤمنين بأسمى الآداب والفضائل في شؤون عدة: منها ما هو مع بعضهم	١٢٣

	البعض عامة، ومنها ما هو خاص معه ﷺ . وتنقيح نفوسهم وتنقية قلوبهم، وذلك من موالاة غير المؤمنين من اليهود والمنافقين، وفضحهم، وعذابهم في الآخرة. وتقسيم الخلق لحزبين حزب الله، وحزب الشيطان. ومن ثم الفصل بين المشاعر القلبية وبين الإيمان بالله عز وجل وورود النهي عن موالاة من حاد الله ولو كانوا أقرب الأقربين. ويشمل الآيات (١١-٢٢) وارتباطها بالموضوع الكلي للسورة.	
٣٥	الباب الثالث: التفسير التحليلي لسورة المجادلة، في ضوء تناسقها الموضوعي.	١٣١
٣٦	الخاتمة	٢٦٤
٣٧	فهرس الآيات القرآنية	٢٦٨
٣٨	فهرس الأحاديث الآثار	٢٧٧
٣٩	فهرس الأعلام	٢٨١
٤٠	المصادر والمراجع	٢٨٦
٤١	فهرس المحتويات	٢٩٩